كتاب المرأة والإسلام

المرأة المسلمة

النبي الأكرم

عقيدة

زوجاته

عبادة

مطلقاته

أخلاق

معاملة

أدب

سراريه

الشيخ بكر عيتاني

دار الصداقة العربية
بيروت

كتاب

المرأة والاسلام

جميع الحقوق محفوظة لدار الصداقة العربية
للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت لبنان هاتف: ٨٣٦٩٠٤ ص ب ٧١٧١ / ١١٣
الطبعة الأولى ١٩٩٦

٢٨١,٤
عبم

كتاب
المرأة والإسلام

الشيخ بكر عيتاني

دار الصداقة العربية
بيروت

الإهداء

إلى كل المؤمنات في هذه الحياة أقدم كتابي هذا - كتاب المرأة و الإسلام - هدية غالية. سائلاً الله تعالى أن يكون آخذاً بأيديهن إلى أوج الكمال الروحي وليحيين بعيش مسلمات طاهرات ويتوفين مؤمنات صالحات

المؤلف

الشيخ بكر عيتاني

المقدمة

الحمد لله الذى لم يخلق الإنسان عبثاً[١]، ولم يتركه سدى[٢]، بل خلقه ليذكره، وكلّفه ليشكره. أناط سعادته وكماله بطاعته، وربط شقاءه وخسرانه بمعصيته.

والصلاة والسلام على نبينا محمد عبد الله ورسوله، الداعى إلى الله، والهادى إلى صراطه. والترضى الكامل على آله وصحابته خلفائه فى دعوته، وأمنائه على ملته وأمته، والترحم التام على تابعيهم وسالكى سبيلهم فى الإيمان والإسلام والإحسان.

وبعد: فهذا كتاب المرأة و الاسلام قد حوى على ما يجب على المرأة المسلمة أن تعمله من أمور دينها: عقيدة، وعبادة، ومعاملة، وأدباً، وخلقاً اضافة الى سرد نماذج من حياة نساء النبي الاكرم ومطلقاته وسراريه مقدما فى أسلوب سهل، وعبارات واضحة. آملاً أن تجد فيه المرأة المسلمة ما يغنيها عن غيره، ويكفيها ما يهمها من أمر دينها. وأنا أعلم أن حاجتها إلى مثله ماسة، إذا لم أر من قدم لها مثل هذا الكتاب فى شموله، وسلامته، وصحة منقوله، فأسألك

(١) أخذاً من قوله تعالى: {أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لا ترجعون} [المؤمنون: ١١٥].

(٢) أخذاً من قوله تعالى: {أيحسب الإنسان أن يترك سدى} [القيامة: ٣٦]. ومعنى سدى: لا يكلّف ولا يجازى.

اللهم أن تنفع به، وأن تثيبني عليه، إنك بالإجابة جدير، وعلى كل شيء قدير. وزد اللهم صلواتك وسلامك وبركاتك ورحماتك على محمد عبدك ورسولك وآله الطاهرين وصحابته أجمعين.

تنبيه

الحمد لله. وبعد أيتها المرأة المسلمة أنقذى نفسك من النار! فإنك لست خيراً من فاطمة الزهراء بنت رسول الله عليه وعليها وسلم، وقد قال لها وهو والدها: «أنقذى نفسك من النار. سلينى[(١)] من مالى ما شئت فإنى لا أغنى عنك من الله شيئاً. أنقذى نفسك من النار!».

أيتها المرأة المسلمة أخطرك وأنذرك: أخطرك بأن النبى ﷺ قد عرضت عليه النار ورأى أكثر أهلها النساء[(٢)]، وأنذرك بأن الرسول ﷺ قد قال فى النساء وأنت إحداهن: «اتقوا الدنيا واتقوا النساء، فإن أول فتنة بنى إسرائيل كانت فى النساء»[(٣)] واسمحى لى أن أبين لك عن وجه الفتنة: لقد حُدِّثت والمحدث صادق أن امرأة بديارنا هذه قد ألزمت زوجها بأن يشترى لها ثوباً بثمانية عشر ألف ريال عربى سعودى. واشتراه لها. أنظرى يا أمة الله بعين البصيرة إلى فداحة هذه الفتنة. واعلمى أنك عرضة لعذاب الله تعالى، فانقذى نفسك من

(١) رواه مسلم (١/ ١٣٣) وغيره بألفاظ مختلفة.

(٢) فى البخارى: ورأيت النار فلم أر منظراً كاليوم قط أفظع! ورأيت أكثر أهلها النساء: قالوا: بم يا رسول الله؟ قال: بم يكفرن. قيل: يكفرن بالله؟ قال: يكفر العشير «الزوج» ويكفرن الإحسان لو احسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت: ما رأيت منك خيراً قط. رواه البخارى في كتاب الكسوف (٢/ ٤٤).

(٣) رواه مسلم (٨/ ٨٩).

النار. واعلمى أنك أعجز من أن تطيقى عذاب النار، فإن الجبال لو سيرت فى النار لذابت. فأين أنت من الجبال الراسيات، والصم الشاهخات.

أيتها المرأة المسلمة أنقذى نفسك من النار فإن متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى، فلا تغترى بمالك ولا جمالك ولا رجالك فإن ذلك لا يغنى عنك من الله شيئاً. فأنقذى نفسك من النار!

واعلمى أن طريق نجاتك وإسعادك قد بيّنه لك هذا الكتاب الذي وضع لك خاصة تحت عنوان:

كتاب المرأة و الإسلام

فاقرئيه وتفهمى ما جاء فيه واعملى بذلك فإنك تنجين وتسعدين بإذن الله تعالى، وإلا فقد أنذرتك وأخطرتك، ولا تلومين إلا نفسك.

إن كتابك هذا قد حوى كل ما أمرك الله تعالى به، من العقائد والعبادات والآداب والأخلاق، وكل ما نهاك عنه من الشرك وسائر المحرمات من العقائد والأقوال والأفعال، فاستعينى الله تعالى واعلمى، واعملى، واصبرى حتى تكملى فى عقيدتك، وعبادتك، وأخلاقك، وآدابك. وتصبحى أهلاً للجنة دار الأبرار بعد نجاتك من النار. حقق الله تعالى لى ولك ذلك آمين.

في العقيدة

آمني - أيتها المؤمنة بما يلي، وصدقي به، واعتقديه في نفسك فإنه الحق ولا باطل فيه البتة.

آمني وصدقي واعتقدي: أن الذي خلقك، وخلق الكون كله علويّه وسفليه من ذرات الأرض إلى مجرات السماء، وما بين ذلك من إنسان وحيوان ونبات وجماد هو ربك، ورب كل شيء حولك، و من فوقك، ومن تحتك، مما علمت وأدركت، وما لا تعلمين ولا تدركين. هو ربك ورب العالمين اسمه الله، ومعناه المعبود الحق الذي استحق العبادة دون سواه. كل الخلائق يألهونه[1] طاعة له، ورغبة فيه، ورهبة منه. وإن حدثتك نفسك، أو قال لك شيطان من الإنس أو الجن: كيف تصدقين بإله ما رأيته؟ فقولي له: ليست الرؤية شرطاً للتصديق بالشيء، فالناس منذ أن كانوا يؤمنون بأشياء ويصدقون بوجودها ويعتقدون صحتها، وما رأوها، ولا رأوا حتى من رآها، ومن أمثلة ذلك: فإن الإنسان ما رأى

(١) يعبدونه بامتثال أمره والاستجابة لمراده، إذ ما شاءه الله تعالى كان، وما لم يشأه لم يكن، وكون بعض عباده عصاة له لم يخرجهم ذلك عن كونهم مربوبين لله قانتين، إذ كل عملهم مخلوق له خلقه بواسطتهم. فلو لم يشأ ذلك منهم لما كان أبداً وبعبارة أوضح إن إرادة الله الكونية، لا يستطيع مخلوق الخروج عنها، وأن إرادة الله الشرعية التي بحسبها يتم الجزاء في الدار الآخرة هي التي يمكن للعبد أن يخرج عنها فيسمى عاصياً يحاسب عليها ويجزى بها.

جَدّ جِدّ أبيه، أو جَدّ جِدّ أمه، ومع هذا فهو مؤمن مصدق أن له جداً أعلى هو جدُّ أبيه أو أمه.

وثانياً: الثياب التى هى عليك الآن تلبسينها هل رأيت من صنعها بآلاته؟ والجواب لا، ولكنك مؤمنة مصدقة بأن صانعاً صنعها باعها حتى وصلت إليك.

وثالثاً: هل رأيت مدينة طوكيو باليابان، أو رأيت من رآها؟ والجواب غالباً لا، ولكنك مؤمنة مصدقة بوجود هذه المدينة لمجرد أن سمعت الناس يخبرون بها ويتحدثون عنها.

ورابعاً: إذا أخبر فتاة والدها أن لها أخاً شقيقاً بأمريكا يقال له أحمد وهى ما رأته لأنه ولد قبلها وسافر لطلب العلم الصناعى ولم يرجع، فهل تكذب والدها وتكفر بقوله أن لها أخا لكونها ما رأته؟ والجواب لا، بل تصدق والدها، وتؤمن بما أخبرها به عن أخيها أحمد، فكيف إذا ورد إليها خطاب منه، وأرسل إليها سواراً من ذهب؟ لا شك أن إيمانها به يزداد قوة حتى يبلغ اليقين بحيث لو أنكر وجود أخيها منكر لكذبته، وسخرت منه، وعدته أحمق أو لا عقل له. وكيف بها إذا أرسل إليها خطاباً آخر وصف لها فيه نفسه بأنه أبيض الجسم، جميل الوجه ربعة ما هو بالطويل ولا القصير، وأخلاقه فاضلة، يحب الخير والإحسان ويفعلهما؟ أليست تزداد معرفة به وإيماناً ويقيناً بوجوده؟ بلى، ومع هذا كله فإنها لم تره قط.

وخامساً: هل لك أيتها المؤمنة عقل تفرّقين به بين الفحم والشحم لسواد الأول وبياض الثانى، وبين الظلمة والنور، وبين الظل والحرور، وبين التمر والجمر؟ والجواب نعم. فإن قيل لك أين عقلك، وهل رأيتيه؟ فإنك تقولين لا أدرى، وما رأيته وكيف إذا تؤمنين بما لم تر؟ والجواب أنت مؤمنة بوجود عقلك، لأنك ترين آثاره الدالة عليه وهى المعرفة والتمييز والإدراك

للمحسوسات[1] والمعقولات[2]. فلا يمكنك أن تنكرى عقلك أو تكذبى به أبداً.

فكذلك الله تبارك وتعالى فإننا وإن لم نره، ولم نر من رآه فإننا مؤمنون به موقنون، لأن آثاره دالة على وجوده وقدرته وعلمه وحكمته ولطفه ورحمته.

إذ يكفى فى الدلالة على وجود الشيء آثارة فلننظر إلى ثوب مخيط، أو جدار مبنى، أو شجرة مغروسة، فإن الثوب المخيط دال عقلاً على إنسان خاطه بآلته وإن الجدار المبنى دال عقلاً على إنسان بناه، والشجرة المغروسة دالة على إنسان غرسها كذلك. ولم نحتج أبداً إلى رؤية الخياط والبانى والغارس حتى نؤمن من بوجودهم، ونصدق بعملهم وقدرتهم إذ آثارهم دالة على وجودهم، وعلمهم، وقدرتهم.

فكذلك الرب تبارك وتعالى دل على وجوده وعلى قدرته وعلمه وحكمته مخلوقاته من الأرض والسماء، وما بينهما، وما فيها من عظيم المخلوقات وعجائبها. وأكبر دلالة على وجود الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته كتابه الذى أنزله على رسوله محمد صلوات الله عليه وسلامه القرآن العظيم الذي حوى من العلوم والمعارف، ما يحيل العقل البشرى أن يصدر مثله عن غير الله تعالى وقدرته وعلمه وحكمته، وقد تحدى سبحانه وتعالى العرب بالإتيان بسورة مثله فعجزوا. فهل يعقل أن يكون مثل هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم من شرائع وآداب وحكم وتاريخ، وهدايات، وإصلاح فى كل مجالات الحياة، فهل يعقل أن يكون منزله غير موجود، ولا عليم ولا حكيم، ولا قدير ولا سميع ولا بصير. اللهم لا، فإن كأساً من ماء على منضدة يحيل العقل أن يكون وجد نفسه، ولم يكن له وجود من غير ذاته. فكيف إذاً بالعوالم كلها؟

---

(١) المحسوسات: ما تدرك بالحواس التى هي السمع والبصر واللمس... إلخ.

(٢) المعقولات: ما تدرك بالعقل فقط.

إن كل كائن من الكائنات فى السماء أو الأرض فى البر أو البحر دال على الله تعالى، وشاهد على قدرته وعلمه وحكمته ورحمته، ولنتدبر قوله تعالى فى كتابه وهو يقرر وجوده وقدرته وعلمه وحكمته، ورحمته وكماله المطلق:

﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ .(١)

﴿قل من رب السموات السبع ورب العرش﴾ .(٢)

﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض، أمّن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحى من الميت، ويخرج الميت من الحى، ومن يدبر الأمر؟﴾(٣) ولنتدبر ما ذكر فى كتابه من الآيات الدالة على قدرته وعلمه ورحمته وحكمته. قال تعالى:

﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب، ثم إذا أنتم بشر تنشرون﴾(٤) .

﴿ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذى خلقهن إن كنتم إياه تعبدون﴾(٥) .

﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾(٦) .

﴿ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾(٧) .

﴿ومن آياته يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينزل من السماء ماء فيحيى به الأرض بعد موتها﴾(٨) .

(١) [سورة الأعراف: ٥٤].
(٢) [سورة المؤمنون: ٨٦].
(٣) [سورة يونس: ٣١].
(٤) [سورة الروم: ٢٠]
(٥) [سورة فصلت: ٣٧].
(٦) [سورة الروم: ٢١].
(٧) [سورة الروم: ٢٢].
(٨) [سورة الروم: ٢٤].

﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره، ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون﴾[1].

فإذا عرفت الله تعالى ـ أيتها المؤمنة ـ بآياته ومخلوقاته فاعلمي أن لله تعالى أسماء بلغت تسعة وتسعين اسماً[2] فادعيه بها، وناديه بما تشائين منها، وكلها أسماء حسنى، وصفات عليا. قال تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾[3].

فلك أن تقولى يا رب يا رب، أو يا الله يا الله، أو يا رحمن يا رحمن، أو يا أرحم الراحمين، أو يا ذا الجلال والإكرام، أو يا حى يا قيوم، أو يا بديع السموات والأرض، أو يا لطيف يا خبير، أو يا سميع يا بصير، وسلى حاجتك وألحى فى دعائك[4] فإن الله تعالى يحب الملحين فى الدعاء.

إذا حققت أيتها المؤمنة إيمانك بربك تعالى، وتمت لك معرفته عز وجل بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا. فاعلمى أن الله تعالى قد أخبر عن خلق من مخلوقاته، لا يرون بالبصر، ولا يدركون بالحس، وأمر بالإيمان بهم أى بالتصديق بوجودهم. وهم الملائكة[5] والجن والشياطين فوجب الإيمان بهم، فلا يصح إيمان العبد إلا إذا آمن بهم وبكل ما أمر تعالى بالإيمان به.

والإيمان بالملائكة والجن والشياطين، وإن كان من الغيب فإن هناك آثار محسوسة تدل عليهم، وتثبت وجودهم.

---

(١) [سورة الروم: ٢٥].

(٢) جاء فى الصحيح «أن لله تعالى مائة اسم إلا اسماً واحداً من أحصاها دخل الجنة» البخارى (٩/ ١٤٥).

(٣) [سورة الأعراف: ١٨٠].

(٤) ومعنى الإلحاح في الدعاء إعادته وتكراره المرة بعد المرة.

(٥) واحد من الملائكة ملك وهم مخلوقون من النور، يسبحون الله الليل والنهار ولا يفترون، ولا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون.

ومن تلك الآثار الدالة على وجود الملائكة:

١ - القرآن الكريم فقد نزل بواسطة جبريل عليه السلام إلى النبى ﷺ.

٢ - قتال الملائكة فى غزوة بدر حيثُ سُمِعت أصواتهم، ورؤيت ضرباتهم على أجسام المشركين المقتولين.

٣ - قبض ملك الموت روح العبد والعروج به إلى السماء حتى أن بصر العبد يبقى مفتوحاً شاخصاً إلى السماء ينظر إلى روحه وهو يعرج به إلى السماء.

٤ - ما يجده المؤمن فى نفسه من الرغبة فى الخير، والميل إلى المعروف والإحسان نتيجة للمة الملك بقلبه، إذ قال الرسول ﷺ «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة»[١].

ومن الآثار الدالة على الجن[٢] والشياطين[٣].

١ - أغلب الصرع الذى يصيب الإنسانْ، وحديث الجان على لسان المصروع بما لم يكن للمصروع أن يعرفه، وبلغة لا يعرفها، أقوى دليل على وجود الجن إذ هو أثر ظاهر محسوس لا ينكره عاقل.

٢ - ما جاء فى القرآن الكريم عن الجن وخاصة فى سورة الجن منه.

٣ - أخبار النبى ﷺ عن الجن وأحاديثه عنهم وهى كثيرة كحديث علىّ رضى الله عنه عند أحمد والترمذى وابن ماجه: «ستَرْ ما بين أعين الجن وعورات بنى آدم إذا دخل أحدهم الخلاء: أن يقول بسم الله»[٤].

٤ - ما يجده العبد فى نفسه من الميل إلى الشر والرغبة فيه، وما يقع من فساد

---

(١) رواه الترمذى (٥/ ٢١٩).

(٢) الجن والجان بمعنى واحد وهم خلق الله تعالى خلقهم من النار، منهم المؤمن ومنهم الكافر، ومنهم البار والفاجر كبنى آدم سواء. لم ترسل إليهم رسل وإنما يكون لهم النذر منهم، وهم يتبعون الرسل من بنى آدم.

(٣) والشياطين جمع شيطان، وهو كل متمردعات خبيث الروح يأمر بالشر ولا يأمر بالخير من الجن.

(٤) رواه الترمذى (٢/ ٥٠٤)، وابن ماجة (١/ ١٠٩).

باطل فى الأرض من الزنا، والقتل، والخيانة كل ذلك من تزيين الشيطان، ودفع الإنسان إليه، وحمله عليه، وهو أثر ظاهر محسوس، إذ لو ترك الإنسان لفطرته ما غشى كبائر الإثم والفواحش.

وفى حديث ابن مسعود رضى الله عنه «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر وتكذيب بالحق، وأما لمة الملك فإيعاد بالخير، وتصديق بالحق، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله تعالى فليحمد الله، ومن وجد الأخرى فليتعوذ بالله من الشيطان»(١) وفى القرآن الكريم: ﴿إنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا﴾(٢).

إن كل ما ذكرنا، لك أيتها المؤمنة من أدلة الملائكة والجان، والشيطان إنما هو من باب طرد الوسواس عن النفس فقط، إذ أخبار الله تعالى: فى كتابه، وعلى لسان رسوله عما ذكرنا من الملائكة، والجان، والشيطان: كافية فى إثبات ذلك، وتقريره، إذ أخبار الله تعالى لا تحتمل إلا الصدق بحال من الأحوال، فمن المستحيل عقلاً وشرعاً أن تكون أخبار الله تعالى على خلاف ما يخبر به عز وجل.

واعلمى ـ أيتها المؤمنة ـ أن من إتمام عقيدتك إيمانك بكتب الله، ورسله، واليوم الآخر(٣).

أما الكتب والرسل فالإيمان بهما ليس من الإيمان بالغيب كالإيمان بالله واليوم الآخر، إذ الكتب كالرسل هما من المدرك بحاسة السمع والبصر، فالكتب مقروءة مسموعة، والرسل عليهم السلام مرئيون مشاهدون، وآخر الكتب نزولاً هو القرآن الكريم وهو بين أيدينا نحفظه فى صدورنا، ونكتبه فى

---

(١) رواه الترمذى (٥/ ٢١٩).

(٢) [سورة مريم: ٨٣].

(٣) لقد تكفل القرآن الكريم بوصف اليوم الآخر، وعرض كل ما فيه من بعث وحشر، وصحف، وميزان، وحساب، وجنة، ونعيمها، ونار وعقابها، وبقراءة سور الرحمن، والواقعة، وق، والزمر يقف القارىء على كل ذلك مفصلاً.

سطورنا. ونقرأه بألسنتنا، وآخر الرسل بعثة هو نبينا محمد ﷺ، خاتم الأنبياء، وقد شهد القرآن الكريم المنزل عليه ببعثه ورسالته كما شهد ببعثة الرسل قبله، والكتب المنزلة عليهم، وهى التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل على عيسى، والزبور المنزل على داوود عليهم السلام، والإيمان بالكتب لازم الإيمان بالله تعالى وملائكته، إذ الكتب أوحاها الله تعالى بواسطة الملك المكلف بذلك وهو جبريل عليه السلام.

فالكتب دالة على وجود الله تعالى، وعلى وجود الملائكة التى أوحيت ووصلت بواسطتها، وعلى وجود الرسل حيث نزلت عليهم، وبلغوها إلى الناس بإذن الله تعالى.

أما اليوم الآخر فالإيمان به جزء عقيدة المؤمنين والمؤمنات، فقد أخبر الله تعالى به، ووصفه وأمر به فى كتابه، وعلى لسان رسوله(١) وهو واقع لا محالة، وآتٍ بلا ريب، إذ فيه يتم الجزاء على الأعمال التى يقوم بها المكلفون فى هذه الحياة.

ومن باب طرد الوسواس عن المؤمنة نذكر الأدلة المحسوسة الدالة على وجود الدار الآخرة. وأن يومها آت لا شك فيه:

١ ـ دخول النبى ﷺ الجنة، ومشاهدته لأنهارها وقصورها وذلك يقظة لا مناماً، حيث تَمَّ له ليلة الإسراء والمعراج، وهذا دليل لا يُرَدّ بحال، كما عُرضت عليه ﷺ الجنة والنار على جدار المسجد وهو فى الصلاة، وقد وصف الله تعالى اليوم الآخر فى كتابه ما لا مزيد عليه، وذلك من بداية فناء الدنيا إلى استقرار أهل الجنة فى الجنة، وأهل النار فى النار، كما وصف الجنة وما فيها من

---

(١) قال تعالى: {إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر} [سورة النساء: ٥٩] وقال تعالى: {ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر} [سورة الطلاق: ٢] وقال عز وجل {إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر} [سورة البقرة: ٢٢٨]. وقال الرسول ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت» رواه البخارى ٨/ ١٣، ومسلم ١/ ٤٩ ففى هذه الآيات والأحاديث دعوة صريحة إلى الإيمان باليوم الآخر.

نعيم، والنار وما فيها من عذاب أليم.

٢ ـ وجودنا هذا ووجود أنواع المتع واللذائذ، وصنوف الشقاء، وضروب العذاب دالٌ على وجود آخر لنا هو أكمل وأتم من هذا الوجود، فى عالم لا يقبل الفناء والزوال وهو الدار الآخرة. إذ قدرة الله تعالى التى أوجدت هذا العالم فى دار الدنيا هذه هى قدرة صالحة لأن يوجد ما هو أعظم من هذا الوجود بكل ما فيه.

٣ ـ الأرض المحلة الجدباء تكون ميتة لا حياة فيها، ينزل عليها المطر فلا تلبث إلا أياماً وإذا بها تهتز رابية بأنواع الزروع، ومختلف النباتات ذات الزهور، والروائح، والمنافع المختلفة، أليس هذا دليل على المعاد والحياة الثانية بعد فناء هذه، وانتهاء الحياة؟

قال تعالى فى الاستدلال على قدرته عز وجل وعلى الحياة الثانية:

﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون﴾(١) وقال تعالى: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج * ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى، وأنه على كل شىء قدير﴾(٢) قال تعالى: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد * رزقاً للعباد، وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج﴾(٣) يعنى الخروج من القبور إحياء بعد الموت والبلى. ففى هذه الآيات، وغيرها فى معناها دالة دلالة عقلية وحسِّيّة: أن من قدر على الخلق والحياة وهو قادر على الإماتة والإحياء. وبهذا تقرر بما لا شك فيه أن اليوم الآخر والذى يراد به فناء هذه الحياة وانتهاؤها، ووجود حياة أخرى بعدها وهى الدار الآخرة أمر حتمى، مقطوع به، لا يمكن أن يتخلّف بحال.

---

(١) [سورة يس: ٣٣].
(٢) [سورة الحج: ٥،٦].
(٣) [سورة ق: ٩ ـ ١١].

٤ ـ وجود ظالمين اليوم ومظلومين، وأغنياء وفقراء، ومؤمنين محرومين، وكافرين محظوظين، ثم يموت الجميع موتة سواء، ولم يُقتَص للمظلوم من الظالم، ولم يذق الفقير طعم نعمة الغنى، ولا المؤمن المحروم لذة الحظ ونعيمه، هذه حال مقتضية عقلاً لوجود حياة أخرى يُقتَص فيها للمظلوم من الظالم، ويسعد فيها المؤمن المحروم، ويشقى فيها الكافر المحظوظ، قال تعالى: ﴿ولله ما فى السموات وما فى الأرض ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى﴾(١).

ومما هو جزء متمم لعقيدتك أيتها المؤمنة الإيمان بالقضاء والقدر حيث أخبر تعالى به فى قوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾(٢) وقال رسول الله ﷺ لمن سأله عن الإيمان «أن تؤمن بالله، وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره»(٣) فجعل ﷺ الإيمان الذى لا يكمل إلا به...

والقدر: هو أن الله تبارك وتعالى لما أراد أن يخلق الكائنات خلق القلم فقال له اكتب. فقال: ماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة فكتب كل ما قضى الله تعالى بخلقه، وحكم بوجوده من سائر الكائنات، فهذا هو القضاء، وكون المخلوقات ذات مقادير محدودة، وصفات معلومة، وأزمنة وأمكنة معينة محدودة، فلا ينقص شيء ولا يزيد، ولا يتقدم ولا يتأخر فهذا هو القدر.

فالقضاء والقدر ـ أيتها المؤمنة هما أن تعلمى وتصدقى أنه ما من شيء وجد أو سيوجد من أول الحياة إلى نهايتها إلا وله صورة فى كتاب المقادير المسمى باللوح المحفوظ بحيث لا يمكن أن يوجد شيء صغيراً كان أو كبيراً لم يكن الله قد قضى بوجوده على صورته التى هو عليها، وفى وقته ومكانه من غير تقديم

---

(١) [سورة النجم: ٣١].
(٢) [سورة القمر: ٤٩].
(٣) رواه مسلم (١/٢٨/٢٩).

ولا تأخير، ولا زيادة ولا نقص، فما يرى فى الحياة من غِنىً أو فقرٍ، أو عز أو ذل، أو صحة أو مرض، أو سعادة أو شقاء، أو جمال، أو قبح. أو ظلم أو عدل أو خير أو شر، إلا وقد قضى الله تعالى به، وقدره.

إن القدر أكبر مظهر من مظاهر علم الله وقدرته، وحكمته..

فانظرى كيف يقضى الله تعالى بوجود الشيء ويقدره فى صورته التى قضى وحكم بوجودها فى وقتها المحدد لها، ومكانها المعين لها، وتمضى آلاف السنين، والأعوام، ثم يخرجه تعالى فى نفس الوقت، ونفس المكان وعلى نفس الصورة، لا يتخلف شيء من ذلك بحال من الأحوال.

وإن كان هذا عجباً فإن أعجب منه أنّ الإنسان العاقل المريد ينفذ ما كتب الله تعالى له أو عليه بكل حرية واختيار وظاناً أنه فعل ما فعل بإرادته واختياره، وفى الحقيقة أنه ما زاد على أن نفذ مراد الله فيما قدره له أو عليه!!

ومن فوائد الإيمان بالقدر ما يلى:

١ ـ أن يعيش المؤمن آمناً غير خائف لعلمه أن ما قدر عليه كائن لا محالة.

٢ ـ أن لا يحزن المؤمن على ما فاته مما كان يريده لعلمه أنه غير مقدور إذ لو كان مقدوراً له لما فاته بحال.

٣ ـ أن لا يفرح المؤمن بما يكون له من مال، أو ولد، أو سلطان لعلمه أن ذلك كان بقدر الله، وأنه فضل الله عليه لا غير.

٤ ـ أن يعمل المؤمن ما أذن له فيه أو أُمِرَ به، ويترك ما نهى عنه وهو هادىء البال، مطمئن النفس، غير خائف ولا حريص، لعلمه أن لا يكون إلا المقدور فقط.

٥ ـ علم المؤمن أن الأحداث والوقائع تتم بأسبابها المقدرة معها بجعله يأتى أسباب الخير والفلاح، ويتجنب أسباب الشر والخسران، وإن لم يكن للإيمان بالقضاء والقدر إلا هذه الفائدة لكفت والحمد لله، والمنّة له.

في الإسلام

اعلمى أيتها المؤمنة: أن الدين عند الله هو الإسلام. وأن الله تعالى لا يقبل من العبد ديناً إلا الإسلام. قال تعالى من سورة آل عمران: ﴿أن الدين عند الله الإسلام﴾(١) وقال: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾(٢).

واعلمى أيضاً أن الدين الإسلامى مبنى على خمس قواعد: وهى الشهادتان، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام. . فابنى إسلامك عليها، ولا تسقطى واحدة منها فيبطل إسلامك، وتكونى من الخاسرين.

أما الشهادتان:

فالأولى منها: شهادة أن لا إله إلا الله، وتحقيقها يكون بأن تعرفى أنه لا معبود بحق إلا الله الذى آمنت به رباً وإلهاً، وعرفته بأسمائه وصفاته وتشهدى قائلة: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وأن تعبديه وحده ولا تعبدى معه سواه، كما لا تعترفى بعبادة غيره ولا تقرى بها راضية بها بحال من الأحوال.

(١) [سورة آل عمران: ١٩].
(٢) [سورة آل عمران: ٨٥].

وعبادة الله تعالى هو طاعته، وطاعة رسوله محمد ﷺ بفعل ما أمر الله تعالى به عباده أن يفعلوه، وترك ما أمرهم بتركه من الاعتقادات، والأقوال، والأعمال.

وثانية الشهادتين: شهادة أن محمداً رسول الله ﷺ وتحقيقها يكون بأن تعملي وتعتقدى أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمى القرشى العربى عبد الله ورسوله، ختم به الله تعالى النبيين، وأرسله إلى الناس أجمعين[1] لا يسمع به يهودى ولا نصرانى ولا مجوسى ولا يؤمن به إلا دخل النار[2] فرض الله تعالى على الناس طاعته، وأوجب تعظيمه ومحبته ومتابعته، وطاعته من طاعة الله، وتكون فى الاعتقادات، والأقوال، والأعمال كما هى طاعة الله تعالى فى ذلك.

وإليك أيتها المؤمنة بيان أعظم الاعتقادات، والأقوال، والأعمال، والتى لا يكون إسلام، ولا إيمان إلا بها:

أ ـ الاعتقادات:

١ ـ الإيمان بالله تعالى رباً وإلها موصوفاً بكل كمال، منزهاً عن كل نقصان.

٢ ـ الإيمان بملائكة الله عباداً مكرمين لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون خلقهم من نور[3]، يسبحون الليل والنهار لا يفترون وكُلهم ربهم بأعمال شتى هم بها قائمون، منهم الحفظة على العباد، ومنهم الموكَّلون بقبض الأرواح، ومنهم خزنة الجنة ومنهم خزنة النار، ومنهم غير ذلك.

٣ ـ الإيمان بكتب الله وحياً أوحاها الله تعالى إلى من اصطفاهم من رسله،

---

(١) قال تعالى من سورة الأعراف {قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعا} (آية: ١٨٥).

(٢) لقوله ﷺ: «والذى نفس محمد بيده لا يسمع بى أحد من هذه الأمة، يهودى ولا نصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار» رواه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه (١/ ٩٣).

(٣) رواه مسلم.

تحمل الشرائع، والهدى، والنور للمؤمنين المتقين. وهى ما بين صحيفة وكتاب مائة وأربعة لا غير. جاء ذكر بعضها فى القرآن قال تعالى: ﴿صُحُفِ إبراهيم وموسى﴾[1] وقال تعالى: ﴿وآتينا داود زبوراً﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وآتينا موسى الكتاب﴾[3]. وقال: ﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور﴾[4]. وقال ﴿وقفينا بعيسى ابن مريم وآتيناه الإنجيل﴾[5].

وأعظم تلك الكتب القرآن الكريم وهو آخرها نزولاً، فهو ناسخ لشرائعها وأحكامها، وقد حُرِّفت وبُدِّلت، ولم يبق منها مما هو كلام الله إلا القليل، فالإيمان بها واجب، والعمل غير جائز.

أما القرآن العظيم فما آمن به من لم يعمل به فأحل حلاله، وحرم حرامه، وأقام حدوده، واعتقد عقائده، وتقيد بعباداته، وتأدب بآدابه، وتخلق بأخلاقه[6].

٤ ـ الإيمان برسل الله مبشرين ومنذرين، قطع الله تعالى بهم على الناس الحجة[7]، وبين بهم للعباد المحجة[8]، فمن آمن بهم، وأطاعهم، واتبع هداهم نجا، ومن كفر بهم، وعصاهم، واتبع غير هداهم هلك. عصمهم الله فلم يغشوا الذنوب، ولم يرتكبوا الكبائر، أعاظمهم خمسة: نوح وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد ﷺ وهو أولو العزم من الرسل[9] إمامهم وخاتمهم محمد ﷺ.

---

(١) [سورة الأعلى: ١٩].

(٢) [سورة النساء: ١٦٣].

(٣) [سورة الإسراء: ٢].

(٤) [سورة المائدة: ٤٤].

(٥) [سورة الحديد: ٢٧].

(٦) سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلق الرسول ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن» رواه مسلم (٢/١٦٩)، وأحمد (٦/٥٣، ٥٤) وأبو داود (١/٣٠٨، ٣٠٩).

(٧) دليله قول الله تعالى من سورة النساء: {رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل. وكان الله عزيزاً حكيماً}آية: ١٦٥.

(٨) المحجة الطريق الواضح.

(٩) ورد ذكرهم في قول الله تعالى من سورة الأحزاب: {ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم} آية: ٧.

وهو أفضلهم على الإطلاق، أمته خير الأمم، وشريعته أتم الشرائع وأكملها، أُعطى خمساً لم يعطها غيره من سائر إخوانه من الأنبياء والمرسلين[١]، أشرفها الشفاعة العظمى يوم القيامة، وهى المقام المحمود الذى وعده به ربه فى قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً﴾[٢].

٥ ـ الإيمان باليوم الآخر يوماً تنتهى فيه هذه الحياة، وتكون فيه الحياة الآخرة، حيث يبعث الله تعالى الناس من قبورهم أحياء ويحشرهم إلى ساحة فصل القضاء لمحاسبتهم على أعمالهم فى الحياة الدنيا ومجازاتهم بها بالنعيم المقيم، أو العذاب المبين. بحسب الإيمان والتقوى، والشرك والمعاصى.

٦ ـ الإيمان بالقضاء والقدر نظاماً للحياة كلها لا يخرج بشىء منها وإن قل عما حواه كتابه الذى هو اللوح المحفوظ[٣] حيث كتب الله تعالى فيه كل ما قضى بوجوده من خير وشر فى الدنيا، وسعادة وشقاء فى الدار الآخرة.

كانت تلك الاعتقادات الحقة التى أمر الله تعالى باعتقادها، وهى أصل دينه الذى لا يقبل ديناً سواه.

وهناك اعتقادات باطلة يحرم اعتقادها ويجب معرفتها من أجل أن تجتنب، ويبتعد عنها لضررها وفسادها وهى:

١ ـ اعتقاد أن غيره تعالى من سائر المعبودات الباطلة يملك نفعاً أو ضراً. وسواء كان المعبود ملكاً مقرباً،أو نبياً مرسلاً[٤]، أو ولياً صالحاً.

---

(١) خمس خصال هي الواردة في قوله ﷺ: «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من الأنبياء قبل: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتى أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لى الغنائم ولم تحل لأحد قبل، وأعطيت الشفاعة، وكان النبى يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة» رواه البخارى (١/ ٨٧)، ومسلم (٢/ ٦٣).

(٢) [سورة الإسراء: ٧٩].

(٣) قال رسول الله ﷺ: «كل شىء بقضاء وقدر حتى العجز والكيس» رواه مسلم.(٨/ ٥١، ٥٢).

(٤) قال تعالى فى الذين يعبدون عيسى ووالدته مريم: {ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام، انظر كيف نبين لهم الآيات. ثم انظر أنى يؤفكون. قل أتعبدون من دون الله ما لا يملك لكم ضراً ولا نفعاً} [سورة المائدة: ٧٥، ٧٦]. ==

== وقال تعالى في المشركين الذين يعبدون الملائكة وغيرهم {ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم} ويقولون: {هؤلاء شفعاؤنا عند الله}" [سورة يونس: ١٨].

٢ ـ اعتقاد أن من مات من أولياء الله تعالى يسمع دعاء من يدعوه، واستغاثة من يستغيث به، وأنه يشفع له فى قضاء حاجته، وإعطائه مسألته.

٣ ـ إعتقاد أن أحداً من الأنس أو الجن يعلم الغيب؛ لأن الله تعالى قال: ﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول﴾[(١)] وقال تعالى: ﴿قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله﴾[(٢)].

٤ ـ اعتقاد أن الخضر عليه السلام حى ما مات إلى الآن، وأنه يزور بعض الناس، ويحدثهم، ويعطيهم ويشفع لهم[(٣)].

٥ ـ اعتقاد وجود أقطاب وأبدال من الأولياء يتصرفون فى الكون فيعطون، ويمنعون، ويضرون، وينفعون، ويعزلون، ويولون من شاءوا كما شاءوا.

٦ ـ اعتقاد أن لا إله، وأن لا بعث، ولا جزاء! وهو شر الاعتقادات وأبطلها، وأهلها هم الملاحدة الشيوعيون قبحهم الله تعالى.

٧ ـ اعتقاد وجود بدع حسنة إذا عمل بها العبد أثابه الله تعالى عليها، وحصل لنفسه بفعلها، أو قولها، أو اعتقادها زكاة وطهر وذلك لقول الرسول ﷺ: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»[(٤)].

ب ـ الأقوال التى هى عبادات:

إن الأقوال التى أمر الله تعالى بها، وأمر بها رسوله فكانت عبادات يثاب فاعلها، ويحصل بها الزكاة، والطهر للنفس كثيرة ومنها ما يلى:

١ ـ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. وهى التى يدخل بها

---

(١) [سورة الجن: ٢٦، ٢٧].

(٢) [سورة النمل: ٦٥].

(٣) قال تعالى: {وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد} الأنبياء: ٣٤ فكيف يقال الخضر خالد إلى الآن؟ ولو عُمّر إلى حياة الرسول ﷺ فكيف لا يأتيه ويسلم عليه، ويقاتل معه.

(٤) رواه أبو داود (٢/٥٠٦) والترمذى (٥/٤٤) وقال: حسن صحيح.

العبد فى الإسلام، وتكرر فى الأذان، والإقامة، وعند الوفاة.

٢ ـ لا إله إلا الله[١].

٣ ـ سبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر[٢].

٤ ـ سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم[٣].

٥ ـ استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم[٤].

٦ ـ لا إله إلا الله وحد لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير[٥].

٧ ـ الدعاء: ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

٨ ـ تلاوة القرآن الكريم[٦].

٩ ـ الصلاة والسلام على على الرسول ﷺ وآله وصحبه وسلم[٧].

١٠ ـ الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

١١ ـ التحية بالسلام عليكم ورحمة الله..

هذه جملة الأقوال التى هى من العبادات يثاب عليها فاعلها، وتُزكّى النفس البشرية وتُطهِّرُها.

---

(١) لحديث الترمذى: «(٥/ ٤٦٢) وابن ماجه (ص ١٢٤٩) وهو صحيح: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله».

(٢) لحديث: «لأن أقول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أحب إلىّ مما طلعت عليه الشمس» رواه مسلم (٨/ ٧٠).

(٣) لحديث الصحيحين: «كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم» رواه البخارى (٩/ ١٩٩)، ومسلم ٨/ ٧٠).

(٤) لحديث الترمذى (٥/ ٥٦٩) وأبو داود (١/ ٣٦٨) «من قال استغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب إليه غفر له وإن كان فرّ من الزحف».

(٥) لحديث الصحيحين: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له؛ له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد أفضل مما جاء به إلا أحد عمل أكثر من ذلك». مسلم (٦٩٨) والبخارى (٤/ ١٥٣).

(٦) لحديث: «اقرؤا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لصاحبه» رواه مسلم (٢/ ١٧).

(٧) لحديث الصحيح: «من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشراً» رواه مسلم (٢/ ١٧).

وهناك أقوال مأمور بتركها تعبداً لله تعالى بتركها حيث نهى الله تعالى عن قولها، والنطق بها وهى:

١ ـ الكذب مطلقاً وأعظمه الكذب على الله تعالى، وعلى رسوله ﷺ[١].

٢ ـ سب المسلم، وتعييره[٢].

٣ ـ اغتياب المسلم[٣].

٤ ـ النميمة، ونقلها[٤].

٥ ـ الاستهزاء والسخرية بالمسلم.

٦ ـ قول السوء، والفحش فى القول[٥].

٧ ـ شهادة الزور[٦].

٨ ـ كلمات الكفر كالاستهزاء بالشرع أو بصاحبه[٧].

٩ ـ الحلف بغير الله تعالى[٨].

١٠ ـ دعاء غير الله تعالى[٩].

جـ ـ الأفعال التى هى عبادات:

إن الأفعال التى تعبدنا الله تعالى بها حيث أمر الله تعالى بها، أو أمر رسوله

---

(١) لقول الله تعالى: {ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب} الصف: ٧ وقول الرسول ﷺ: «من كذب علىّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار» رواه البخارى (١/ ٣٧)، ومسلم (١/ ٧).

(٢) لحديث: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» رواه البخارى (١/ ٢٠) ومسلم (١/ ٥٧).

(٣) لقول الله تعالى: {{ولا يغتب بعضكم بعضا...} الآية من [سورة الحجرات: ١٢].

(٤) لحديث: «وأما الآخر فكان يمشى بالنميمة... الحديث رواه البخارى (١/ ٦٢).

(٥) لحديث الترمذى (٤/ ٣٥)، وأحمد (١/ ٤٠٥)، وهو صحيح الإسناد: «ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذىء».

(٦) لحديث مسلم (١/ ٦٤) «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً: الإشراك بالله وعقوق الوالدين، وشهادة الزور».

(٧) لقول الله تعالى: {قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون} [سورة التوبة: ٦٥].

(٨) لحديث الترمذى: «من حلف بغير الله فقد أشرك» (٤/ ١١٠).

(٩) لقول الله تعالى: {فلا تدعوا مع الله أحدا} [سورة الجن: ١٨].

ﷺ كثيرة وهى كالأقوال منها ما يفعل، ومنها ما يترك، وهذه الأفعال التى تؤتى ولا تترك:

١ ـ الصلاة وهى أعظم الأعمال فريضة ونافلة.

٢ ـ الحج والعمرة إلى بيت الله.

٣ ـ الجهاد، والرباط فى سبيل الله.

٤ ـ الصدقات من زكاة، وتطوع.

٥ ـ صلة الأرحام بزيارتهم، وبرهم، والإحسان إليهم.

٦ ـ إكرام الضيف(١).

٧ ـ فعل الخير مطلقاً(٢).

الأفعال المتعبد بتركها:

إن الأفعال المتعبد بتركها كثيرة، وهى سائر المحرمات الفعلية سواء كانت من أفعال القلوب، أو الجوارح ومنها:

١ ـ عقوق الوالدين.

٢ ـ الزنا ومنه النظر للأجنبية، ومسها، ومصافحتها، وقذفها.

٣ ـ أكل الربا.

٤ ـ أكل مال اليتيم.

٥ ـ القمار.

٦ ـ السرقة.

٧ ـ شرب الخمر، والتدخين.

---

(١) لحديث: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه» رواه البخارى (٨/١٣)، ومسلم (١/٤٩).

(٢) لقوله تعالى: {وافعلوا الخير لعلكم تفلحون} [سورة الحج: ٧٧].

٨ ـ التصوير[١].

٩ ـ الظلم بوضع أى شيء فى غير موضعه[٢].

١٠ ـ سماع الباطل، والتلذذ به من غناء، ومزمار ونياحة[٣].

ومن أفعال القلوب المتعبد بتركها ما يلى:

١ ـ الكبر وهو غمط الحق، واحتقار الناس[٤].

٢ ـ العجب بالنفس، والعمل[٥].

٣ ـ الحسد للناس[٦].

٤ ـ الغل للمؤمنين[٧].

٥ ـ البغض للصالحين[٨].

٦ ـ محبة أهل الظلم، والشر والفساد من كافر، وفاسق وظالم[٩].

٧ ـ إرادة السوء بالمؤمنين، وإضمار الشر لهم[١٠].

---

(١) لحديث: «لعن الله المصورين». رواه البخارى (٧/ ٧٩) بمعناه.
(٢) لحديث: «اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة» رواه مسلم (٨/ ١٨).
(٣) لقوله تعالى: {إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا} [سورة الإسراء: ٣٦].
(٤) لقول الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر» رواه مسلم (١/ ٦٥).
(٥) لحديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشى فى حلة تعجبه نفسه مرّجل رأسه يختال فى مشيته إذ خسف الله به فهو يتجلجل فى الأرض إلى يوم القيامة» رواه البخارى (٤/ ٢١٥)، ومسلم (٦/ ١٤٨).
(٦) لحديث «إياكم والحسد، فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» رواه أبو داود (٢/ ٥٧٤) وابن ماجة (ص ١٤٠٨).
(٧) لقول الله تعالى: {ربنا لا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا}.
(٨) لحديث أنس: «لا تباغضوا، ولا تحاسدوا، ولا تدابروا، ولا تقاطعوا. وكونوا عباد الله إخوانا. ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» رواه البخارى (٨/ ٢٣)، ومسلم (٨/ ٨).
(٩) لأن من الإيمان حب ما يحب الله، وبغض ما يبغض، والله لا يحب الظالمين، ولا يحب المفسدين.
(١٠) لقول الله تعالى: {والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبينا} [سورة الأحزاب: ٥٨].

في الإحسان

إن الإحسان ثلث دينك أيتها المؤمنة لما علمت من أن النبى ﷺ لما سئل عن الإسلام. فأخبر أنه إيمان، وإسلام، وإحسان[1] وقد عرفت فى كتابك هذا الإيمان والإسلام. وهذا هو الجزء الباقى وهو الإحسان، فاعرفيه، وأحسنى فى معتقدك، وقولك، وعملك، وبذلك يكمل دينك، وتصبحين أهلاً للكمال، والسعادة فى الدنيا والآخرة.

وإليك بيانه مفصلاً:

الإحسان: ـ لغة ـ ضد الإساءة. والإحسان واجب، والإساءة حرام، أمر الله تعالى به، وأثنى على فاعله[2]، وأخبر أنه مع أهله. وهو واجب فى العقيدة، والقول، والعمل. كما أن الإساءة تكون فى العقيدة، والقول، والعمل، وهو أى الإحسان لا يتم لك، ولا تكونين من أهله إلا إذا

ولقول الرسول ﷺ: «من حمل السلاح علينا فليس منا، ومن غشنا فليس منا» رواه مسلم (١/ ٦٩).
وقوله ﷺ: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» رواه المسلم (٨/ ١١).

(١) إشارة إلى حديث جبريل الذى رواه عمر بن الخطاب وهو فى صحيح مسلم (١/ ٢٨، ٢٩)، وخرجه أهل الحديث، وهو حديث مشهور، صحيح.

(٢) لقول الله تعالى: {وأحسنوا إن الله يحب المحسنين} [سورة المائدة: ٩٣]. وقوله: {إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون} [سورة النحل: ١٢٨].

وطّنت نفسك لمراقبة الله تعالى، فكنت على حال لا تقولين ولا تفعلين إلا وكأنك بين يدى الله تعالى تنظرين إليه. أو هو ينظر إليك. بين هذا رسول الله ﷺ فى جوابه لمن سأله عن الإحسان، فقال: الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»[1].

ومعناه: أن العبد إذا دخل فى العبادة يكون فيها على أحد حالين: إما أن يكون من شدة المراقبة لله تعالى كأنه يرى الله تعالى. وإما أن يكون معتقداً أن الله تعالى يراه، وبذلك يحسن العبد قوله وعمله، ويتقنهما حتى يثمرا الثمرة المطلوبة منهما.

ولكى تكونى أيتها المؤمنة من أهل الإحسان عليك بمراقبة الله عز وجل فى شأنك كله إذا فكرت، إذا قلت، إذا عملت، بذلك تكون أقوالك، وأعمالك صالحة، مثمرة، نافعة لك.

واعلمى أنه لا يصح منك قول ولا عمل حتى تريدى به وجه الله تعالى أولاً، وهذا هو الإخلاص[2].

وتعلمى ما القول؟ وما الفعل المحبوب إلى الله تعالى؟ وما هى كيفية القول؟ والعمل المحبوب إليه تعالى ثانياً؟

ومن هنا وجب عليك العلم قبل القول، والعمل كما قال تعالى ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله﴾[3] وكما قال البخارى «العلم قبل القول والعمل»[4] لذا ألفت لك هذا الكتاب، حاوياً كل ما ينبغى لك معرفته من المعتقدات، والأقوال،

(١) وهو فى حديث جبريل المتقدم ذكره، رواه مسلم (١/ ٢٩) وغيره.

(٢) قال تعالى: {ألا لله الدين الخالص} [سورة الزمر: ٣]. وقال: {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين}[سورة الزمر: ٥] وقال تعالى: {فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون} [سورة غافر: ١٤]. (والدعاء هو الدين فمن أشرك فى دعائه غير الله تعالى لم يستجب له ووجبت له النار. فاحذرى الشرك أيتها المؤمنة فى الدعاء وفى غيره من العبادات، وأخلصى جميع أعمالك لربك عز وجل.

(٣) [سورة محمد: ١٩].

(٤) البخارى (١/ ٢٧).

والأعمال، مما يجب اعتقاده، وقوله، وعمله، ومما يجب تركه من ذلك، وقد تقدم بيانه آنفاً.

وها أنذا أبين لك كيفيات العمل، والقول فى العبادات، والآداب، والأخلاق.

وأبدأ بأولى قواعد الإسلام: الصلاة، ثم أوالى بيان باقى القواعد إلى نهايتها. ثم أبين لك الآداب التى يلزم التأدّب بها، والأخلاق التى يجب التخلّق بها - سائلاً لك الله تعالى الفهم فيها، والعمل بها لتكملى، وتسعدى فى دنياك وآخرتك.

القاعدة الثانية للصلاة

اعلمى أن الرسول ﷺ قال: «لا تُقبل صلاة بغير طهور»[1]. يعنى طهارة، والطهارة للصلاة تكون معنوية وهى طهارة القلب، وحسيّة وهى طهارة البدن والثوب، والمكان.

(١) رواه مسلم (١/ ١٤٠)، والبخارى بمعناه (١/ ٤٥).

طهارة القلب

أما طهارة القلب فهى خلو القلب وفراغه مما يلى:

١ ـ **الشك**[١]: وهو التردد، وعدم الجزم بصحة وجود الله تعالى، أو وجود ما أخبر به تعالى من أركان الإيمان، وسائر الغيوب التى جاءت فى القرآن، وأخبر بها الرسول ﷺ من البعث، والحساب، والجزاء، والنعيم فى دار النعيم فى الجنة، والعذاب المهين فى النار.

٢ ـ **النفاق**: وهو إظهار الإيمان، وإبطان الكفر، ومن علامات وجوده فى الشخص: خلف الوعد، ونكث العهد، وخون الأمانة[٢].

٣ ـ **الشرك**: وهو عبادة غير الله تعالى بدعاء غيره من عباده، أو الاستغاثة بهم، أو الذبح، أو النذر لهم. أو الخوف منهم، أو الطمع فيهم، والرغبة إليهم أو الحلف بهم[٣].

---

(١) الشك فى أصول الدين كفر، والشاك فى وجود الله تعالى أوفى البعث والجزاء فى الدار الآخرة كافر أيضاً والكافر لا تقبل منه العبادة حتى يؤمن وعلى هذا إجماع الأمة الإسلامية.

(٢) لحديث «آية المنافق ثلاثة إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان» رواه البخارى (١/ ٦١)، ومسلم (١/ ٥٦).

(٣) لحديث: «من حلف بغير الله فقد أشرك» رواه الترمذى (٤/ ١١٠)، وأحمد (١/ ٤٧)، والحاكم (١/ ٥٢). عن ابن عمر رضى الله عنهما.

٤ ـ **الرياء**: وهو القول أو الفعل مما هو عبادة شرعها الله تعالى وتعبد المؤمنين بها من أجل الناس ليحملوه بها، أو ليتركوا ذمه من أجلها، وهى من الشرك الأصغر لحديث: «إياكم والشرك الأصغر»: قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ «قال الرياء»[(١)].

٥ ـ **الكبر**: وهو عدم قبول الحق، واحتقار الناس لحديث «لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كبر»[(٢)] وسئل عنه ﷺ فقال «الكبر: بطر الحق وغمط الناس»[(٣)].

٦ ـ **الحسد**: وهو تمنى العبد زوال النعمة عن غيره لتحصل له، أو لم تحصل! وهو فى حقيقة الأمر اعتراض على الله فى تصرفه فى خلقه، ولذا هو من أكبر الذنوب، وصاحبه لا يفلح. ومن الحكم قولهم: الحسود لا يسود[(٤)].

٧ ـ **الحقد**: وهو الإصرار على عدواة المؤمن، وإرادة الشر له.

٨ ـ **الغِلّ**: وهو بغض المؤمن، وعدم الرضا عنه.

٩ ـ **الشح**[(٥)]: وهو البخل بالخير، أو المعروف مع الحرص على حيازته للنفس، وعدم بذله لغيرها من الناس.

١٠ ـ **العجب**: وهو إعجاب المرء بنفسه، أو بقوله، أو عمله، مع رؤية الفضل له على غيره، وهو من أخطر أمراض القلوب التى قلَّما ينجو صاحبها.

---

(١) فى رواية أحمد (٥/ ٤٢٨): «إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر. قالوا وما الشرك الأصغر يا رسول الله؟ قال: الرياء...» الحديث.

(٢) رواه مسلم (١/ ٦٥).

(٣) رواه أبو داود (٢/ ٣٨١) والترمذى (٤/ ٣٦١).

(٤) وفي الصحيح: «ولا تحاسدوا» وهو نهى يقتضى التحريم، فالحسد إذاً حرام.

(٥) فى الحديث: «اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم..» الحديث رواه مسلم (٨/ ١٨).

وأما الطهارة الحسية وهى طهارة البدن، والثوب، والمكان:

أما طهارة البدن: فهى عبارة عن سلامة بدن المؤمنة من الخبث الذى هو البول، والعذرة، والدم، إذ هى تستنجى[1] بالماء كلما تبولت، أو تغوطت فتغسل فرجيها بالماء، وإن لم تجد الماء تستجمر بحجارة أو ورق، أو خرق ثلاث[2] مرات. حتى تخرج الخرقة، أو الورقة، أو الحجارة[3] الأخيرة جافة، وتحافظ دائماً أن لا يمس بدنها نجاسة من بول، أو دم أو عذرة، وإذا أصاب بدنها شىء من ذلك غسلته بالماء الطهور الذى يُرْفع به الحدث، وهو الماء الباقى على أصل خِلْقته بحيث لم يخالطه شىء يغير لونه، أو طعمه، أو ريحه، وذلك كماء الآبار، والأنهار، والبحار.

كما هى أيضاً سلامة البدن مما قام به من حدث أصغر أو أكبر. فالحدث الأصغر ما يوجب الوضوء، والأكبر ما يوجب الغسل.

أما الوضوء: فهو أن تنوى المؤمنة رفع الحدث الأصغر قائلة بسم الله، وتغسل كفيها ثلاثاً قبل أن تدخلهما الإناء، ثم تتمضمض ثلاثاً، وتستنشق ثلاثاً، وتغسل يديها إلى المرفق ثلاثاً اليمنى قبل اليسرى، وتمسح رأسها مع أذنيها مرةً واحدة، وتغسل رجليها إلى الكعبين ثلاثاً أو أكثر حتى تعمم بهما الماء، وتنقيهما من الأذى[4].

---

(١) من آداب قضاء الحاجة ما يلى:

١ ـ أن لا تستقبل القبلة ببول، ولا غائط لنهى الرسول ﷺ عن ذلك.

٢ ـ أن يبدأ الداخل إلى بيت الخلاء برجله اليسرى، وإذا خرج قدم اليمنى ويقول: بسم الله عند الدخول والحمد لله لما يخرج، لورود هذا فى السنة.

٣ ـ أن لا يستجمر بروث، ولا عظم لنهى الرسول ﷺ عن ذلك.

(٢) يستحب قطع الاستجمار على وتر ثلاث أو خمس أو سبع.

(٣) يستحب الجمع بين الاستجمار والاستنجاء. وكل منهما كاف فى الطهارة غير أن الماء أطيب، والجمع أكمل.

(٤) هذه، صفة الوضوء الواردة فى حديث عثمان رضى الله عنه فى الصحيح: إذا توضأ ثم قال: «هكذا رأيت رسول الله ﷺ يتوضأ» رواه البخارى (١/ ٥١)، ومسلم (١/ ١٤١).

هذا وموجب الوضوء، أو ناقضه[١] ما يلي:

١ ـ الخارج من الفرجين من بول، أو غائط أو فساء أو صراط، أو مَذْى[٢].

٢ ـ النوم الثقيل إن كان النائم جالساً أو متكئاً، والخفيف أو الثقيل إن كان مضطجعاً.

٣ ـ مس الفرج باليد إن لم يكن هناك حائل كثوب ونحوه[٣].

وإذا انتقض الوضوء بناقض مما ذكر فلا يجوز لصاحبه الصلاة، ولا الطواف، ولا مس المصحف حتى يتوضأ.

وأما الغسل: فهو أن تنوى[٤] المغتسلة رفع الحدث الأكبر قائلة؟ بسم الله، وتُفرغ الماء على كفيها فتغسلهما ثلاثاً، ثم تتوضأ الوضوء الأصغر، ثم تخلل شعر رأسها ثلاثاً، ثم تُفرغ الماء على رأسها فتغسله ثلاثاً مع الأذنين ظاهرهما وباطنهما، ثم تفيض الماء على شقها الأيمن ثم الأيسر من الرأس إلى القدم وتتبع المواضع التى ينبو[٥] عنها الماء كالسرة، وتحت الإبطين، وتحت الركبتين.

وموجب الغسل: الأمور التالية:

١ ـ **الجنابة**: وهى الجماع، فإذا التقى الختانان وجب الغسل[٦]، وإن لم يكن شهوة ولا إنزال.

٢ ـ **الاحتلام**: وهو أن ترى النائمة أنها تجامع فينزل منها ماء، فإن لم تنزل

(١) لا فرق بين القول بموجبات الوضوء أو نواقضه.

(٢) لا يستنجى من الريح ولا من الصراط وإنما الاستنجاء من البول، أو الغائط فقط.

(٣) الحديث: «من أفضى منكم بيده إلى فرجه فقد وجب عليه الوضوء» انظرى جامع الأصول (٧/ ٢٠٨)، «من مس ذكره فليتوضأ» رواه مالك (١/ ٤٢)، وأبو داود (١/ ٤١)، والنسائى (١/ ٨٤) والحديثان صحيحان وبهما العمل عند أئمة الفقه.

(٤) هذه الصفة للغسل واردة عن عائشة أم المؤمنين رواها أصحاب الصحاح والسنن.

(٥) ينبو عنها الماء: أى يتجاوزها، ولا يمس البشرة.

(٦) لحديث إذا التقى الختانان فقد وجب الغسل» انظر البخارى (١/ ٧٣)، ومسلم (١/ ١٨٦،١٨٧).

ماء فلا غسل عليها[١].

٣ ـ انقطاع دم الحيض، أو دم النفاس[٢].

انعدام الماء الطهور[٣] والتيمم

إذا عدمت أيتها المؤمنة الماء الطهور لوضوءك، أو غسلك، أو وجدته ولم تقدرى على استعماله لمرض أصابك كجراحات ونحوها، أو كان الماء بارد والجو بارد ولم تجدى ما تسخنين به الماء لتغتسلى وقد وجب عليك الغسل فاعلمى أن هناك بدلاً عن الوضوء والغسل وهو (التيمم) قال تعالى: ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر[٤] أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً[٥] فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه، ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج[٦] ، ولكن يريد ليطهركم ويتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون﴾[٧].

وكيفية التيمم: أن تضربى بكفيك الأرض ناوية استباحة الممنوع من الحدث الأصغر أو الأكبر بالتيمم قائلة: بسم الله، ثم تمسحى وجهك بيديك،

---

(١) «هل على المرأة من غسل إذا احتلمت يا رسول الله؟ فقال: إذا رأت الماء» الحديث البخارى (١/ ٤٣). ومسلم (١/ ١٧٢).

(٢) يعرف الإنقطاع بإدخال قطنة ونحوها فتخرج جافة، أو بوجود القصّة البيضاء، وهو ماء أبيض يخرج آخر الحيض، وهذه أنفع علامة، لأنها متى وجدت لا يأتى الدم بعدها بخلاف الجفاف فقد يرى الدم بعده.

(٣) تقدم معنى الطهور بفتح الطاء وهو الماء الذى لم يخالطه شىء يغير لونه أو ريحه، أو طعمه وما تغير بأصل خلقة فهو طهور كماء البحر، أو ماء يجرى على أرض تربتها حمراء فاحمر بها فلا يضر ذلك، وهو طهور وإن تغير لونه بما لا يفارقه عادة.

(٤) [سورة المائدة: ٦] [سورة النساء: ٤٣] ـ نظيرتها أيضا.

(٥) الصعيد الطيب هو التراب الطاهر أى الذى لم يتنجس ببول أو نحوه.

(٦) الحرج: المشقة الشديدة.

(٧) من أعظم أنواع الشكر إقامة الصلاة، فلذا تارك الصلاة كافر غير شاكر ومن الشكر حمد الله تعالى أو == الاعتراف بالنعمة له عز وجل، وصرف بعض النعم فيما من أجله أنعم بها على العبد كالتصدق بالمال، وتعليم العلم، وإعانة المحتاج ومساعدة الضعيف على عمله.

ثم كفيك بعضهما ببعض وبذلك أصبحت متطهرة فلك أن تصلى، أو تطوف أو تقرئى فى المصحف.

وينقض التيمم كل ما ينقض الوضوء، ويزيد بوجود الماء قبل الدخول فى الصلاة لمن عدم الماء فتيمم.

الحيض و النفاس

اعلمى أيتها المؤمنة أن للحيض والنفاس أحكاماً شرعية لا بد لك من معرفتها، وإليك بيانها مفصلاً:

أ ـ الحيض:

وهو الدم الخارج من الرحم عند انعدام الجنين غالباً، وهو دم أحمر قد يميل إلى السواد، وقد تكون له رائحة كريهة أحياناً. وأقل مدته يوم وليلة، وأكثرها خمسة عشر يوماً. والنساء فيه ثلاث:

١ ـ المبتدأة: وهى التى ترى الحيض لأول مرة، وحكمها: أنها إذا رأت الدم قد خرج منها لأول مرة تعلم أنها أصبحت حائضاً فتترك الصلاة، والجماع ودخول المساجد، وقراءة القرآن حتى تطهر بانقطاع دمها، ويعرف ذلك بالجفاف بأن تدخل قطنة فى فرجها وتخرجها فتجدها جافة ما فيها من بلل الدم. كما يعرف بخروج القصة البيضاء وهو ماء أبيض كالجير.

وقد ينقطع دم المبتدأة بعد يوم أو يومين أو ثلاث أو أكثر إلى نهاية مدة الحيض وهى خمسة عشر يوماً فإذا انقطع وجب عليها الغسل فتغتسل وتصلى،

وتوطأ[1] وتأتى كل ما كان محظوراً عليها بالحيض.

٢ ـ المعتادة: وهى التى لها عادة من كل شهر يأتيها الحيض فيها، وقد تكون يوماً أو أكثر إلى نهاية مدة الحيض وهى خمسة عشر يوماً.

فالمعتادة هذه تترك الصلاة، والوطء وكل ما يمنع بالحيض أيام عادتها، فإذا انتهت أيام عادتها، وانقطع الدم عنها اغتسلت وصلّت. وإن رأت بعد انقضاء عادتها، وحصول طهرها بالجفوف أو القصة البيضاء، صفرةً أو كُدْرةً، لا تلتفت إليها لقول أم عطية[2] الصحابية: «ما كنا نعد الصفر أو الكدرة بعد الطهر شيئاً»[3].

أما إذا انقطع الدم عنها قبل نهاية أيام عادتها فاغتسلت ثم عاودها الدم فإن عليها أن تقف عن الصلاة، وتعلم أنها حائض فإذا انقطع الدم بعد كمال عدتها اغتسلت، وصلت، وإن رأت بعد ذلك صُفرةً أو كُدْرةً فلا تبالى بها فإنها طاهرة.

المستحاضة:

وهى منْ دمها يجرى دائماً بلا انقطاع. وحكمها إن كانت لها عادة قبل أن تصاب بالاستحاضة، وكانت تعرف أيامها من كل شهر فإنها إذا جاءت تلك الأيام قعدت عن الصلاة، وغيرها حتى تنقضى تلك الأيام، ثم تغتسل، وتصلى، وتفعل كل ما كان ممنوعاً عنها بسبب الحيض. وإن لم تكن لها عادة، أو كانت لها ولكنها نسيت أيامها فإن عليها أن تنظر فى دمها الجارى عنها فإن كان يتغير من حمرة إلى سواد، وثخونة بعدما كان خفيفياً أحمر فقط فإنها إذا رأت

---

(١) قولنا: توطأ نريد إذا كان لها زوج وأراد منها ذلك فلا يفهم أن الوطء بعد الطهر لازم، أو عبادة فاضلة. وإنما بما أنها كان محظوراً عليها ذلك بسبب الحيض فإذا انتهى الحيض جاز لها فعل ما كان محظوراً عليها، ومن بين ذلك الجماع.

(٢) و (٣) هذه صحابية مجاهدة عالمة مفضالة روى عنها هذا فى صحيح البخارى (١/ ٨٥) بدون ذكر بعد الطهر. وهو فى الدرامى (١/ ٧٥) بلفظ بعد الغسل».

دمها تغير علمت أنها حائض وتركت الصلاة، فإذا عاد الدم إلى صفته اغتسلت وصلت.

وإن كان دمها لا يتغير فحكمها أنها تقعد من كل شهر مدة غالب الحيض(١). فلا تصلى ولا تصوم، ولا توطأ فإذا انقضت تلك المدة إغتسلت، وصلت(٢)، وهى طاهرة إلى دخول الشهر التالى.

ب ـ النفاس:

وهو الدم الخارج بعد الولادة مباشرة أو قبلها بيوم أو يومين، وحكمه أنه يمنع ما يمنعه دم الحيض سواء بسواء حتى ينقطع فإذا انقطع بعد الولادة، ولو بيوم أو أكثر اغتسلت المؤمنة، وصلت لأنها طاهرة. وإن استمر جارياً فهى نفساء لا تصلى، ولا تصوم إلى انقطاعه فإن انقطع قبل أربعين يوماً فذاك، وإلا اغتسلت وصلت بعد كمال الأربعين، ولو لم ينقطع دمها وهذا أحوط لدينها من انتظار انقطاعه إلى الستين(٣) يوماً وهى أقصى مدة النفاس عند أهل العلم.

موانع الحيض والنفاس

اعلمى أيتها المؤمنة أن دم الحيض والنفاس يمنع أموراً وهى:

١ ـ الصلاة فريضة كانت أو نافلة.

---

(١) مدة غالب الحيض ستة أيام أو سبعة.

(٢) دليل هذه المسألة حديث أبى داود (١/ ٦٢) والنسائى (١/ ١٠٢) وإسناده حسن وهو «أن أم سلمة استفتت الرسول ﷺ فى امرأة تهراق الدم؟ فقال: لتنظر عدة الليالى والأيام التى كانت تحيضهن من الشهر قبل أن يصيبها الذى أصابها فلتترك الصلاة قدر ذلك من الشهر فإذا خلفت ذلك فلتغتسل، ثم لتستثفر بثوب ثم لتصلى». ففى هذا الحديث دليل المستحاضة ذات العادة.

أما المستحاضة غير المعتادة فإنها تتحيض من كل شهر غالب الحيض تقعد فيه، ثم تغتسل وتصلى، ودليلها حديث فاطمة بنت حبيش رضى الله عنها: إذ قال لها الرسول ﷺ: «إذا كان دم الحيض فإنه أسود تعرف، فإذا كان كذلك فامسكى عن الصلاة، فإذا كان الآخر فتوضىء (بعد الاغتسال) وصلى فإنما هو عرق». راوه أبو داود(١/ ٦٦) والنسائى (١/ ١٠٢).

(٣) القائل بالستين يوماً مدة لنهاية النفاس الفقهاء المالكية ومن وافقهم كالشافعية.

٢ ـ الصيام مطلقاً إلا أن ما أفطرته من صيام رمضان عليها قضاءه بعد انقضاء رمضان فى حال طهرها، أما الصلاة فلا قضاء عليها فيها.

٣ ـ دخول المساجد مطلقاً لحديث: «لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب»[1].

٤ ـ قراءة القرآن الكريم، إلا أنه يرخص لها فى قراءة ما تخشى أن تنساه مما حفظته من كتاب الله تعالى.

٥ ـ الطواف مطلقاً لحج، أو عمرة أو لتطوع لأن المسجد ممنوع عنها، والبيت فى المسجد الحرام، ولأن الطواف يشترط له الطهارة كذلك.

هذا واعلمى أيتها المؤمنة أنه ينبغى لك إذا كنت فى آخر أيام حيضك أن تنظرى فى نفسك قبل الفجر من الليل، فإن رأيت الطهر اغتسلت، وصليت المغرب والعشاء، وتنظرى كذلك قبل طلوع الشمس فإن رأيت الطهر اغتسلت وصليت الصبح، وتنظرى قبل غروب الشمس بساعة فإن رأيت الطهر اغتسلت وصليت الظهر والعصر، وإيما وقت تطهرين فيه فاغتسلى فوراً فإن بقى من الوقت قبل خروجه قدر ما تصلين فيه ركعة وجب عليك أداء تلك الصلاة وإلا فليس عليك أداؤها ولا قضاؤها.

(١) رواه أبو داود (١/ ٥٣) وابن ماجه (ص ٢١٢) وهو صحيح الإسناد، وبه العمل عند سائر الفقهاء من أهل السنة.

الصلاة

هذه هى القاعدة الثانية من قواعد إسلامك أيتها الفتاة المؤمنة، أداؤها فى أول أوقاتها أفضل الأعمال، وتركها كفر[1]، وإقامتها إيمان، والتهاون بها موجب لسخط الرحمن، والمحافظة عليها تورث الفوز بالجنان. وما علمته من الطهارة وأحكامها هو شرط من شروطها التى لا تصح إلا بها، وباقى الشروط هى:

١ ـ ستر العورة بأن تكون المؤمنة عند دخولها فى الصلاة مستورة من قمة رأسها إلى أسفل قدميها، فإن صلت مكشوفة الشعر، أو النحر، أو الصدر، أو الذراعين، أو الساقين لم تصح صلاتها.

٢ ـ استقبال القبلة فإذا عرفت القبلة فاستقبليها بصلاتك وإلا بطلت عليك، وإن كنت لا تعرفيها فاسألى من يعرفها، فإن لم تجدى أحداً يدلك عليها فاجتهدى وصلى إلى الجهة التى غلب على ظنك انها القبلة فإن صلاتك صحيحة لقول الله تعالى: ﴿فأينَما تولُّوا فَثم وَجْهُ الله﴾[2].

٣ ـ طهارة البدن، والثوب، والمكان، وقد سبق لك معرفتها.

---

(١) للحديث الصحيح: «إن ما بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة» رواه مسلم (١/ ٦٢)، والحديث «إن العهد الذى بيننا بينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر» رواه النسائى (١/ ١٨٧) وغيره.

(٢) [سورة البقرة: ١١٥].

هذه شروط صحة الصلاة، وهناك شروط وجوبها، بمعنى أن الصلاة لا تجب على العبد إلا إذا توفرت تلك الشروط له وهى:

١ ـ الإسلام فغير المسلم لا يطالب بها إذ لا تصح منه حتى يكون مؤمناً، موحداً وغير المسلم ما هو بمؤمن، ولا موحد، بل هو كافر مشرك.

٢ ـ العقل إذ المجنون ومن لا عقل له لا تجب عليه الصلاة حتى يفيق بعودة العقل إليه[(١)].

٣ ـ البلوغ وهو السن التى إذا انتهى الصغير إليها أصبح مكلفاً شرعاً فتوجب عليه الصلاة، ويعاقب على تركها بالإعدام إن أصر على عدم أدائها.

وهناك علامات تظهر على الصبى والجارية فتدل على البلوغ وهى:

١ ـ الحيض إذا حاضت الجارية فقد بلغت ووجبت عليها الصلاة، وسائر التكاليف الشرعية.

٢ ـ إنبات الشعر حول الفرج فمن انبتت فقد بلغت.

٣ ـ الاحتلام فمن احتلم من الصغار فوجد المنى فى ثوبه فقد بلغ.

٤ ـ بلوغ ثمان عشر سنة[(٢)] من عمره.

فمتى لم يبلغ سن التكاليف لا يجبر على الصلاة، وإنما يؤمر بها دون إجبار إذا ميز ببلوغه السابعة[(٣)] من عمره، وإذا بلغ عشراً يضرب عليها إن تركها ضرباً خفيفاً، فإذا بلغ أجبر عليها حتى يؤديها أو يقتل كفراً.

---

(١) لحديث «رفع القلم عن ثلاثة، عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصبى حتى يحتلم، وعن المجنون حتى يعقل». رواه أبو داود (٢/ ٤٥٢)، والترمذى (٤/ ٣٢)، وابن ماجه (ص ٦٥٨).

(٢) هذه اقصى مدة ينتهى إليها عدم البلوغ، ومن أهل العلم من يرى خمسة عشر عاما هى أقصى مدة ينتهى إليها عدم البلوغ، وفى الحقيقة هذه حال غالبة فقط فقد يقدر فلا يبلغ الغلام إلا بعدها.

(٣) حديث: «مروا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر، وفرقوا بينهم فى المضاجع» رواه أحمد (٢/ ١٨٠، ١٨٧)، أبو داود (١/ ١١٥) بألفاظ مختلفة.

أركان الصلاة

إعلمى أيتها المؤمنة أن للصلاة أركاناً هى فرائضها، التى لا تصح إلا بها، ومعرفتها فى الجملة ضرورية، وذلك للتفرقة بينها وبين ما ليس فرضاً من أجزاء الصلاة، إذ الفرض لا بد من الإتيان به وإلا بطلت الصلاة، و أما غير الفرض من السنن الواجبة إذا ترك سهواً فإنه يجبر بالسجود، كما سيأتي بيانه.

وهذه أركان الصلاة فرائضها:

١ ـ **النية**: وهي قصد الصلاة، وتعيينها بالقلب.

٢ ـ **تكبيرة الإحرام**: الله أكبر، وأنت قائمة، معتدلة.

٣ ـ **قراءة الفاتحة**: الحمد الله رب العالمين إلى آخرها.

٤ ـ **الركوع**: انحناء الظهر، ووضع اليدين فوق الركبتين، مع الاعتدال، والطمأنينة فيه.

٥ ـ **الرفع من الركوع قائمة**، معتدلة، مطمئنة.

٦ ـ **السجود**: وضع الجبهة والأنف على الأرض مع الكفين، والركبتين وأطراف أصابع الرجلين فى اعتدال، وطمأنينة.

٧ ـ **الرفع من السجود**: جالسة معتدلة مطمئنة.

٨ ـ **السلام**: قول السلام عليكم ورحمة الله وأنت جالسة بعد التشهد[١].

هذه جملة الأركان التى هى فرائض الصلاة التى متى ترك منها فرض بطلت الصلاة إلا أن يتدارك، ويؤتى به.

(١) المراد بالتشهد: التحيات لله إلى وأشهد أن محمدا عبده ورسوله والصلاة والسلام على الرسول وآله والتعوذ من عذاب النار، وعذاب القبر، وفتنة المحيا والممات، وفتنة المسيخ الدجال.
على كل هذا يطلق لفظ التشهد الأخير فى الصلاة.

واجبات الصلاة أو سننها المؤكدة

أن من أجزاء الصلاة التى تقوم بها الواجبات أو السنن المؤكدة التالية والفرق بين الركن والواجب أو الفرض والسنة المؤكدة هو أن الركن لا يجبر بالسجود، والواجب يجبر بالسجود. وهذا بيان الواجبات أو السنن المؤكدة مجملاً:

١ ـ **قراءة سورة أو آية** فأكثر بعد قراءة الفاتحة فى الركعتين الأوليين من الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وكذا فى ركعتى صلاة الصبح مع القيام والاعتدال أثناء القراءة.

٢ ـ **التسميع والتحميد**: سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد[١] عند الرفع من الركوع، وأثناء القيام والاعتدال فيه.

٣ ـ **التسبيح فى الركوع**: سبحان ربى العظيم ثلاثاً فأكثر حال الركوع، وسبحان ربى الأعلى ثلاثاً فأكثر حال السجود.

٤ ـ **التشهد**: التحيات الله. والصلوات الطيبات، والسلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وذلك بعد الركعتين الأوليين من الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، وأنت جالسة.

٥ ـ **الصلاة على النبي ﷺ**: اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد[٢] كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد. وذلك وأنت جالسة بعد التشهد الأخير قبل السلام.

---

(١) يستحب زيادة حمداً كثيراً مباركاً فيه كما يحب ربنا ويرضى. أو ملء السموات وملء الأرض وملء ما بينهما ملء ما شئت من شيء بعد، أهل الثناء والمجد أحق ما قال العبد، وكلنا لك عبد. اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد.

(٢) توجد صيغ أخرى للصلاة غير أن هذه الصيغة أكمل وأتم.

(٣) جد الله: عظمته.

٦ ـ **الجهر بالقراءة**: فى الأوليين من المغرب والعشاء، وفى صلاة الصبح.

٧ ـ **الإسرار بالقراءة**: فى الظهر والعصر وثالثة فى المغرب، والأخيرتين من العشاء هذه السنن المؤكدة، أو الواجبات والتى إن ترك سنة منها سهواً أجبرت بالسجود بها.

وأما السنة غير الواجبة والتى لا شىء على من تركها سهواً فهى:

١ ـ رفع اليدين حذو المنكبين مع تكبيرة الإحرام، وكذا عند الركوع، وعند الرفع منه، وعند القيام من الركعتين، ووضعهما على الصدر حال القيام.

٢ ـ دعاء الاستفتاح بعد تكبيرة الإحرام وهو: سبحانك اللهم وبحمدك، تبارك إسمك، وتعالى جدك[١]، ولا إله غيرك[٢].

٣ ـ الاستعاذة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. والبسملة: بسم الله الرحمن الرحيم سراً أما الاستعاذة فهى فى أول ركعة من الصلاة وأما البسملة فهى عند قراءة الفاتحة والسورة من كل ركعة سواء كانت الصلاة جهرية، أو سرية.

٤ ـ قول آمين[٣] بعد قراءة الفاتحة جهراً خفيفاً.

٥ ـ تطويل القراءة فى الصبح والتوسط فى الظهر والعشاء وتقصيرها فى العصر والمغرب.

٦ ـ قول رب اغفر لى، وارحمنى، وعافنى، وأهدنى، وأرزقنى، فى جلوسك بين السجدتين فى كل صلاة.

---

(١) أى لا معبود بحق سواك.

(٢) معنى آمين اللهم استجب.

(٣) هذه السنن المؤكد منها وغير المؤكد ثابتة بأحاديث صحاح وحسان ومجموعها بمثل صلاة رسول الله ﷺ.

٧ ـ قول اللهم إنى أعوذ بك من نار جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيخ الدجال. بعد التشهد الأخير.

هذه هى السنن(١) التي لا يجب السجود لها لأنها سنن غير مؤكدة، وفى الإتيان بها أجر عظيم، فحافظى عليها أيتها المؤمنة.

سنن غير مؤكدة
خارج الصلاة

هناك سنن غير مؤكدة خارج الصلاة تركها لا يؤثر فى الصلاة، والإتيان بها لا يزيد فى أجرها، وإنما يؤجر فاعلها بأجر زائد عن أجر الصلاة وهى:

١، ٢ ـ **الأذان والإقامة**: وإن أذنت أو أقمت(٢) فلن يكون ذلك إلا سراً وإن تركت ذلك فلا شيء عليك.

٣ ـ **قول**: استغفر الله ثلاثاً بعد السلام.

٤ ـ **قول**: اللهم أنت السلام ومنك السلام، تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام ثلاثاً.

٥ ـ **قول**: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

٦ ـ **قول**: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. وقبلها: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر ثلاثاً وثلاثين.

٧ ـ **قراءة آية**(٣) الكرسى والصمد والمعوذتين.

---

(١) ألفاظ الإقامة كالأذان إلا أنها وتر إلا قد قامت الصلاة فإنها شفع.

(٢) ورد من طرق عدة أن من واظب على قراءة آية الكرسى دبر كل صلاة لا يمنعه من دخول الجنة إلا الموت، أى تأخر الموت عنه. الحديث رواه النسائى فى الكبير. والطبرانى ـ وانظر الوابل الصيب ص ١٤٣، ١٤٤ بتحقيق الأرناؤوط.

(٣) هناك خلاف بين الأئمة فى كل السجود هل هو قبل أو بعدى، ومنه القبلى ومنه البعدى، وأعدل الأقوال فيه إن كان لزيادة زادها المصلى سهوا يكون بعد السلام، وما كان لنقصان فإنه يسجد له قبل السلام وإن زاد ونقص إن شاء غلب جانب النقصان أو جانب الزيادة وسجد.

سجود السهو وبيان مواضعه

سبق أن عرفت أيتها المؤمنة أن من تركت ركناً من أركان الصلاة بطلت صلاتها إلا أن تأتى به، وأن من تركت واجباً (سنة مؤكدة) سهواً أن عليها أن تجبرها بالسجود، وصلاتها صحيحة. والآن إليك أمثلة لذلك:

١ - إن نسيت قراءة الفاتحة وتذكرت قبل الركوع أو وأنت راكعة فإنك تعودين قائمة وتقرأين الفاتحة ثم السورة. وإن تذكرت أنك ما قرأت الفاتحة وأنت فى الركعة الثانية فإنك تجعلين الركعة التى فيها هى الأولى، وتلغين الركعة الأولى التى لم تقرأى فيها الفاتحة. ثم تتمين صلاتك، وتسجدين بعد السلام أو قبله[1] سجدتين ثم تسلمين.

٢ - إن تركت ركعة، أو سجدة، وأنت ساهية وتذكرت ذلك وأنت فى الركعة التى بعدها فإنك تلغين تلك الركعة وتتمين صلاتك، وإذا فرغت فاسجدى للسهو سجدتين وسلمى.

أما إن تذكرت إنك سجدت سجدة واحدة وأنت تتشهدين فاسجدى السجدة المنسية وتشهدى، واسجدى للسهو وسلمى، وصحت صلاتك إن شاء الله تعالى. هذان مثالان لمن ترك فرضاً أى ركناً من أركان الصلاة، وكذا من ترك ركعة ساهياً أو ركعتين وتذكر بعد السلام وقبله فإنه لا يسعه إلا أن يأتى بما نسيه، ويسجد للسهو بعد السلام، ويسلم، وصلاته صحيحة.

٣ - إن نسيت قراءة السورة أو قول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد. أو التشهد الأول الذى بعد الركعتين أو التسبيح فى الركوع، أو السجود فإنك تسجدين قبل السلام وبعد التشهد سجدتى السهو، ثم تسلمين، وصحت صلاتك.

(١) بحيث لا يبدو منك إلا وجهك وكفيك.

٤ ـ إن نسيت فزدت ركعة، أو سجدة، أو جهرت بالقراءة مطلقاً ثم تذكرت فإنك تسجدين بعد السلام سجدتى السهو، ثم تسلمين، وصلاتك صحيحة إن شاء الله.

كيفية الصلاة

لقد عرفت أيتها المؤمنة أجزاء الصلاة كلها، فرائضها، وواجباتها، وسننها تفصيلاً.

وإليك الصلاة مركبة:

قفي متطهرة، مستورة[١]، وثياب طاهرة، على أرض أو فراش طاهر، مستقبلة القبلة وارفعي يديك حذو منكبيك قائلة: الله أكبر ناوية الصلاة التى قمت لها فرضاً أو نفلاً، ثم اقرأى دعاء الاستفتاح[٢]، ثم استعيذى وبسملى واقرأى الفاتحة، ثم سورة بعدها[٣]، ثم اركعى قائلة: الله أكبر رافعة يديك حذو منكبيك، ومدى ظهرك فى اعتدال مع رأسك، واضعة كفيك على ركبتيك قائلة: سبحان ربى العظيم ثلاث مرات أو أكثر، ثم ارفعى رأسك رافعةً يديك حذو منكبيك قائلة: سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، كما يحب ربنا ويرضى. ثم اهوى للسجود قائلة الله أكبر ومكنى جبهتك،

(١) دعاء الاستفتاح تقدم وهو سبحانك اللهم وبحمدك.. إلخ.

(٢) ليست السورة بلازمة إذ يكفى آية أو آيات من السورة كما يجوز أن تقرئى فى الركعة الواحدة سورتين، إذ ثبت هذا عن الرسول ﷺ فى صحيح مسلم (٢/٣٩).

(٣) فاتحة سورة المؤمنون.

وأنفك من الأرض، وكذا كفيك، وركبتيك، وأطراف أصابع قدميك، جاعلةً رأسك بين كفيك ثم سبحى قائلة: سبحان ربى الأعلى ثلاثاً فأكثر وادعى الله بما شئت من الخير، ثم ارفعى رأسك قائلة: الله أكبر، فأجلسى معتدلة على رجلك اليسرى ناصبة قدمك اليمنى واضعة كفيك على ركبتيك قائلة: رب اغفر لى وارحمنى، وعافنى واهدنى، وارزقنى، ثم قومى للركعة الثانية مكبرة، الله أكبر، فإذا اعتدلت قائمة فاقرأى الفاتحة والسورة، ثم أتمى صلاتك على نحو ما فعلت فى الركعة الأولى إلا أنك لا تقرأين فى ركعة المغرب الأخيرة وفى الأخيرتين من الظهر، والعصر، والعشاء إلا بالفاتحة دون السورة.

هذه كيفية الصلاة التى كان رسول الله ﷺ يصلى عليها، ويعلمها أصحابه رضوان الله عليهم، فصلى عليها ولا تنسى أعظم أركانها وهو الخشوع، فإن الخشوع هو روح الصلاة قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ المؤمنُون الذين هُم فى صلاتهم خاشعون﴾[1].

مبطلات الصلاة

إن الصلاة إذا استوفت شروطها،ة وأركانها، وواجباتها، وسننها كانت صلاة صحيحة، تزكى النفس، وتطهرها. ولكى تبقى كذلك ينبغى أن لا يطرأ عليها ما يفسدها، والمفسدات ويعبر عنها بالمبطلات كثيرة وهى:

١ ـ الكلام فيها لغير إصلاحها[2] عمداً أما سهواً فيسجد للسهو ولا تبطل.

٢ ـ الضحك فيها بقهقهة لا مجرد التبسم.

٣ ـ الأكل وإن قل كتمرة أو أقل.

(١) لحديث: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس». رواه مسلم (٢/ ٧٠).

(٢) لأن الرسول ﷺ ثبت عنه أنه كان يغمز رجل عائشة عند سجوده حتى تبعد رجليها من مكان سجوده

٤ ـ الشرب ولو جرعة ماء.

٥ ـ العمل الكثير فيها لا مجرد حركة[١].

٦ ـ انتقاض الوضوء فيها.

٧ ـ ذكر صلاة فاتته قبلها كأن يدخل فى العصر، ثم يذكر أنه لم يصل الظهر فإنه يخرج من العصر ويصلى الظهر ثم يصلى العصر.

٨ ـ أن يذكر أثناءها أنه غير متوضأ.

٩ ـ أن لا يعتدل ولا يطمئن فى الركوع أو القيام أو السجود[٢] أو الجلوس.

١٠ ـ أن يستدبر القبلة بحيث يعطيها ظهره كاملاً.

مكروهات الصلاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن هناك أموراً مكروهة أن تكون فى الصلاة قد تنقص من أجرها ولكنها لا تبطلها فاجتهدى أن تخلى صلاتك منها ما استطعت وهى:

١ ـ رفع البصر إلى السماء أثناء الصلاة[٣].

٢ ـ الالتفات بالرأس أو البصر فيها[٤].

٣ ـ التخصر أى وضع اليد على الخاصرة[٥].

الحديث البخارى (١/ ١٠٢)، ومسلم (٢/ ٦١)، وكذا حمله أمامه وهو يصلى، الحديث فى البخارى (١/ ١٣٠)، ومسلم (٢/ ٧٣).

(١) لقوله ﷺ للأعرابى الذى لم يطمئن فى صلاته: صل فإنك لم تصل ثلاث مرات حتى قال والذى بعثك بالحق لا أحسن غير هذا فعلمنى، فعلمه ﷺ أن يطمئن فى ركوعه ويعتدل فى قيامه ويطمئن فى سجوده وجلوسه الحديث فى البخارى (٨/ ١٦٩)، ومسلم (٢/ ١٠، ١١).

(٢) لحديث: ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء فى صلاتهم لينتهن عن ذلك أو لتخطفن أبصارهم، رواه البخارى (١/ ١٨٠، ١٨١)، ومسلم (٢/ ٢٩).

(٣) لقوله ﷺ: «هو: أى الالتفات: اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد» رواه البخارى (١/ ١٨١).

(٤) لقول أبى هريرة نهى رسول الله ﷺ يصلى الرجل مختصراً، والمرأة فى هذا كالرجل والحديث فى البخارى (٢/ ٨٠)، ومسلم (٢/ ٧٤).

(٥) لقول الرسول ﷺ: أمرت أن أسجد على سبعة أعظم، ولا أكف ثوباً ولا شعراً» رواه مسلم (٢/ ٥٢).

٤ ـ كف ما استرسل من الشعر، أو الكم، أو الثوب[١].

٥ ـ تشبيك الأصابع، أو فرقعتها فى الصلاة[٢].

٦ ـ مسح الحصا للسجود أكثر من مرة[٣].

٧ ـ قراءة القرآن فى الركوع أو السجود[٤].

٨ ـ اللعب باللحية، أو الخاتم، أو الثوب وهو يصلى[٥].

٩ ـ مدافعة الأخبثين: البول، أو الغائط[٦].

١٠ ـ الصلاة بحضرة الطعام.

١١ ـ الإقعاء: أن يلصق إليتيه بالأرض، وينصب ساقيه، ويضع يديه على الأرض كإقعاء الكلب[٧].

أوقات الصلاة[٨]

اعلمى أيتها المؤمنة أن للصلاة أوقاتاً تؤدى بها فلا يجوز أن تقدم عنها ولا تؤخر وهذه الأوقات علمها جبريل عليه السلام النبى ﷺ حيث نزل فصلى بالرسول ﷺ حول الكعبة صلاة الصبح عندما طلع الفجر، ثم نزل فصلى به صلاة الظهر بعدما زالت الشمس، وأخذ الظل فى الزيادة، ثم نزل فصلى به

(١) لحديث: «لا تفقع أصابعك وأنت فى الصلاة». رواه ابن ماجه (ص ٣١٠).

(٢) لحديث: «إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسح الحصى». وقوله: «إن كنت فاعلا فمرة واحدة». رواه أبو داود (١/ ٢١٧) وغيره.

(٣) لحديث: «نهيت أن أقرأ القرآن راكعاً أو ساجداً» رواه مسلم (٢/ ٤٨).

(٤) لحديث: «اسكنوا فى الصلاة» رواه مسلم (٢/ ٢٩).

(٥) لحديث: لا صلاة بحضرة الطعام، ولا هو يدافعه الأخبثان» رواه مسلم (٢/ ٧٨، ٧٩).

(٦) لحديث عائشة رضى الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ ينهى عن عقبة الشيطان، وينهى أن يفترش الرجل ذراعيه افتراش السبع»، رواه مسلم (٢/ ٥٤).

(٧) الأوقات جمع وقت وهو الزمن المحدد. ودليل توقيت الصلاة بأوقات محدودة معينة قوله تعالى من سورة النساء {إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتا} الآية: ١٠٣.

(٨) روى بيان أوقات الصلاة أبو داود (٨/ ٩٣)، والترمذى (١/ ٢٧٩) والنسائى (١/ ٢٠٤) ورواها مسلم (٢/ ١٠٦) من حديث أبى موسى فى سؤال سائل الله من مواقيت الصلاة.

صلاة العصر بعد ما صار ظل كل شىء مثليه، ثم نزل فصلى به صلاة المغرب بعد غروب الشمس، ثم نزل فصلى العشاء بعد ذهاب الشفق الأحمر، ثم جاءه من الغد حين أسفر جدا فقال قم فصلى، ثم جاءه الظهر حين صار ظل كل شىء مثله فقال قم فصلى، ثم جاءه العصر حين ظل كل شىء مثليه فقال قم فصلى، ثم جاءه المغرب وقتاً واحداً لم يتزل عنه، ثم جاءه العشاء حين ذهب ثلث الليل أو نصفه قال قم فصلى العشاء ثم قال له: ما بين هذين وقت[1]. يريد بهذا أن الصلاة وقتين: اختيارياً وهو الأول، وضرورياً وهو الثانى. ومعناه إذا لم تكن هناك ضرورة تستدعى تأخير الصلاة فلتصل فى أول الوقت، وإذا كانت هناك ضرورة تؤخر إلى الوقت الضرورى ولا حرج.

قضاء الصلاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن من نام عن صلاة أو نسيها حتى خرج وقتها وجب عليه قضاؤها فوراً بلا تراخ، وليقضها كما فاتته لقول الرسول ﷺ «من نام عن صلاة ونسيها فليصلها متى ذكرها فإنها لا كفارة لها إلا ذلك»[2].

أما ترك الصلاة عمداً فإنه يكفر به صاحبه لقول الرسول ﷺ «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر»[3]. ولذا اختلف العلماء فى هل تارك الصلاة عمداً تقبل منه لو هو قضاها أو لا تقبل؟ فمن قال: تصح منه، وتقبل أمره بالقضاء ومن قال: لا تصح منه، ولا تقبل قال بعدم القضاء.

ونحن نقول: من نشط للقضاء، وقضى، وأحسن القضاء فله ذلك، ومن لم يقض، واكتفى بالتوبة، وأكثر من النوافل فله ذلك وهو بخير إن صحت توبته، ومات على حسن الخاتمة.

---

(١) الحديث فى مسلم (٢/ ١٤٢) بمعناه، وفى البخارى (١/ ١٤٦) بذكر النسيان فقط، وهو فى أبو داود (١/ ١٠٣، ١٠٥) والترمذى (١/ ٣٣٥) والنسائى (١/ ٢٣٨).

(٢) رواه الترمذى (٥/ ١٣، ١٤) والنسائى (١/ ١٨٧).

(٣) بعض أهل الفقه يطلق على السنن المؤكدة لفظ الواجب وبما أن الصلوات الخمس هى الفرائض فإطلاق لفظ سنة على ما عداها أليق.

أقسام الصلاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن الصلاة أقسام وهى كالتالى:

١ ـ **الفرض**: هو الصلوات الخمس التى هى الصبح، والظهر، والعصر والمغرب، والعشاء.

٢ ـ **السنن المؤكدة**[1]: وهى العيدان، والاستسقاء، والكسوف للشمس، والخسوف للقمر، والوتر.

٣ ـ **السنن غير المؤكدة**[2]: وهى الرواتب: ركعتان قبل الظهر، وركعتان بعده، وركعتان قبل العصر، وركعتان بعد المغرب، وركعتان بعد العشاء، ورغيبة الفجر وهى ركعتان قبل صلاة الصبح وهى مؤكدة، وتحية المسجد ركعتان قبل الجلوس فى المسجد لمن أراد أن يجلس.

٤ ـ **النوافل المقيدة**: مثل صلاة الضحى وأقلها ركعتان وأكثرها ثمانية. وركعتان بعد الوضوء، وركعتان قبل المغرب، وصلاة التراويح فى رمضان، وصلاة الحاجة وهى ركعتان يصليهما المسلم، ويسأل الله حاجته بعدهما.

٥ ـ **النوافل المطلقة**: وهى صلاة المرء بالليل والنهار من غير ما ذكر آنفاً.

أوقات لا تصلى النافلة فيها

اعلمى أيتها المؤمنة أن هناك أوقات لا تصلى فيها النوافل وهى:

١ ـ من صلاة الصبح إلى أن تطلع الشمس وترتفع قيد رمح.

٢ ـ عندما تكون الشمس فى كبد السماء حتى تزول[3] ويدخل وقت الظهر.

٣ ـ من بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس ويدخل وقت المغرب، أما

---

(١) هذه السنن، والنوافل مقيدها ومطلقها ثابتة بأحاديث صحاح وحسان ولذا لم لم نذكرها اختصاراً واكتفاء ببيان المطلوب وهو الصلاة وهى خير موضوع فمن استطاع أن يستكثر منها فليستكثر.

(٢) يوم الجمعة مستثنى من هذا الوقت فإن من دخل صلى ما كتب الله تعالى له فى أى وقت من النهار.

(٣) رواه البخارى (٢/ ٦٧)، ومسلم (٢/ ١٥٥).

تحية المسجد فإنها تصلى فى كل وقت إلا عند طلوع الشمس وعند غروبها لقول الرسول ﷺ «إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يصلى ركعتين»[1] وقوله: «لا تحروا بصلاتكم الشمس ولا غروبها».

صلاة الجمعة

اعلمى أيتها المؤمنة أن صلاة الجمعة المذكورة فى قول الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة فاسعَوا إلى ذكر الله وذروا البيع﴾[2]، وغير واجبة على المؤمنة، وإنما هى واجبة على الرجال المؤمنين. ويسن لمن يأتيها الغسل، ولبس النظيف، والتطيب ويستحب التكبير لها. والمؤمنة إذا حضرتها تجزئها. وإن لم تحضرها لا شىء عليها، ولتصل الظهر أربع ركعات بدلها، فهو فرضها، ولا تنتظر انتهاء صلاة الجمعة بل تصلى الظهر عند دخول الوقت فى بيتها.

صلاة الجماعة

اعلمى أيتها المؤمنة أن صلاة الجماعة كصلاة الجمعة واجبة على الرجال دون النساء، وهى بسبع وعشرين درجة، ومع هذا فإن صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد مع الجماعة لقول الرسول ﷺ: «صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى المسجد»[3]، غير أنه لك أن تحضرى صلاة الجماعة فى المسجد إذا لم يكن هناك ما يخاف عليك منه كزحام الرجال فى الشوارع أو وجود فسقة يؤذون النساء، أو لصوص وما إلى ذلك، وللمؤمنة أن تصلى جماعة فى

---

(١) رواه البخارى (١/ ١٤٣)، ومسلم (٢/ ٢٠٧).

(٢) [سورة الجمعة:٩].

(٣) رواه أبو داود (١/ ١٢٤)، والحاكم (١/ ٢٠٩) وقال صحيح على شرطهما: ونصه: «صلاة المرأة فى بيتها أفضل من صلاتها فى حجرتها، وصلاتها فى مخدعها أفضل من صلاتها فى بيتها». روى الديلمى فى مسند الفردوس عن ابن عمر وصحح إسناده السيوطى أن صلاة المرأة وحدها تفضل على صلاتها فى الجمع بخمس وعشرين درجة.

بيتها مع نساء البيت وبناته.

ولتقف الإمامة فى وسط الصف، ولا تجهر بالقراءة ولا بالتكبير إلا يسيراً.

قصر الصلاة وجمعها(١)

اعلمى أيتها المؤمنة أن المسافرة إذا خرجت من البلد الذى تسكنه، وحضرت الصلاة فإنها تقصرها، فتصلى الرباعية ركعيتن فقط، وهى الظهر، والعصر، والعشاء، أما المغرب والصبح فلا تقصران، وهكذا حتى تنوى إقامة أربعة أيام فأكثر فإنها حينئذ تتم الصلاة ولا تقصرها، فإن لم تنوى إقامة أكثر من أربعة أيام قصرت ولو بقيت شهراً أو أكثر حتى تعود إلى بلدها.

ويجوز لها أن تجمع فى حال السفر، وحال المرض الشديد فتصلى الظهر مع العصر والمغرب مع العشاء جمع تقديم أو جمع تأخير. أى إن شاءت صلت الظهر والعصر فى وقت الظهر أو فى العصر، وكذا المغرب والعشاء إن شاءت صلتهما فى وقت المغرب أو أخرتهما إلى وقت العشاء.

صلاة المريض

اعلمى أيتها المؤمنة أن المريضة تصلى بحسب قدرتها، فإن استطاعت أن تصلى قائمة صلت قائمة، وإن لم تستطع صلت قاعدة، وإن لم تستطع صلت جالسة، أو على جنب، أو مضطجعة بحسب طاقتها.

هذا فى الفرض حيث القيام واجب، وأما النفل فلها أن تصلى قاعدة أو قائمة، وللقائمة الأجر كله، وللقاعدة نصف الأجر فقط.

---

(١) أحاديث قصر الصلاة صحاح، وفى القرآن الكريم {وإذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة} [النساء ١٠١]، فالقصر سنة لازمة، وأما الجمع فرخصة تؤتى عند الحاجة إليها إلا الجمع بعرفات ومزدلفة فعزيمة وليس برخصة.

أحكام الوفاة وصلاة الجنازة

اعلمي أيتها المؤمنة أن للموت أحكاماً فهناك جملة منها:

١ ـ يُسن عيادة المريض، فإذا مرضت إحدى أقاربك فاستأذني زوجك إن كنت ذات زوج وعوديها فإن من حق المسلم أن يعوده إذا مرض.

٢ ـ إذا احتضر المريض يستحب توجيهه إلى القبلة، وتلقينه لا إله إلا الله محمداً رسول الله، وتغميض عينيه، وتغطيته بثوب، وأن لا يقال عنده إلا خيراً نحو اللهم اغفر له وارحمه.

٣ ـ يجب تغسيل الميت غسلاً كغسل الجنابة، ثم يغسل جسمه بالماء والصابون حتى ينظف، ثم يحنط بأن يوضع شيء من الحنوط على مواضع السجود منه.

٤ ـ يجب تكفين الميت فتكفن المرأة في خمس لفائف، والرجل في ثلاث[1].

٥ ـ لا تغسل المرأة إلا المرأة، ولا بأس أن يغسل الرجل امرأته.

٦ ـ إذا ماتت امرأة بين رجال ونساء معهم، أو العكس يُيَمم الميت بمسح وجهه، وكفيه بالتراب، ويصلى عليه، ويدفن.

٧ ـ لا تشيع المؤمنة الجنازة لقول أم عطية: «نهينا أن نشيع الجنائز ولم يعزم علينا»[2].

٨ ـ تصلى المرأة على الجنائز كما يصلى الرجل، وتؤجر كما يؤجر، والصلاة على الميت فرض كفاية إذا حضرها البعض سقط الإثم عن البعض الآخر الذى لم يحضر.

(١) على وجه الاستحباب، وإلا فالواجب ستر المتوفى بثوب سابغ يغطى به بحيث لا يبدو رأسه ولا رجلاه. ومازاد على الثوب فهو حسن والنبى ﷺ كفن فى ثلاث ثياب بيض فلذا يستحب الأبيض فى الكفن.

(٢) حديث صحيح أخرجه مسلم (٣/ ٤٧) ونصه: «كنا ننهى عن اتباع الجنائز ولم يعزم علينا».

٩ ـ ويجب دفن الميت أى مواراته بالتراب بعد غسله، وتكفينه، والصلاة عليه ويضع المرأة فى قبرها أحد محارمها إن وجد و إلا فليضعها غيرهم ولا حرج.

١٠ ـ الصلاة على الميت كيفيتها: أن يوضع الميت على سرير، فيقف الإمام خلفه والناس خلف الإمام صفوفاً الرجال، ثم النساء وينوى الصلاة ويكبر قائلاً: الله أكبر، ويكبر المأمومون خلفه، ويقرأون الفاتحة، ثم يكبر، ويكبرون، ويصلون على النبى ﷺ، ثم يكبر، ويكبرون، فيدعون للميت اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وقه من فتنة القبر وعذاب جهنم. وإن كانت امرأة أنث اللفظ وقلت اللهم اغفر لها، وارحمها، وعافها، واعف عنها، وقها من فتنة القبر، وعذاب جهنم، ثم يكبر، ويكبرون، ويسلم ويسلمون.

١١ ـ يستحب تعزية أهل الميت بالدعاء للميت ولهم بنحو قول: أعظم الله أجرك، وأحسن عزاءك، وغفر لميتك. ويرد عليه المعزى: آجرك الله، ولا أراك مكروهاً.

١٢ ـ تحرم النياحة على الميت،، وكذا خمش الوجوه، وشق الثياب[(١)]، ويجوز البكاء بدون رفع صوت، وكذا حزن القلب لقول الرسول ﷺ: «العين تدمع والقلب يحزن ولا نقول إلا ما يرضى الرب»[(٢)].

١٣ ـ يحرم الحداد على الميت فوق ثلاث ليال[(٣)] إلا على زوج فأربعة أشهر وعشراً. والحداد أن تلزم المحدة بيتها فلا تفارقه إلا من ضرورة ولا تكتحل، ولا تلبس لباس زينة، ولا تتخضب بالحناء حتى تنقضى عدتها.

---

(١) لحديث: «إن رسول الله ﷺ برىء من الصالقة، والحالقة، والشاقة» رواه البخارى (٢/ ٩٩)، ومسلم (١/ ٧٠) ـ والصالقة التى ترفع صوتها فى المصائب، والحالقة: التى تحلق شعرها عند المصائب، والشاقة: التى تشق ثيابها فى المصائب.

(٢) لحديث: «إن العين تدمع، والقلب يحزن، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون». رواه البخارى (٢/ ١٠١)، ومسلم (٧/ ٧٦).

(٣) الحديث لا يحل المرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً». رواه البخارى (٢/ ٩٥)، ومسلم (٤/ ٢٠٢).

الزكاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن الزكاة أخت الصلاة[١] فما صلى من لم يؤتى الزكاة، ولا يسلم عبد ما لم يُقرّ الزكاة، ويؤديها متى ملك مالاً تجب فيه الزكاة.

والزكاة واجبة فى النقدين: الذهب والفضة وما يقوم مقامهما من العمل المتداولة اليوم فى العالم.

كما هى واجبة فى الحبوب، والثمار، والأنعام وهى الإبل، والبقر، والغنم ضاناً ومعزاً.

فإذا ملكت المؤمنة وزن سبعين جراماً من الذهب[٢]، أو أربعمائة وستين جراماً من الفضة، أو ملكت عملة تساوى أحد المقدارين المذكورين وجبت عليها الزكاة، فتزكيها بنسبة اثنين ونصف فى المائة[٣]، من كل أربعين واحداً، وهو ربع العشر.

(١) لحديث «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت». وفى القرآن الكريم ما ذكرت الصلاة إلا والزكاة معها مثل {أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة}.

(٢) السبعون جراماً هى وزن عشرين دينار أو مثقالاً شرعياً تقريباً.

(٣) وهو ربع العشر، إذ فى كل أربعين واحد، وفى العشر نصف. فهذه هى النسبة المطلوبة ٢،٥٠. أو العشرين.

ومن ملكت خمسة أوسق[١] من حب أو تمر وجبت عليها فيها الزكاة وهو العشر فيما يسقى بلا كلفة، ونصف العشر فيما يسقى بكلفة كماء الآبار المستخرج بالآلات.

ومن ملكت ذوداً من إبل أى خمسة أبعرة وجبت عليها فيها شاة إلى عشرة ففيها شاتان، ثم إلى خمسة عشر[٢] وفيها ثلاث شياة، إلى عشرين ففيها أربع شياة، فإذا بلغت خمسة وعشرين ففيها بنت مخاض أى أوفت سنة، ودخلت فى الثانية، فإن لم توجد بنت مخاض فابن لبون وهو ما أوفى سنتين ودخل فى الثالثة، حتى إذا بلغت ستاً وثلاثين ففيها بنتاً لبون، ثم إذا بلغت ستاً وأربعين ففيها حقة، وهى ما أوفت ثلاث سنين ودخلت فى الرابعة، ثم إذا بلغت إحدى وستين ففيها جذعة، وهى ما أوفت أربع سنين ودخلت فى الخامسة، حتى إذا بلغت ستاً وسبعين ففيها بنتا لبون، فإذا بلغت إحدى وتسعين ففيها حقتان. فإذا بلغت مائة وعشرين ففى كل أربعين بنت لبون، وفى كل خمسين حقة.

ومن ملكت ثلاثين بقرة وجب عليها فيها عجل[٣] أو فى سنة، فإذا بلغت أربعين وجب عليها فيها مسنة أوفت سنتين، فإذا زادت ففى كل أربعين مسنة، وفى كل ثلاثين عجل.

ومن ملكت أربعين رأساً من الغنم وجبت عليها فيها شاة، حتى إذا بلغت مائة وإحدى وعشرين وجبت عليها فيها شاتان، فإذا بلغت مائتين وواحدة فأكثر فيها ثلاث شياة، ثم فى كل شاة بالغة ما بلغت.

---

(١) الوسق: ستون صاعاً.

(٢) ما بين الفريضتين يقال له الوقص ولا زكاة فيه وهكذا فى سائر المواشى. الإبل، والبقر، والغنم.

(٣) يقال نبه تبيع لأنه مازال يتبع أمه، لم يستقل بنفسه لصغره.

زكاة الحلى

اعلمى أيتها المؤمنة أن الحلى وهى ما تتحلى به المؤمنة، وتتزين به لزوجها[1] من مصوغ الذهب والفضة قد اختلف العلماء سلفاً وخلفاً فى وجوب الزكاة فيه وعدمها والجمهور على أن الحلى لا زكاة فيه، لأنه كأثاث المنزل وهو لا زكاة فيه إجماعاً. وخلاف الجمهور يقولون بوجوب الزكاة فى الحلى وإن لم يقصد به القنية والاكتناز[2] وخروجاً من الخلاف قوّمى ما عندك من حلّى كل سنة وزكيه، وذلك خير لك وأطيب.

شروط وجوب الزكاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن لوجوب الزكاة على المؤمنة شروطاً وهى:

١ ـ أن تبلغ النصاب الذى بيناه سابقاً.

٢ ـ أن يحول الحول على النقدين، والأنعام.

٣ ـ أن يطيب الثمر، ويفرك الحب.

مصارف الزكاة

اعلمى أيتها المؤمنة أن للزكاة مصارف ذكرها الله تعالى فى قوله: ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفى الرقاب والغارمين، وفى سبيل الله. وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾[3] وبيان ذلك فيما يلى:

١ ـ الفقير وهو من لديه مال لا يكفيه، ولا يسد حاجته.

٢ ـ المسكين[4] وهو من ليس له شىء أبداً.

---

(١) هذا بحسب الغالب، وإلا فقد تتحلى وتلبسه من لا زوج لها بالمرة.

(٢) أن الحلى إذا قصد بشرائه الاقتناء والادخار للحاجة أصبح كنزاً ووجبت الزكاة فيه بلا خلاف.

(٣) [الآية: سورة التوبة: ٦٠].

(٤) مشتق من المرء تذله الحاجة، وتلصقه بالأرض فيقعد لا يستطيع التحرك مسكيناً.

٣ ـ العامل الموظف فى مصلحة الزكاة.

٤ ـ المسلم الجديد فى إسلامه يعطى كى يثبت على إسلامه.

٥ ـ الرقيق يعطى من الزكاة ما يشترى به نفسه، ويحررها بالمكاتبة أو إنجازاً.

٦ ـ الغارم وهو من عليه ديون ولم يجد سدادها، ولم يرتكبها فى معصية الله.

٧ ـ المجاهد فى سبيل الله: الغازى.

٨ ـ ابن السبيل وهو المسافر المنقطع فى طريقه وإن كان غنياً فى بلاده.

الصدقات(1)

اعلمى أيتها المؤمنة أن هناك حقاً واجباً على المؤمنة فى مالها غير الزكاة وهذا بيان ذلك:

١ ـ صلة الرحم فإذا كان أحد أرحامك جائعاً، أو عارياً وكان عندك فضل مال وجب عليك أن تتصدقى عليه.

٢ ـ أن يدخل عليك فى بيتك مؤمنة سواء كانت قريبة أو بعيدة فإنك مأمورة أن تتصدقى عليها ولو بجرعة ماء.

٣ ـ إن كان هناك جهاد فى سبيل الله، وكان عندك فضل مال فإنك مأمورة أن تخرجى من مالك شيئاً ولو قل نصرة لدين الله تعالى.

---

(١) هذه تسمى صدقة التطوع وقد ورد فى فضلها الكثير من الأحاديث النبوية المرغبة فيها منها:
(أ) «تصدقوا فيوشك الرجل يمشى بصدقته فيقول الذى أعطيها لو جئت بها بالأمس قبلتها أما اليوم فلا حاجة لى بها، فلا يجد من يقبلها»، رواه البخارى (٢/ ١٢٩)، ومسلم (٣/ ١٤). واللفظ له.
(ب) اتقوا النار ولو بشق تمرة، فإن لم تجد فبكلمة طيبة»، رواه البخارى (٨/ ١٤)، ومسلم (٣/ ٨٦).
(ج) «لا يتصدق أحد بتمرة من كسب طيب إلا أخذها الله بيمينه فيربيها كما يربى أحدكم فَلُوّة (مهر) حتى تكون مثل الجبل أو أعظم»، رواه البخارى (٢/ ١٢٨)، ومسلم (٣/ ٨٥) واللفظ له.
(د) «يا نساء المسلمات لا تحقرن جاره لجارتها ولو فرسن شاة». رواه البخارى (٣/ ١٩٠)، ومسلم (٣/ ٩٣) ـ والفرسن: عظم قليل اللحم، وأريد به ولو أن تتصدق بشىء يسير جداً.

وأخيراً:

إن أبواب الخير كثيرة فلا تحرمى نفسك من التصدق ولو بشق تمرة فإنك تنفقين نفقة ترجين بها ثواب الله إلا حَطَّ الله بها خطاياك ورفع بها درجاتك، ودفع عنك من السوء بقدرها.

الصيام

اعلمى أيتها المؤمنة أن الصوم[1] من خير القرب، وأعظمها أجراً، وإن الله تعالى قال فيه: ﴿كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لى وأنا أجزى به﴾[2]. وقال فيه رسول الله ﷺ: لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك»[3]. وقال: «من صام يوماً فى سبيل الله عز وجل بَعَّد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً»[4].

والصوم فرض، وتطوع. فالفرض صوم رمضان إذ هو إحدى قواعد الإسلام الخمس، وفرضه الله تعالى بقوله: ﴿يأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون، أياماً معدودات﴾[5]، وقال فيه رسول الله ﷺ: «بنى الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت»[6].

---

(١) الصوم والصيام مصدارن بمعنى واحد.

(٢) رواه البخارى (٨/ ٢١١)، ومسلم (٣/ ١٥٧).

(٣) رواه البخارى ومسلم، وهو ضمن الحديث المتقدم والخلوف، رائحة الفم التى تكون من خلو المعدة من الطعام.

(٤) رواه البخارى (٤/ ٣٢)، ومسلم (٣/ ١٥٩)

(٥) [سورة البقرة: ١٨٣، ١٨٤].

(٦) رواه البخارى (١/ ١٠)، ومسلم (١/ ٣٤).

وأما التطوع فهو كثير منه المعين، ومنه غير المعين، فالمعين هو:

١ ـ صوم يوم عاشوراء وتاسوعاء قبله(١).

٢ ـ صوم يوم عرفة لغير الحاج(٢).

٣ ـ صيام الأيام البيض الثالث عشر والرابع عشر(٣) والخامس عشر من كل شهر.

٤ ـ صوم يومى الإثنين والخميس(٤).

٥ ـ صيام ستة أيام من شوال(٥).

وغير المعين هو الصيام المطلق من كل شهر وطوال السنة، وأحب الصيام إلى الله تعالى صيام يوم بعد يوم لقوله ﷺ: «أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً»(٦).

ما يحرم من الصيام وما يكره

اعلمى أيتها المؤمنة أن من الصوم ما يكون محرماً، ومنه ما يكون مكروهاً فالمحرم ما يلى:

١ ـ صيام الحائض والنفساء.

٢ ـ صيام يومى العيدين.

٣ ـ صيام أيام التشريق(٧).

٤ ـ صيام المريض الذى يخشى هلاكه.

---

(١) ثابت فى صحيح مسلم (٣/ ١٥١)، وثبت وأنه يكفر ذنوب السنة الماضية كما فى رواية مسلم (٣/ ١٦٧).

(٢) ثبت فى صحيح مسلم (٣/ ١٦٧)، أنه يكفر ذنوب سنتين الماضية الآتية.

(٣) ثبت فى صحيح مسلم (٣/ ١٦٧)، وأنه كصيام الدهر، لأن الحسنة بعشر أمثالها.

(٤) ورد حديث صومهما فى الترمذى (٣/ ١١٢)، والنسائى (٤/ ١٧٢). وابن ماجه (ص ٥٥٣).

(٥) ورد أنه كصيام الدهر ـ فى صحيح مسلم (٣/ ١٦٩).

(٦) أصل الحديث فى البخارى (٢/ ٦٠، ٦١)، ومسلم (٣/ ١٦٥).

(٧) أيام التشريق هى الأيام التى يكون الحاج فيها بمنى.

والمكروه ما يلى[1]:

١ ـ صيام الدهر بمعنى أن تصومى ولا تفطرى السنة كلها.

٢ ـ الوصال وهو صيام يومين بلا فطر بينهما.

٣ ـ صيام يوم الشك[2].

٤ ـ صيام المرأة بدون إذن زوجها، وهو حاضر غير غائب، وهذه الكراهة كراهة شديدة وصيام ما يلى الكراهة فيه كراهة خفيفة وهى:

١ ـ صيام يوم الجمعة منفرداً، وكذا يوم السبت.

٢ ـ صوم أواخر شعبان.

٣ ـ صوم يوم عرفة لمن هو بعرفة حاجاً.

أركان الصوم

اعلمى أيتها المؤمنة أن أركان الصوم التى ينبنى عليها ولا يصح بدونها ما يلى:

١ ـ النية قبل الفجر[3].

٢ ـ الإمساك عن الأكل والشرب ولو قل، وعن الجماع[4].

٣ ـ النهار وهو من طلوع الفجر إلى غروب الشمس.

فلا صيام بدون نية، ولا صيام مع عدم الإمساك عن المفطرات، ولا صيام فى غير النهار.

---

(١) كل صوم محرم أو مكره ثابت بدليله من السنة الصحيحة، واستغنينا عن ذكر الأحاديث الواردة فى ذلك اختصاراً، ولعدم الخلاف لكل ما ذكرنا من محرم الصوم ومكروهه ـ ومن أرادت الرجوع إلى الأحاديث فعليها بكتاب جامع الأصول (٦/ ٣٤٣ ـ ٣٥٩).

(٢) يوم الشك هو آخر يوم من شعبان وهو اليوم المكمل للثلاثين حالة عدم ثبوت الهلال.

(٣) لحديث: «إنما الأعمال بالنيات» رواه البخارى (١/ ٤)، ومسلم (٦/ ٤٨)، ولحديث «من لم يجمع من الليل فلا يصوم» رواه النسائى (٤/ ١٦٧)، والدارمى (١/ ٣٣٩)، وأبو داود (١/ ٥٧١).

(٤) لقول الله تعالى: {وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل} [سورة البقرة: ١٨٧]، فتضمنت الآية أركان الصيام.

سنن الصيام

اعلمى أيتها المؤمنة أن للصيام سنناً بها يعظم الأجر، وتكثر المثوبة، وهى ما يلى:

١ ـ تعجيل الفطر بمجرد ما يدخل الليل بغروب الشمس(١).

٢ ـ السحور ولو بشربة ماء(٢).

٣ ـ تأخير السحور إلى آخر الليل(٣).

٤ ـ أن يكون الإفطار على رطب، فإن لم يكن فتمر، فإن لم يكن فعلى ثلاث حسوات من ماء(٤).

مستحبات الصيام

اعلمى أيتها المؤمنة أنه يستحب فى صيام رمضان أمور هى:

١ ـ صلاة الليل أقلها إحدى عشرا ركعة(٥).

٢ ـ قراءة القرآن العظيم بالليل والنهار.

٣ ـ الصدقة من مال، أو طعام، أو ثياب(٦).

٤ ـ الدعاء بخير عند الإفطار(٧).

(١) و (٢) و (٣) لقول الرسول ﷺ: «ما يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر وأخروا السحور» أول الحديث رواه البخارى (٣/ ٤٥)، ومسلم (٣/ ١٣١).

(٤) هذه السنة ثابتة بالحديث الصحيح الذى رواه أبو داود (١/ ٥٥٠)، والترمذى (٣/ ٧٠)، وأحمد (٣/ ١٦٤).

(٥) تلك السنة التراويح وهى ثابتة بالإجماع.

(٦) لأن الحسنات تضاعف فى رمضان.

(٧) لحديث: «أنه كان إذا أفطر قال: اللهم لك صمت وعلى رزقك أفطرت» رواه أبو داود (١/ ٥٥١).

مفسدات الصيام

اعلمى أيتها المؤمنة أنه يفسد الصيام أمور وهى:

١ ـ الأكل والشرب.

٢ ـ الجماع.

٣ ـ وصول أى مائع إلى الجوف سواء كان من طريق الفم أو الأنف والأذن والعين.

٤ ـ التقيىء العمد.

٥ ـ رفض نية الصوم ولو لم يفطر بأكل أو شرب.

٦ ـ الردة عن الإسلام، والعياذ بالله تعالى[١].

مكروهات الصيام

اعلمى أيتها المؤمنة أنه يكره لك وأنت صائمة أمور وهى:

١ ـ المبالغة فى المضمضة والاستنشاق حال الوضوء[٢].

٢ ـ الاكتحال فى أول النهار.

٣ ـ مضغ العلك.

٤ ـ ذوق القدر لمعرفة الطعم، أو الملوحة.

٥ ـ الحجامة أو الفصد[٣].

فاجتهدى أن تجتنبى هذه المكروهات وإن كان الصوم لا يفسد بها:

---

(١) لقول الله تعالى: {ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله} وقوله تعالى: {لئن أشركت ليحبطن عملك} [سورة الزمر: ٦٥] أما رفض النية فيبطل الصيام لأن الأعمال بالنيات، فإذا نوى عدم الصوم، وعزم عليه بقلبه فهو غير صائم وإن لم يأكل ولم يشرب.

(٢) لحديث: «إذا توضأت فبالغ فى المضمضة والاستنشاق إلا أن تكون صائماً»، رواه أبو داود (١/ ٥٥٢) والترمذى (٣/ ١٤٦) وابن ماجه ص (١٤٢)، والنسائى (١/ ٥٧) وأحمد (٤/ ٣٣).

(٣) الاكتحال، ومضغ العلك، وذوق القدر كُرهت خشية أن يتسرب شىء إلى الحلق فيفسد الصوم. وكُرهت الحجامة والفصد خشية أن يضعف الصائم فيضطر إلى الفطر.

ما يباح للصائمة فعله

اعلمى أيتها المؤمنة أنه يباح للصائم أمور وهى:

١ - السواك للصلاة.

٢ - التبرد بالماء لشدة حر.

٣ - التداوى بأى دواء حلال لا يصل منه شىء إلى الجوف.

٤ - التطيب بالطيب، والتبخر بالبخور.

ما يعفى عنه الصائم

اعلمى أيتها المؤمنة أنه يعفى للصائم عن أمور وهى:

١ - غبار الطريق.

٢ - ابتلاع الذباب غلبة وبدون إراده بلعه.

٣ - بلع الريق ولو كان كثيراً.

٤ - الاحتلام.

٥ - طلوع الفجر عليه وهو جنب لم يغتسل بعد.

حكم من أفطر فى رمضان

اعلمى أيتها المؤمنة أن فى أفطرت فى رمضان عامدة بجماع فإن عليها قضاء ذلك اليوم مع الكفارة[1] وهى عتق رقبة، أو إطعام ستين مسكيناً، أو صيام شهرين متتابعين، وأما إذا أفطرت بغير الجماع بل بأكل أو بشرب فإن مالكاً وفقهاء المدينة يرون عليك الكفارة كذلك، وغيرهم يقول بالقضاء مع التوبة فقط.

---

(١) سميت الكفارة لأنها تكفر الذنب العظيم الذى ارتكبه من انتهك حرمة رمضان، وهى حرمة عظيمة، ولذا من أفطر فى التطوع أو فى قضاء رمضان لا كفارة عليه لعدم وجود حرمة شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن.
مسألة: إذا أكره الرجل امرأته على الجماع فإن المكرهة لا كفارة عليها، وإنما تقضى ذلك اليوم الذى فسد صومه وعلى الزوج الكفارة، والإثم العظيم.

وأما إن أفطرت نسياناً فلا شيء عليك، ولتتمي صيامك، ولا كفارة على من أفطر فى صيام التطوع، أو فى صيام قضاء رمضان، وإنما عليه قضاء ذلك اليوم الذى أفطر فيه فقط.

الاعتكاف فى رمضان

اعلمى أيتها المؤمنة أن الاعتكاف فى رمضان مرغب فيه، والاعتكاف هو ملازمة المسجد يوماً وليلة فأكثر من شهر رمضان لذكره فى القرآن الكريم، ولاعتكاف النبى ﷺ العشر الأواخر من رمضان، واعتكاف بعض نسائه معه(١). وللمؤمنة إن كان لها مسجد فى بيتها أن تعتكف فيه.

ويمنع المعتكف من كل شيء إلا العبادة، ولا يخرج إلا لقضاء الحاجة أى للتبول والوضوء. أو شراء طعام، ونحوه مما هو لازم له ويفسد الاعتكاف بالجماع لقول الله تعالى: ﴿ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد﴾(٢).

صدقة الفطر

اعلمى أيتها المؤمنة أن هناك صدقةً تسمى زكاة الفطر، وهى واجبة على كل مؤمن صغيراً أو كبيراً، ذكراً أو أنثى، حراً و عبداً(٣). ومقدارها صاع من تمر أو بر، أو أرز أو شعير.

والصاع أربع حفنات. ويجب إخراجها صبيحة يوم الفطر صلاة العيد، ويجوز إخراجها قبل العيد بيوم أو يومين، وتجزىء إذا أخرجت بعد صلاة العيد مطلقاً. وتعطى للفقراء والمساكين دون غيرهم.

---

(١) اعتكاف النبى ﷺ واعتكاف نسائه ثابت فى البخارى (٣/ ٥٩)، ومسلم (٣/ ١٧٥) وغيرهما.

(٢) [سورة البقرة: ١٨٧].

(٣) لحديث: «فرض رسول الله ﷺ الفطر صاعاً من تمر أو صاعاً من شعير على كل حر وعبد، وذكراً وأنثى من المسلمين» رواه البخارى (٢/ ١٥٣)، وزاد أبو داود. (١/ ٣٧٣) «والصغير والكبير».

الحج والعمرة

اعلمي أيتها المؤمنة أن من العبادات القولية والفعلية الحج والعمرة فالحج فرض مرة في العمر، والعمرة واجبة، أو سنة مؤكدة كذلك ولكل من الحج والعمرة أحكام، وإليك بيان ذلك:

أ ـ شروط وجوب الحج والعمرة وهي:

الاستطاعة وهي القدرة البدنية، والمالية، وأمن الطريق، وذلك لقول اللّه تعالى:

﴿وللّه على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾[١].

ومن الشروط وجوب محرم للمرأة يرافقها في حجها أو في عمرتها.

ب ـ أركان الحج والعمرة:

أركان الحج أربعة: وهي الإحرام، والوقوف بعرفة، والطواف والسعي بعده.

(١) الآية من [سورة آل عمران ٩٧]، وهي دليل فرضية الحج، وأما العمرة فدليلها قول الله تعالى من [سورة البقرة: ١٩٦] {وأتموا الحج والعمرة لله}.

وأما أركان العمرة فهى ثلاثة: الأحرام، والطواف، والسعى، ولها واجب واحد وهو الحلق والتقصير بعد السعى.

ج - واجبات الحج:

المبيت بمزدلفة ليلة العيد[1]، ورمى جمرة العقبة، يوم العيد، والحلق والتقصير، والمبيت بمنى ثلاث ليال لمن لم يتعجل، أو ليلتين لم تعجل[2]، ورمى الجمرات الثلاث بعد الزوال من كل يوم من أيام منى الاثنين أو الثلاثة، وطواف الوداع[3].

وهناك واجبات تتعلق بالأركان فواجب الوقوف بعرفة أن يكون الوقوف بعد الزوال ويستمر إلى دخول جزء من الليل، وواجبات[4] الطواف أن تكون الطائفة متطهرة، مستورة العورة، وأن يبدأ الطواف من الحجر الأسود، وأن توالى بين الأشواط السبعة.

وواجبات السعى: أن يكون السعى بعد الطواف، وأن توالى بين الأشواط السبعة، وأن تبدأ السعى من الصفا، وتنتهى بالمروة.

واجبات الإحرام:

أن يكون من الميقات، وأن يتجرد المحرم الذكر من المخيط، وأن تلبى عند إحرامها بأحد الأنساك قائلة: لبيك اللهم لبيك حجاً، أو عمرة، أو حجاً وعمره.

---

(١) لقول الله تعالى: ﴿فإذا أفضتم من عرفات فاذكروا الله عند المشعر الحرام﴾ [سورة البقرة ١٩٨]. والمشعر الحرام هو مزدلفة.

(٢) لقول الله تعالى: ﴿واذكروا الله فى أيام معدودات فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه﴾ [سورة البقرة: ٢٠٣].

(٣) الحديث ابن عباس رضى الله عنهما قال: «أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن الحائض» رواه البخارى (٢/ ٢٠٩)، ومسلم (٤/ ٩٣).

(٤) واجبات الطواف والسعى والإحرام عامة فى الحج والعمرة معاً.

٥ ـ محظورات الإحرام:

وإذا أحرم العبد يمنع مما يلى:

١ ـ لبس المخيط، وتغطية الرأس.

٢ ـ مس الطيب.

٣ ـ قتل الصيد.

٤ ـ الرفث وهو الجماع، ومقدماته.

٥ ـ قلم الأظافر.

٦ ـ قص الشعر أو حلقه[١].

فضل الحج والعمرة

اعلمى أيتها المؤمنة أن الحج والعمرة من أفضل الأعمال وأعظم القرب، وحسبك أن تتأملى فى الأحاديث التالية:

١ ـ قوله ﷺ: «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»[٢].

٢ ـ قوله ﷺ: «من حج هذا البيت ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[٣].

٣ ـ قوله ﷺ: «تابعوا بين الحج والعمرة فإنهما ينفيان الفقر والذنوب»[٤].

٤ ـ قوله ﷺ: «عمرة فى رمضان كحجة معى»[٥].

---

(١) كل ما ذكرنا من أركان الحج وواجباته ومحظوراته ثابت بالكتاب والسنة بما لا شك فيه، فلهذا لم نذكر أدلته من الكتاب والسنة طلباً للاختصار. ومن أرادت الوقوف فى أدلة ذلك فلترجع إلى جامع الأصول (٣/٣ ـ ٤٧٨).

(٢) ثابت فى البخارى (٣/٢)، ومسلم (٤/١٠٧).

(٣) ثابت فى البخارى (١/٢٥)، ومسلم (٤/١٠٧) بمعناه.

(٤) رواه أحمد (٦/١٦٥)، والترمذى (٣/١٦٦)، والنسائى (٥/٨٧)، وابن ماجة (ص ٩٦٤) وهو صحيح الإسناد.

(٥) رواه البخارى (٣/٢٣)، وابن ماجة (ص ٩٦٨) ـ وأصله فى البخارى (٢/١٥٦).

٥ ـ قوله ﷺ: «عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة»[(١)].

وأخيراً أنصح لك فى هذه الظروف أن تكتفى بفريضة الحج، وواجب العمرة، والزمى بيتك كما قال رسول اللّه ﷺ لأزواجه وقد حججن معه حجة الوداع: «إنما هذه والحصر»[(٢)].

كيفية الحج والعمرة

اعلمى أيتها المؤمنة أن الحج المبرور هو الذى يستوفى فيه الحاج سائر أركانه، وواجباته، وسننه، وآدابه.

وكيفية الحج هى التالى

أن تغتسلى[(٣)] غسلاً كغسل الجنابة وإن كنت حائضاً، وتقلمى أظافرك، وتلبسى ثيابك الطاهرة، وإذا وصلت الميقات صليت فريضة أو نافلة، وقلت: لبيك اللهم حجاً، أو عمرة، أو حجاً وعمرة إذ الثلاثة جائزة، ناوية النسك الذى سميته، ثم تلبى قائلة: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، وواصلى التلبية حتى تصلى مكة، فإذا كنت طاهرة توضأت، ودخلت المسجد الحرام، وبدأت الطواف من الحجر الأسود مشيرة إليه بيدك قائلة: بسم اللّه واللّه أكبر، لأن تقبيل الحجر سنة، ولكن مع الزحام تركه أولى فطوفى سبعة أشواط وأنت ماشية، تذكرين اللّه تعالى، وتدعينه فى نفسك، فإذا أتممت السبعة الأشواط صليت خلف مقام

(١) الصحيح أن هذا الخبر موقوف على عمر رضى الله عنه، ونسبته إلى رسول الله ﷺ ضعيفه.

(٢) هذا الغسل سنة، ووقوع الإحرام بعد صلاة سنة، والإكثار من التلبية سنة، وتقبيل الحجر، والإشارة إليه باليد سنة، والصلاة خلف المقام سنة وشرب زمزم سنة، والسنة خلاف الواجب إذ الواجب إذا ترك يجبر بدم، والسنة لا شىء على من تركها غير راغب عنها. وهناك سنن أخرى وهى المبيت بمنى ليلة التاسع، وأما كشف الضبع، والرمل فى الطواف، والخبب فى السعى فهذه سنن الرجال دون النساء.

(٣) تلك كانت كيفية الحج والعمرة أيتها المؤمنة، فرددى قراءتها وتأمل فيها، وإذا قدّر لك أن تحجى، أو تعمرى فطبقيها ليكون حجك مبروراً، وعمرتك مقبولة، وإذا رزقت ذلك فلا تنسى مؤلف هذا الكتاب بالاستغفار له والترحم عليه مقابل إحسانه إليك أيتها المؤمنة.

إبراهيم، بعيدة عن الرجال ركعتين تقرئين فى الأولى بعد الفاتحة الكافرون وفى الثانية الصمد بعد الفاتحة، ثم اشربى من ماء زمزم، وادعى الله بما شئت، ثم اقصدى الصفا، فارقى عليها، وهللى، وكبرى، وأهبطى ساعية، ذاكرة داعية إلى المروة، فارقى فوقها، مهللة، مكبرة، ثم اهبطى واسعى إلى الصفا، وهكذا حتى تتمى سبعة أشواط، فإذا فرغت وكنت محرمة بعمرة فقصى من شعر رأسك قدر أنملة وأنت فى بيتك أو فى مكان بعيد عن أعين الرجال، وبذلك تمت عمرتك وتحللت.

أما إذا كنت مفردة الحج، أو قارنة فإنك تبقى على إحرامك حتى إذا كان يوم التروية ـ ثامن الحجة ـ خرجت ملبية لتبيتى بمنى ليلة عرفة، حتى إذا صليت الصبح من يوم عرفة طلعت إلى عرفة، فانزلى بها، وإذا دخل الظهر صليت الظهر والعصر جمعاً وقصراً، ثم تقفين للذكر والدعاء إلى غروب الشمس، فإذا غربت أفضت إلى مزدلفة، فإذا وصلت صليت المغرب والعشاء جمعاً المغرب تماماً، والعشاء قصراً وبيتى بها، فإذا صليت الصبح فانفرى إلى منى، وأرمى جمرة العقبة بسبع حصيات تكبرين مع كل حصاة قائلة: الله أكبر. ثم قُصى من شعرك قدر أنملة، ثم أفيضى إلى مكة لتطوفى طواف الإفاضة، وهو ركن الحج، وعودى إلى منى لتقضى بها يومين، أو ثلاثاً ترمين بها الجمرات الثلاث كل يوم بعد الزوال إلى الغروب، وإن رميت ليلاً للزحام جاز لك ولا حرج عليك، والرمى يكون بسبع حصيات لكل جمرة تبدئين بالصغرى، ثم الوسطى، ثم الكبرى وهى جمرة العقبة، فإذا قضيت أيام منى وأردت الانصراف إلى ديارك فطوفى بالبيت طواف الوداع وانصرفى، وإن كنت حائضاً فلا تودعى إذ لا شيء عليك، وقد تم حجك، وتقبل الله منك[1].

(١) هذه الأذكار فى الصحاح والسنن، وما هناك حاجة إلى تخريج أحاديثها.

أما العمرة:

فكيفيتها أن تغتسلى، وتحرمى من الميقات، فإذا وصلت البيت طفت سبعاً، وصليت خلف المقام ركعتين، وخرجت إلى الصفا فسعيت بين الصفا والمروة سبعة أشواط، فإذا فرغت قصرت من شعرك قدر أنملة، وقد تمت عمرتك، وتقبل الله منك.

إلى هنا انتهت أيتها المؤمنة العبادات المتمثلة فى قواعد الإسلام الخمسة: الشهادتان، والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

ودونها واجباتك، وآدابك، وأخلاقك. وسنوردها لك بابا بابا، ليسهل عليك معرفتها، وتطبيقها، لتكملى عليها، وتسعدى بها إن شاء الله تعالى.

المرأة المسلمة و واجباتها

اعلمى أيتها المؤمنة أن عليك واجبات كثيرة، هى قوام حياتك، ومصدر كمالك وعليها مدار سعادتك، فانهضى بها فى إخلاص، وأديها فى صدق.

وإليك تلك الواجبات إزاء سبعة أرقام، فاستعينى الله تعالى على فهمها، وتطبيقها، وأنها يسيرة إن يسرها الله عليك:

١ ـ المحافظة التامة على الصلوات الخمس بأدائها فى أوقاتها، وتطمئنين فى الركوع، والقيام، والسجود، والجلوس. وتخشعين بسكون أعضائك وخفض بصرك لتنظرى فى موضع سجودك. والإتيان بالذكر الوارد بعدها، وهو استغفر الله ثلاثاً، اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت يا ذا الجلال والإكرام قائلة: اللهم أعنى على ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك ثلاثاً، لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطى لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد. لا إله إلا الله ولا نعبد إلا إياه. له النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن الجميل وهو على كل شيء قدير.

وتقولين سبحان الله ثلاثاً وثلاثين، والحمد لله ثلاثاً وثلاثين، والله أكبر

ثلاثاً وثلاثين، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير مرة واحدة.

وتصلين الرواتب، وهى ركعتان قبل الظهر، وركعتان بعدها، وركعتان قبل العصر، وركعتان بعد المغرب، وثلاث ركعات بعد العشاء وهى الوتر الواجب.

٢ ـ طاعة زوجك إن كان لك زوج[1] أو أبويك أو أحدهما إن كنت غير متزوجة، وهذه الطاعة هى الاستجابة لهم، وإنفاذ أمرهم، والقول الحسن لهم، وخفض الصوت عندهم، وعدم مشاكستهم، أو مغاضبتهم، والاعتذار عند التقصير لهم، وطلب العفو منهم، مع الهش لهم، والبش فى وجوههم.

٣ ـ تربية أولادك إن كان لك أولاد، وذلك بتعليمهم ما ينفعهم، وتهذيب أخلاقهم، وتعويدهم على الجميل من القول والعمل، كالوفاء بالوعد، وصدق الحديث، وترك قول السوء وفعله، مع المحافظة على سلامة أبدانهم، ونظافة ثيابهم.

٤ ـ القيام بشؤون بيتك من نظافته، وترتيب أدواته، وإعداد الفراش، وإصلاح الطعام والشراب، وما يتبع ذلك من ترقيع ثوب، وغسل، وتطييب مجلس، وتطهيره، والعمل على أن يكون سكناً مريحاً، خالياً من الضجيج والصياح، بعيداً عما يقلق الراحة، ويجلب الهم والحزن.

٥ ـ بر والديك، وصلة أرحامك إن هذا واجب من آكد الواجبات إذ بر الوالدين كصلة الرحم مما أمر الله تعالى به فى كتابه، وعلى لسان رسوله محمد ﷺ قال تعالى:

(١) طاعة الزوجة لزوجها لا خلاف فى وجوبها، ولكن المعروف، وما ذكرت لك من وجوب الطاعة، ومواطنها هو من المعروف الذى لا خلاف فيه.

﴿وبالوالدين إحساناً﴾(١)،

وقال: ﴿أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير﴾(٢)، وقال: ﴿واتقوا الله الذى تساءلون به الأرحام﴾(٣)، وقال رسول الله ﷺ فى بيان أكبر الكبائر: «الشرك بالله، وعقوق الوالدين»(٤)، وقال: «لا يدخل الجنة قاطع رحم»(٥).

وبر الوالدين يكون بطاعتهما فى المعروف، وكف الأذى عنهما، والإحسان إليهما، وصلة الأرحام تكون بالسؤال عنهم، وزيارتهم، ومساعدتهم، ومشاركتهم فى أفراحهم، وأحزانهم، مع كف كل أذى عنهم سواء كان قولاً، أو فعلاً.

٦ ـ صون عرضك بغض بصرك، وخفض صوتك، وعدم خروجك من بيتك إلا من ضرورة، وترك الوقوف بالأبواب، والإطلال من النوافذ، والإشراف من السطوح والشرفات، مع عدم السماح لأقربائك غير محارمك بكشف الحجاب عنك، والخلوة بك. كلميهم من وراء حجاب، وسلمى عليهم بقولك، ولا تصافحيهم بيدك، لأنهم أقارب غير محارم ولا يسمعن ضيفك فى البيت صوتك فإن الديوثة من النساء من يسمعن ضيفها صوتها وهي فى حجرتها، هكذا روى عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها. وسأل رسول الله ﷺ فاطمة أى شيء خير إلى النساء قالت: «أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال».

٧ ـ الإحسان إلى جاراتك بالسؤال عنهن، والإحسان إليهن، وعدم أذيتهن ومساعدتهن إذا احتجن إلى ذلك والإهداء إليهن ولو فرسن شاة كما قال رسول الله ﷺ «لا تحقرن جارة لجارتها ولو فرسن شاة»(٦) فإن الله تعالى أوجب للجار

(١) [سورة البقرة: ٨٣].
(٢) [سورة لقمان: ١٤].
(٣) [سورة النساء: ١].
(٤) رواه البخارى (٨/ /٤)، ومسلم (١/ ٦٤) واللفظ له.
(٥) رواه البخارى (٨/ ٦)، ومسلم (٨/ ٨) واللفظ له.
(٦) رواه البخارى. (٢/ ١٩٠) ومسلم (٣/ ٩٣) ـ والفرسن: عظم قليل اللحم، والمراد به ولو شيئاً يسيراً.

حقاً فقال تعالى: ﴿والجار ذى القربى والجار الجنب﴾[1] وقال رسول الله ﷺ: «ما زال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[2].

كانت هذه واجباتك أيتها المؤمنة، فاستعينى بالله على أدائها، والنهوض بها، والله معك ولن يترك عملك.

(١) [سورة النساء: ٣٦].

(٢) رواه البخارى (٨/ ١٢)، ومسلم (٨/ ٣٧) واللفظ له.

آداب المرأة المسلمة

اعلمى أيتها المؤمنة أن لمثلك من نساء المؤمنين آداباً شرعية، عليها أن تقوم بها، وتحيا عليها طوال الحياة، وهى كثيرة، وإنى ذاكر لك طرف منها، فاعرفيه، والتزمى به فإنه خير ما تتجملين به، وتكملين عليه، وإليك ذلك:

١ ـ ذكر اسم الله تعالى على كل عمل تشرعين فى القيام به إذ كان رسول الله ﷺ وهو أسوة المؤمنين فى هذه الحياة: يذكر الله تعالى على كل أحيانه[(١)].

فاذكرى اسم الله قائلة: بسم الله عند الأكل، والشرب، واللباس، والطهى، والغسل، وعند الوضوء، والغسل، وعند دخول الحمام، والخروج منه[(٢)].

٢ ـ التزمى بنظافة ثوبك، وجسمك ومسكنك، ومضجعك فإن النظافة من الإيمان لحديث: «الطهور شطر الإيمان»[(٣)]. والأقذار والأوساخ تتنافى مع طهر المؤمنة، وطيب أرادنها، وكذا نظافة أبنائك ثياباً، وأبداناً، وألسنة، فإنك مسؤولة عنهم، وصلاحهم عائد إليك، سعادة فى الدنيا والآخرة، وكرامة فيها.

---

(١) رواه مسلم (١/ ١٩٤).

(٢) يستحب من الخروج من الحمام قول: الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى.

(٣) رواه مسلم (١/ ١٤٠).

٣ ـ إطالة ثوبك حتى يستر قدميك، وتخمير رأسك حتى يستر شعرك هذا فى بيتك وبين أهلك من أخ ووالد وولد، أما خارج المنزل فلا يرى منك وجهٌ، ولا كف، ولا قدم، ولايشم منك رائحة طيبة، ولا يرى عليك ثوب زينة. لحديث: «أيما امرأة أصابت بخوراً فلا تشهد معنا العشاء الآخرة»[١].

٤ ـ لا تكثرى الخروج من بيتك فإن الولاجة الخراجة من النساء مذمومة غير محمودة، إذ يؤدى بها ذلك إلى فقد الحياء، والحياء أخو الإيمان، وإذا ذهب الحياء ذهب الإيمان، وأجمل ما فى المرأة المؤمنة الحياء فإذا فقدته فقدت كل خير، وأى قيمة لامرأة لا خير فيها.

٥ ـ إن خرجت لأمر ضرورى استدعى خروجك كزيارة أقارب، أو شهود دعوة خير كصلاة فى المسجد، أو استسقاء فى مصلى، فاخرجى وأنت مستورة من قمة رأسك إلى أخمص قدميك ولا تكشفى عن حلة تلبسينها، أو حلة تتحلين بها، فإن ذلك مناف لحجاب المؤمنة، مؤدٍ بها إلى الخروج عن آدابها التى هى مصدر كمالها، ومنبع فضائلها، وطريق سعادتها.

٦ ـ عدم الاستشراف للناس بالوقوف عند الباب، ولا بالإشراف على السطوح، والشرفات، فإن ذلك مخل بالأدب، مُسبّبٌ للتعب، موجب للفتن، مورث للأمن والمحن. فالزمى بيتك راضية برضا ربك، قانعة بعطائه، مستسلمة لقضائه إذ قال لنساء نبيه وهن أمهات المؤمنين، وأفضل نساء العالمين ﴿وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله﴾[٢].

٧ ـ كونى غضيضة الصوت، شريفة القول، طيبة الروح، خفيفتها، بحبك الخير، ومساعدتك عليه، وكراهيتك للشر، ونفرتك منه، إذا مشيت فى الشارع لأمر تطلب ذلك فالزمى جانب الطريق، ولا تأكلى، ولا تتكلمى وأنت فى

(١) رواه مسلم (٢/ ٣٤).
(٢) [سورة الأحزاب: ٣٣].

طريقك إلى حاجتك، أو بيتك، فإن ذلك مخل بكرامتك، معرض لشرفك، ماس بدينك، ولا تغترى بما عليه أكثر النساء اليوم من المشى فى الشوارع كاشفات الوجوه، يتحدثن، ويأكلن فى الشوارع، وأمام الدكاكين، فإن هؤلاء قد قلدن الكافرات، واتسين بغير المؤمنات الشريفات فأصبحن مَثَل سُوء والعياذ بالله تعالى.

خلق المرأة المسلمة

إعلمى أيتها المرأة المسلمة أن الخلق الحسن هو قوام حياتك، وعليه مدار سعادتك فإن رزقته فقد رزقت كل خير، وإن حرمته فإنك حرمت من كل خير، والرسول ﷺ يقول لمن جاء يسأل عن البر «البر حسن الخلق»[(١)]، كما سئل عن أكثر ما يدخل الجنة فقال: «تقوى اللّه تعالى، وحسن الخلق»[(٢)]، وقال ﷺ فى بيان شرف حسن الخلق: «إن من أحبكم إلىّ وأقربكم منى يوم القيامة أحسنكم أخلاقاً»[(٣)]، وقال «إن العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخرة وشرف المنازل، وإنه لضعيف العبادة»[(٤)]. والأخلاق الفاضلة تُكتسَب بالرياضة، والمواظبة والتعود، وإليك جملة صالحة منها، فروضى نفسك عليها، وتعودى التخلق بها، وواظبى عليها تفوزين إن شاء اللّه تعالى بحسن الخلق، وحسبك خيراً وشرفاً حسن الخلق.

١ ـ الصبر: وهو أن تحبسى نفسك على الطاعات، وفعل الخيرات بلا

(١) رواه مسلم (٨/ ٧).
(٢) الترمذى وصححه (٤/ ٣٦٣).
(٣) روى البخارى (٨/ ٣٤)، وإن من أحبكم إلى أحسنكم خلقاً، وباقى الرواية فى الترمذى (٤/ ٣٧٠)، وأحمد (٤/ ٩٣، ١٩٤).
(٤) رواه الطبرانى وسنده جيد.

ضجر ولا ملل، كما تحبسينها بعيدة عن المعاصى وعن كل خلق سيء كالكذب والخيانة والغش والخسة، والكبر، والعجب، والبخل، والشح، والجزع بإظهار عدم الرضا بحكم الله، ومجارى أقداره فى عباده.

٢ - الصفح والإعراض عن كل ما تسمعين من كلمة نابية، أو حركة عنيفة، فلا تردى على السيئة بالسيئة، ولكن بالحسنة وهى الكلمة الطيبة، قابلى الجفاء والغلظة من أفراد عائلتك بالعطف، والرحمة، واللين، إن علت أصواتهم أخفضى صوتك، وإن قبحت كلماتهم جملى لفظك، وطيبى كلماتك، بهذا تملكين قلوبهم، وتظفرين بودهم، وقربهم، وحسن معاملتهم. قال تعالى: ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾(١). وقال تعالى: ﴿ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم * وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾(٢). وقال لرسوله ﷺ: ﴿فاصفح عنهم وقل سلام﴾(٣).

٣ - الحياء والاحتشام فالزمى نفسك بهذا الخلق فإنه أخو الإيمان، وجماع البر والإحسان، فاستحى من الله تعالى حق الحياء، فلا يراك على ما يكره، واستحى من الملائكة فلا تتكشفى فى خلوتك ما استطعت. واستحى من زوجك وأهلك ومن سائر الناس، فلا تقولى البذاء، ولا تنطقى بالفحش، ولا تعملى عملاً، أو تقولى قولاً يجانب الحشمة والحياء.

---

(١) الآية من [سورة الأعراف: ١٩٩]، وقد تضمنت أصول الخلق الفاضل، فقوله: {خذ العفو} أمر بأن لا يكلف المؤمن أخاه ما لا يقدر عليه من الأعمال، والأقوال، وما ليس عنده من أدب، وحسن خلق. وقوله: {وامر بالمعروف}. يريد وأمر الناس بالمعروف دون غلظة، ولا شدة، وبالمعروف من القول والفعل، وهو خلاف الباطل والمنكر وقوله: {واعرض عن الجاهلين} أمر بالصفح، ومقابلة الغلظة والجفاء بالعطف واللين والعفو، وعدم المؤاخذة. وكفى بهذه، أخلاقاً فاضلة تثمر الخير والبر، وتهدى إلى سبل السلام.

(٢) [سورة فصلت: ٣٤، ٣٥].

(٣) [سورة الزخرف: ٨٩].

إن الحياء كله خير، ولا يأتي إلا بالخير[(١)] فاستري محاسنك، ولا تتبذلي أمام أقاربك. حسني كلماتك، وغضي بصرك، وأطيلي ثيابك، ولا تكشفي رأسك فلا يفارقك خمارك، ولا عجارك إلا إذا خلوت بزوجك في عقر دارك.

٤ ـ كوني سخية فلا تبخلي بفضل طعام، أو شراب، أو كساء، أو دواء، أبذلي المعروف، وتصدقي من مال زوجك بعد استئذانه وإذنه فتشاطرينه[(٢)] الأجر والمثوبة، وتسلمي من العقوبة إن الله تعالى يقول: ﴿فأما من أعطى واتقى، وصدق بالحسنى، فسنيسره لليسرى﴾[(٣)]، فاحذري الشح، واتقيه بالصدقة القليلة والكثيرة. أحسني إلى جارتك كما تحسنين إلى أقاربك، واعلمي أن الله تعالى مع المحسنين.

٥ ـ عليك بالإيثار فآثري أهل بيتك على نفسك، فإن الإيثار من أخلاق الصالحين، وصفات الصديقين قال تعالى: ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[(٤)] جوعي ليشبع أهل بيتك، واظمئي ليرووا، اتعبي ليستريحوا، ولا تحسبي هذا نقصاً فيك بل هو الكمال، والجمال، والجلال. إنك بإيثارك الخير تصبحين سيدة، والسيدة خير من المسودة، وفي الحديث الشريف «خادم القوم سيدهم[(٥)] وقيل لأحدهم: «بم ساد فيكم فلان؟ قال: احتجنا إليه، واستغنى عنا». فاعرفي هذا الخلق، واكتسبيه بالرياضة للنفس، والمجاهدة لها.

٦ ـ الصمت، وحسن السمت، الزمي هذا الخلق فقللي من الكلام، ولا تتكلمي إلا بخير لقول الرسول ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل

---

(١) «الحياء كله خير» «الحياء من الإيمان» «والحياء لا يأتي إلا بخير» كلها أحاديث صحيحة، طالعيها إن شئت في جامع الأصول (٣/٦١٦ ـ ٦٢٣)، وصحيح مسلم (١/٤٦، ٤٧).

(٢) في البخاري «إن المرأة إذا تصدقت من مال زوجها بإذنه لها نصف الأجر وللزوج النصف».

(٣) [سورة الليل: ٥ ـ ٧].

(٤) [سورة الحشر: ٩].

(٥) رواه البخاري.

خيراً أو ليصمت»[١]، وإذا تكلمت فأوجزى فى الكلام، وقولى المعروف فقط. قال تعالى فى تأديب نساء النبى ﷺ: ﴿فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض، وقلن قولاً معروفاً، وقرن فى بيوتكن، ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾[٢]. والزمى حسن السمت فى لباسك، ومشيك وقعودك، وفى عملك، وقولك، فتأنى واحلمى، ولا تغضبى ولا تضجرى، ولا تفرحى فرح الأشر والبطر[٣]، ولكن احمدى الله تعالى، وأثنى عليه بنعمه. وأكثرى من شكره وحده.

٧ ـ أنصفى من نفسك فإن الإنصاف من حسن الإسلام[٤] تصنعى لزوجك كما تحبين أن يتصنع لك، وأكرهى لغيرك ما تكرهينه لنفسك، وأحبى لأهلك، وأقاربك وسائر المؤمنين ما تحبين لنفسك، وفى الحديث الصحيح «لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[٥].

إن من الإنصاف المأمور به أن تعاملى غيرك بما تحبين أن يعاملوك به، فلا ترى لنفسك الأثرة على غيرك، وكما تريدين أن يقال لك من جيل اللفظ وكريم القول فقولى أنت لغيرك ذلك، وكما تكرهين أن تؤذى فى عرضك، أو بدنك، أو مالك فاكرهى ذلك لغيرك. وبذلك تظفرين بخلق الإنصاف من النفس، وهو من حسن الخلق، وكريم الشيم، وطيب النفس.

تلك أيتها المؤمنة جلة من الأخلاق الفاضلة فتحلى بها، وتجملى باكتسابها، وعيشى عليها، تكملى وتسعدى. والله معك ولا يتركك فإن الله[٦] مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

---

(١) رواه البخارى (٨/ ١٣١)، ومسلم (١/ ٤٩).
(٢) [سورة الأحزاب: ٣٢، ٣٣].
(٣) الأشر: البطر والمرح فرحاً. والبطر: غمط الحق وغمض الناس.
(٤) هذا بعض حديث فى صحيح البخارى (١/ ١٥) تعليقاً.
(٥) رواه البخارى (١/ ١١)، ومسلم (١/ ٤٩).
(٦){إن الله مع الذين اتقوا...} [الآية، خاتمة سورة النحل: ١٢٨].

خصائص المرأة المسلمة

اعلمى أيتها المرأة المسلمة أن للمرأة خصائص ذاتية لا يشاركها فيها الرجل، كما للرجل خصائص ذاتية أيضاً لا تشاركه فيها المرأة ومتى حاول أحدهما الخروج عن خصائصه التى خصه الله تعالى بها إلى خصائص غيره فقد حصل المسخ الفطرى، والفساد البشرى، وضاع بذلك معنى الحياة البشرية الرفيعة، وهبط المجتمع إلى دركة البهائم، ومستوى الحيوانات، والعياذ بالله تعالى.

وإليك أيتها المرأة المؤمنة ما جاء فى شريعة الله من خصائص المرأة، فاعرفيها، والتزمى بها، ولا تحاولى التخلى عنها، ولا تسمحى للرجل أن يشاركك فيها فيظلمك، ويفسد الحياة عليك.

١ ـ اللباس:

إن للمرأة المؤمنة لباساً خاصاً بها يختلف عن لباس الرجل، تبعاً للمهام التى خلقت المرأة مهيأة لها دون الرجل، ومن أهمها: الإنجاب، والإرضاع، والتربية إذه هذه الأعمال تتطلب أن تكون المرأة المنوطة بها على حال تمكنها من القيام بها، ومن جملة ذلك اللباس المناسب الخاص.

فلباس المرأة ينبغى أن يكون جميلاً، حسناً، تتحلى به لزوجها، ولذلك أذن لها الشرع فى التحلى بالذهب مطلقاً، وفى لبس الحرير فى حين أنه حرمهما على

الرجل، إذ أخذ النبى ﷺ وهو على المنبر الذهب بيد والحرير بيد وقال هذان حرام على ذكور أمتى حل لإناثها[1].

وفى القرآن الكريم يقول تعالى: ﴿أو من يُنَشَّأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين﴾[2]، ولذا وجب أن يختلف لباس المرأة عن لباس الرجل، وأيما امرأة لبست لباس الرجل فقد ترجلت متعرضة للعنة من فم رسول الله الطاهر إذ يقول: «لعن الله المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»[3]. فالمرأة المسلمة فى بيتها وبين أهلها لا تكشف عن ساقيها، ولا عن ذراعيها، ولا تحسر رأسها فيبدو شعرها ولا تبدى موضع القلائد من صدرها، اللهم إلا إذا خلت بزوجها فإنها تبدى له ما تشاء من محاسنها، إذ هى مأمورة بالتصنُّع له، لغرض الإتصال بها من أجل الإنجاب، وكثرة الأولاد لعمارة الكون، وعبادة الديان، ومكون الأكوان الله الذى لا إله إلا هو، ذو الجلال والإكرام.

والمرأة إذا خرجت من بيتها لأمر استدعى خروجها تخرج جامعةً عليها ثيابها، لا يبدو منها إلا إحدى عينيها، تنظر بها طريقها فى ذهابها وإيابها، هذا شأنها كلما خرجت من بيتها لأمر طلب خروجها من ضرورات الحياة. وإذا اضطرت للجلوس مع الرجال كأن تكون فى سيارة، أو طائرة، أو مجلس علم، أو قضاء، أو زيارة أقرباء فإنها تجلس متخمرة، مستترة لا يُرى منها إلا ظاهر لباسها على جسمها.

هذه خصوصية المرأة المسلمة فى اللباس لا يشاركها فيها الرجل، وهى لا تشاركه فى كشف وجهه، ورأسه، وساعديه، وساقيه، وصدره، ونحره لها حالها الملائمة لطبيعتها، وله حاله الملائمة لطبيعته. فسبحان من خلق فسوّى، وقدر فهدى، وزايل فى الصفات والشبات بين الذكر والأنثى.

---

(١) حديث صحيح رواه أبو داود (٢/ ٣٧٢)، والنسائى (٨/ ١٣٨)، والترمذى (٤/ ٢١٧) بمعناه وقال: حسن صحيح.

(٢) [سورة الزخرف: ١٨]. والمراد بمن ينشأ فى الحلية: البنات.

(٣) رواه البخارى (٧/ ٢٠٥).

٢ ـ لزوم المرأة بيتها:

إن المرأة المسلمة تلازم بيتها، وهو مقر عملها، فلا تفارقه إلا من ضرورة تستدعى ذلك منها، وقد تكون أعمالها فى بيتها أكبر من طاقتها، فتحتاج إلى من يساعدها، ولذا أذن للرجل أن يتزوج أكثر من امرأة لحاجة البيت لذلك، أذ البيت مصنع الرجال والنساء، ودار السعادة والهناء.

وأعمال المرأة فى البيت: طهى الطعام، وغسل الثياب وترقيعها، وتنظيف البيت، وعمارته بالصلاة، وذكر الله وما والاه، وتربية الأولاد، وتهذيبهم، وإصلاح فراش الزوج وتطييبه ليكون مريحاً، مسعداً لها ولزوجها، وذلك بعد أداء فريضة الصلاة، وهى لازمة خمس مرات، تتطلب منها من ساعات ليلها ونهارها خمس ساعات، إذ شرط صحة الصلاة طهارة البدن، والثياب، والمكان، وإعداد ذلك لا بد له من وقت قصير أو طويل، يضاف إلى ذلك نافلة تُؤديها المؤمنة. قبل الصلاة وبعدها من تسبيح، وذكر ودعاء. فلهذا وقتها تستغرقه وظائفها، فلم يبق مجال للعمل خارج البيت. ومن هنا فأى عمل يطلب منها خارج البيت فهو مناف لطبيعتها، معوق لها عن أداء رسالتها التى لا يقدر عليها سواها. وقد تخرج من البيت لضرورة فتقدره بقدرها متى انتهت عادت إلى بيتها، ومقر عملها، وما كان لغير ضرورة فهو خروج باطل، وعمل غير صالح لا تقره االمسلمة، ولا تسلم بمثله.

٣ ـ ضرورة الولاية عليها:

إن من خصائص المرأة المسلمة ضرورة الولاية عليها فى أمور لا تستقل فيها بنفسها، لعجز قائم بها، ملازم لها حسب خلقتها التى خلقها الله تعالى عليها، وهذه الولاية تكون لزوجها، أو ذى محرم لها من أب، أو ابن، أو أخ، أو عم. وفى الأمور التالية:

أ ـ تزويجها، أذ لا بد لعقد القران من ولّى، وشاهدين، ومهر، وصيغة

يجريها الولى والخاطب.

ب ـ سفرها، إذ لا يحل للمؤمنة أن تسافر مسافة يوم وليلة إلا مع ذى محرم لها[١].

ج ـ طلاقها فى بعض صور الطلاق، وذلك فيما إذا تضررت بزواجها فإنها ترفع أمرها إلى القاضى، وهو ولى من لا ولى لها فيطلقها رفعاً للضرر الذى لحقها.

د ـ خلوتها بأجنبى عنها كطبيب يكشف عنها لمداواتها، إذ لا بد فى هذه الحال من محرم يكون معها أثناء الكشف، وإجراء العملية، ولو نساءً ورجالاً ممرضين وممرضات.

٤ ـ سقوط فريضة الجهاد عنها:

من خصائص المرأة المؤمنة سقوط فريضة الجهاد والغزو عنها وذلك لعجزها وانشغالها بمهام بيتها. فقد سئل الرسول ﷺ: «هل على النساء من جهاد؟ فقال: عليهن جهاد لا قتال فيه الحج والعمرة»[٢].

٥ ـ سقوط واجب حضور الجمع والجماعات:

من خصائص المرأة المسلمة سقوط واجب شهود صلاة الجمعة وصلاة الجماعة عنها، وذلك لعجزها، وانشغالها، بمهام رسالتها التربوية والقيومية فى البيت. الذى لا يعمر إلا بها، ولا يستأنس فيه إلا بوجودها صالحةً فيه.

٦ ـ عدم اشتراكها فى تشييع الجنائز:

وحملها، ودفنها وعدم زيارة القبور ولو قبر أبيها، أو أخيها، أو أمها، أو أختها، بُعداً بها عما يؤذيها فى نفسها من كل ضرر صغيراً كان أو كبيراً وإبقاء

(١) الحديث رواه البخارى (١/ ٥٢)، ومسلم (٤/ ١٠٣)، والموطأ (ص ٩٧٩).
(٢) رواه أحمد (٦/ ١٦٥)، وابن ماجه (ص ٩٦٨)، وأصله فى البخارى (٢، ١٥٦).

عليها لتؤدى رسالتها التى لا يقدر على أدائها الرجال مهما كانوا عظماء.

٧ ـ كون صوتها عورة:

لا يباح سماعه إلا لمحارمها من زوج وولد، وأب وأم ومن إليهم، ولذا سقط عنها فرض الأذان، وسنة الإقامة. والجهر بالقراءة. كما لم يؤذن لها فى أن تخطب الرجال أو تذيع الأنباء، أو تفتى إلا من ضرورة، وعلى أن يكون ذلك من وراء حجاب.

٨ ـ عدم توليتها:

لأى ولاية[1] من شأنها أن تضطرها إلى مخاطبة الرجال الأجانب، ومجالسهم، وذلك كالإمارة، والوزارة، والقضاء، وإدارة المصالح العامة كالشرطة والحِسبْة، وما إلى ذلك مما يضطرها إلى الخروج من بيتها. إلا ما رخص لها فيه شرعاً بحكم الضرورة كالخروج إلى الجهاد مع محارمها لمداواة الجرحى، والقيام عليهم أثناء انشغال الرجال بالقتال. كما يرخص لها للحاجة أن تعمل فى مزرعة، أو مصنع ليس فيه رجال أجانب غير محارم لها. هذا كله بالنسبة إلى غير القواعد، إذ القاعد عن الحمل والحيض لكبر سنها رُخِّصَ لها أن تخرج من البيت بغير حجاب، وتخاطب الرجل ولا حرج، وإن كان لزومها البيت خيراً لقوله تعالى: ﴿والقواعد من النساء اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة، وأن يستعففن خير لهن والله سميع عليم﴾[2].

٩ ـ اعتدادها من الطلاق والوفاة:

من خصائص المرأة أنها إذ تطلقت تعتد عدة الطلاق ثلاثة قروء إن كانت تحيض، أو ثلاثة أشهر إن كانت لا تحيض لصغر أو كبر، وتعتد عدة الوفاة

(١) لحديث البخارى (٨/ ١٠): «لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة».
(٢) [سورة النور: ٦٠].

أربعة أشهر وعشرا والرجل لا يعتد. وتربصه إذا طلق الأخت وأراد أن يتزوج أختها تنقضى عدة المطلقة لا سيما اعتداداً. كمن طلق رابعة وأراد أن يتزوج بأخرى عليه أن يتربص حتى تنقضى عدة من طلقها، ولا يسمى أيضاً اعتداداً، وإنما تربص لأن المطلقة الرجعية تعتبر زوجة ما دامت فى عدتها فخشية أن يكون جمع بين أختين، أو جمع بين أكثر من أربع نسوة أمر بهذا التروى لا غير.

١٠ ـ استحقاقها مهر الزوج:

إن من خصائص المرأة أنها تأخذ مهراً عن زواجها بالرجل، وليس للرجل أن يطالب بمهر لتزوجه بالمرأة ولو كانت هى الراغبة فى الزواج به والطالبة له.

هذه عشرة خصائص للمرأة المسلمة اختصت بها دون الرجل. فدل ذلك على أن الذكر ليس كالأنثى كما قال تعالى: ﴿وليس الذكر كالأنثى﴾(١). ومن هنا وجب تراعى هذه الخصائص، وأن لا يعتدى على المرأة فيها، بأمرها بالتخلى عنها، أو بمشاركة الرجال فيها، إذ ذلك ظلم لا يقَر، وباطل لا يقبل. وفساد عريض يقضى على معنى الحياة، وجمالها، وكمالها بالمرأة.

(١) [سورة آل عمران: ٣٦].

بين المرأة و لرجل

إن هناك أموراً كثيرة تشارك فيها المرأة الرجل مشاركة ناقصة بحسب طبيعة أنوثتها، وما جبلها اللّه عليه من ضعف بدنى وعقلى معاً، فيلزم المؤمنة أن تعرفها حتى لا تطلب منها إلا ما هو لها بالحكم الشرعى، ومن تلك الأمور ما يلى:

١ ـ شهادتها فى الأموال فإنها على النصف من شهادة الرجل:

قال تعالى: ﴿واستشهدوا شهيدين من رجالكم فإن لم يكونا رجلين، فرجل وامرأتان ممن يَرضون من الشهداء أن تضل[١] إحداهما فتذكر إحداهما الأخرى﴾[٢] الآية.

وقال الرسول ﷺ: «أليس شهادة المرأة مثل نصف شهادة الرجل؟»[٣].

(١) تضل بمعنى تنسى، فقد يطلق الضلال ويراد به النسيان. كما فى هذه الآية.

(٢) [سورة البقرة: ٢٨٢].

(٣) رواه البخارى (١/ ٨٠).

٢ - ترث المرأة المال إذا مات مورثها كما يرث الرجل إلا أنها تفارقه فيما يلى:

١ - ترث مع أخيها نصف ما يرث لقول الله تعالى: ﴿يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[١].

٢ - يعصب الذكر بنفسه، والأنثى لا تعصب إلا مع أخيها، أو ابن عمها الذى فى درجتها.

٣ - يرث الزوج من زوجته النصف إن لم يكن لها ولد، والربع إن كان لها ولد. والمرأة ترث من زوجها الربع إن لم يكن له ولد، والثمن إن كان له ولد، وهى مفارقة واضحة[٢].

٤ - تؤدَى بالقتل كما يودى الرجل إلا أن ديتها على النصف من دية الرجل، وكذلك فى الجراحات على النصف إذا بلغت ثلث دية الرجل.

٥ - تحرم المرأة للحج والعمرة كما يحرم الرجل إلا أنها تفارقه فى كونها تحرم فى ثيابها ويحرم هو فى إزار ورداء لا غير، ويكشف رأسه، ولا تكشف هى رأسها.

٦ - تكفن المرأة كما يكفن الرجل إلا أنه يستحب أن تكون ثياب كفنها خمس لفافات، والرجل ثلاث فقط ففارقت المرأة الرجل فيه.

٧ - تصوم المرأة وتصلى كما يصوم الرجل ويصلى إلا أنها تفارقه فى كونها إذا حاضت أو نفست لا تصوم ولا تصلى، ولا تدخل المسجد لحديث: «أليس إذا حاضت (المرأة) لم تصل ولم تصم»[٣].

وحديث: «لا أحل المسجد لحائض ولا لجنب»[٤].

(١) [سورة النساء: ١١].
(٢) وهو ثابت [بالآية رقم: ١٢ من سورة النساء].
(٣) رواه البخارى (١/ ٨٠).
(٤) رواه أبو داود (١/ ٥٣) وابن ماجة (٢١٢).

٨ ـ تعمل المرأة فيما تطيقه كما يعمل الرجل إلا أنها تفارقه فى العمل مع الرجال، إذ لا تعمل إلا بعيدة عن أعينهم حتى لا يروها، ولا تراهم صوناً لها عن الاختلاط المريب.

٩ ـ ينفق الرجل على المرأة، ولا تنفق المرأة على الرجل لمظنة قدرته، وثبوت عجزها.

١٠ ـ تصلى المرأة وراء الرجال، ولا يصلى الرجال وراء النساء.

هذه جملة من مفارقات المرأة للرجل ثبتت بالشرع الحكيم، فليس من حق المرأة أن تحاول الخروج عليها، وليس من حق الرجل أن يطالب بالدخول فيها إبقاء على القاموس[1] الإلهى فى الكون يجمله، ويكمّله، وينظمه إلى نهاية الحياة الدنيا.

(١) القاموس يطلق على معان منها الشريعة. والمقصود به هنا النظام الذى ربط الله تعالى به الحياة لتطول إلى نهايتها وأجلها المسمى لها.

المرأة و حقوقها العامة

إن للمرأة حقوقاً عامة ينبغى أن تعرفها، ويعترف لها بها لتستوفيها كاملة متى شاءت ذلك وأرادته. ونجمل تلك الحقوق هو إزاء الأرقام التالية :

١ حقها في التملك:

إذ للمرأة أن تملك من الدور، والضياع، والمصانع، والبساتين، والذهب، والفضة، وأنواع الماشية من إبل، وبقر، وشاة وسواء كانت زوجة أو أماً أو بنتاً أو أختاً، وذلك لقول الله تعالى: ﴿للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن﴾[١]، ولقول الرسول ﷺ «يا معشر النساء تصدقن ولو من حليكن»[٢]. ففي الآية دليل صريح على ملك النساء لقوله: ﴿مما اكتسبن﴾ إذ نسب الإكتساب لهن. وفي الحديث دليل ضمنى وهو أمرهن بالصدقة ولا يؤمر بالصدقة إلا من يملك ما يتصدق به.

٢ ـ حقها في الزواج

(١) [سورة النساء: ٣٢].

(٢) رواه البخارى (٢/ ١٤٣)، ومسلم (٣/ ٨٠).

وإختيار الزوج، وفى المخالفة، وفى الطلاق إذا تضررت، وهى حقوق مجمع على ثبوتها للمرأة، فلا تطلب لها دليلاً ما دام الإجماع ثابتاً.

٣ ـ حقها فى العبادات:

فرائض، ونوافل، وسواء البدنية منها، والمالية، والروحية. والفعل منها، والترك سواء، فكما تؤدى الفرائض بكل حرية تجتنب المحرمات بكل حرية، اللهم إلا ما كان من النوافل إذا تعارضت مع الحق الواجب للزوج فإنه يقدم الحق الواجب على النوافل. وهو أمر معقول، ومشروع إذ لا تتطوع المرأة بالصوم وزوجها حاضر إلا بإذنه. لحديث: «لا تصوم المرأة وزوجها شاهد يوماً من غير رمضان إلا بإذنه»[١].

٤ ـ حقها فى التعلم:

لكل ما هو واجب عليها كمعرفة اللّه تعالى، ومعرفة عبادته، وكيفية أدائها، ومعرفة الحقوق الواجبة عليها، والآداب اللازمة لها، والأخلاق الفاضلة التى عليها أن تتحلى بها لعموم الأمر فى قوله تعالى: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا اللّه﴾[٢]. وفى قول الرسول ﷺ: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»[٣].

٥ ـ حقها فى أن تتصدق

بما تشاء من مالها الصامت أو الناطق. وأن تنفق منه على نفسها، وعلى من شاءت من زوج، وأولاد، أو آباء، وأمهات ما لم تصل إلى حد الإسراف فيحجر عليها، شأنها فى ذلك شأن الرجل إذا سفه[٤].

---

(١) رواه البخارى (٧/ ٣٩)، ومسلم (٣/ ٩١)، والترمذى (٣/ ١٤٢) واللفظ له.

(٢) [سورة محمد: ١٩].

(٣) رواه ابن ماجة ص ٨١.

(٤) أى جهل التصرف فى الأموال فأفسدها، وأضاعها.

٦ ـ حقها فى أن تحب وتكره

فتحب من النساء الصالحات فتزورهن، وتهدى إليهن، ولها أن تراسلهن، وتسأل عن أحوالهن، وتواسيهن فى المصيبة، وتكره الفاسدات، وتبغضهن، ولها أن تهجرهن فى ذات الله تعالى. كما لها أن تحب من الرجال الصالحين إلا أنها ليس لها زيارتهم، ولا الاجتماع بهم، ولا مواساتهم إذ ذاك يؤذى الزوج، والأهل، وقد يسبب فتنة، أو يحدث ضررا. إذ الحب فى الله تعالى لا يشوبه غرض دنيوى.

٧ ـ حقها فى الوصية

بثلث مالها حال حياتها، وتنفيذها بعد مماتها بلا اعتراض عليها، ولا نكير، لأن الوصية حق شخصى عام، فكما تكون للرجال تكون للنساء، إذ لا غنى لأحد عن ثواب الدار الآخرة، والله يقول: ﴿وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا﴾[١].

٨ ـ حقها فى اللباس

إذ لها أن تلبس ما تشاء من الحرير والذهب الأمر الذى قيد فيه على الرجال[٢]. إلا أنها ليس لها أن تتعرى من ملابسها، وتتجرد من ثيابها فتلبس نصف ثوب أو ربعه، أو تحسر رأسها، أو تكشف عن نحرها وصدرها إلا إذا خلت بزوجها، كما ليس لها أن تخرج للشارع كاشفة عن وجهها وكتفها بل يجب ستر ذلك منها لأن الوجه منبت جمالها، ومحط زينتها، وكذلك كفاها لخضابهما بالحناء، والخواتم الذهبية فيهما.

---

(١) [سورة المزمل: ٢٠].

(٢) لحديث الصحيح فى إباحة الذهب والحرير للنساء وتحريمهما على الرجال وقد تقدم فى ص ٨٧.

٩ ـ حقها فى التجمل

لزوجها فتكتحل، وتضع الأحمر على خديها، وشفتيها إن شاءت ذلك، وتلبس أجمل الحلل وأبهاها، إلا أن لباساً عرف به غير المسلمات، أو عرف به المومسات العواهر فليس لها أن تلبسه بعداً عن ساحة الريب والباطل. قال تعالى: ﴿أو من يُنَشَّأُ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين﴾[(١)] إن فى هذا الكلام الإلهى دليلاً على أن للمرأة تتحلى وتتزين بما تشاء من أنواع الحلى، والحلل لحاجتها لذلك، لتؤدى رسالتها فى عمارة الكون بإنجاب البنين والبنات.

١٠ ـ حقها فى الشراب والطعام

فلتشرب ما لذّ وطاب، وتأكل كذلك، لا فرق بينها وبين الرجل فى الطعام والشراب فما أبيح منهما هو للرجال والنساء، وما حظر منهما فهو محظور على النساء والرجال على سواء. قال تعالى: ﴿وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾[(٢)]، والخطاب عام شامل للجنسين معاً.

---

(١) [سورة الزخرف: ١٨].

(٢) [سورة الأعراف: ٣١].

حق المرأة على زوجها[1]

إن من حقوق المرأة الخاصة حقوقها على زوجها، تلك الحقوق التى وجبت لها مقابل حقوق معينة هى عليها لزوجها، وذلك كطاعته فى غير معصية الله ورسوله ﷺ، وإعداد طعامه، وشرابه، وإصلاح فراشه، وإرضاع أولاده وتربيتهم، وحفظ ماله، وعرضه، وصيانة نفسها، وتحسنها، وتجميلها له بما هو مأذون فيه مباح من أنواع الزينة، وضروب التجميل.

وهذه جملة من حقوق المرأة الواجبة لها على زوجها بقول الله تعالى: ﴿ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف﴾[2] نذكرها إزاء الأرقام التالية، لتعرفها المؤمنة، وتطالب بها فى غير حياء ولا خوف.

ويجب على الزوج تكرماً أن يسلم بها لامرأته كاملة إلا أن تعفو عن بعضها فلها ذلك:

١ ـ الإنفاق عليها بحسب حاله يسراً، وإعساراً، وتتناول النفقة: اللباس، والطعام، والشراب، والدواء، والسكن، وذلك لقول الله تعالى: ﴿لينفق ذو سَعَة من سعته، ومن قدر عليه رزقه فليُنفق مما آتاه الله، لا يكلف الله نفساً إلا

---

(١) ثبت للمرأة المؤمنة هذه الحقوق بالقرآن، وتأكدت بقول الرسول ﷺ فى حديث الترمذى الذى صححه وهو «ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً» (٣/ ٤٥٨).

(٢) [من سورة البقرة: ٢٢٨].

ما آتاها﴾[1].

٢ ـ حق الفراش وهو حقها في الوطء، والقَسْم لها إن كان معها غيرها من زوجات جمع الرجل بينهن لطاقته على ذلك إذ كان الرسول ﷺ يقرر هذا الحق، ويقول «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[2].

٣ ـ حمايتها في عرضها، وبدنها، ومالها، ودينها إذ الرجل قيم عليها، ومن حق القيم على الشيء حفظه ورعايته. قال تعالى: ﴿الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض، وبما أنفقوا من أموالهم﴾[3].

٤ ـ تعليمها الضروري من أمور دينها، وإن عجز عن ذلك أذن لها أن تتعلم بحضور مجالس العلم للنساء في بيوت الله تعالى وغيرها إن كان هناك أمن من الفتنة، ومن الضرر الذي يعود عليها، أو يعود عليه.

٥ ـ حسن عشرتها لقوله تعالى: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾[4] ومن حسن المعاشرة عدم هضم حقها في الوطء، وعدم أذيتها بسبب، أو شتم، أو إزدراء وإهانة، وعدم ضربها إلا في حال نشوزها وتكبرّها، فإن للزوج استعمال حق التأديب، وهو وعظها، أو هجرها في الفراش، أو ضربها غير مبرح لا يشين جارحة، ولا يكسر عضواً، ومن حسن عشرتها أن لا يمنعها من زيارة أقاربها إن لم يخش عليها فتنة، وأن لا يكلفها ما لا تطيق من العمل، وأن يحسن إليها في القول والعمل.

---

(١) [من سورة الطلاق: ٧].

(٢) رواه أبو داود (١/ ٤٩٢)، والترمذي (٣/ ٤٣٧)، والنسائي (٧/ ٦٠)

(٣) [سورة النساء: ٣٤].

(٤) [سورة النساء: ١٩].

لقول الرسول ﷺ: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي»[1]. وقوله: «ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم»[2]. وقوله: «ألا واستوصوا بالنساء فإنهن عوان عندكم»[3].

(١) رواه الترمذي (٥/٧٠٩)، وابن ماجة (ص ٢٣٦).
(٢) متفق عليه.
(٣) رواه الترمذي (٣/٤٥٨)، وابن ماجة (ص ٥٩٤).

مطالب الكمال المسلمة

إن الكمال الروحي والبدني والعقلي والخلقي مطلب كل إنسان عاقل ذكراً كان أو أنثى، وليس من حق أي أحد أن يصدّ عن ذلك، أو يعترض طريق طالبه، إذ ما جاءت الشرائع الإلهية إلا لتحقيق هذه المطالب للإنسان ليكمل ويسعد في الحياتين الأولى والآخرة.

وإليك أيتها المؤمنة طرق مطالب كمالك في روحك، وبدنك، وعقلك، وخلقك.

طريق مطلب الكمال الروحي

إن من أهم مطالب الكمال مطلب الكمال الروحي للمرأة المسلمة، والطريق الموصل إليه، وإلى الحصول عليه يتمثل في الإيمان الصحيح الكامل، والعمل الصالح[1]. بعد التخلي عن الشرك، وكبائر الإثم. إذ الروح البشرى يزكو على الإيمان وصالح الأعمال، ويتدسّى على الشرك بالله، وارتكاب كبائر الإثم، والفواحش، فلا يزال العبد يترقى في طهارة روحه، وزكاة نفسه بتجديد الإيمان، وتقويته، والإكثار من العمل الصالح، والبعد التام عن الشرك

(١) هذا مفهوم قوله تعالى من سورة الشمس {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها} [الآية ٩، ١٠]. إذ التزكية تكون بالإيمان والعمل الصالح، والتدسية تكون بالشرك والمعاصي.

والمعاصى حتى تبلغ روحه فى طهرها وصفائها مستوى يقرب من مستوى الملائكة. كما أنه إذا أعرض عن الله وذكره، وأقبل على أفعال الشرك، وإعتقاداته مع غشيان الكبائر، وإرتكاب الفواحش الظاهرة والباطنة قد يبلغ دركاً ينزل فيه إلى مستوى أخبات الشياطين من الجن والإنس، والعياذ بالله تعالى.

ومن هنا كان من أسمى مطالب المرأة المسلمة مطلب كمالها الروحى وقد عرفت طريق الوصول إليه وهو الإيمان الصحيح، والعمل الصالح بعد التخلى التام عن الشرك صغيرة وكبيرة، وعن الذنوب صغيرها وكبيرها. وقد لا يمكنها ذلك بغير العلم والمعرفة. وفى كتابنا هذا من العلم والمعرفة ما يكفيها فى تحقيق ذلك. والله يدخل فى رحمته من يشاء.

مطلب الكمال البدنى

إن للمرأة المسلمة أن تطلب كل ما يكمل بدنها، ويحسنه، ويجمله إذ ذلك حق من حقوقها الشخصية التى لا تنازع فيها فلها أن تتداوى بكل دواء مباح، وتحفظ صحتها من الضعف، والتدهور من أجل أن تؤدى وظائفها التى خلقت لها، من عبادة الله تعالى بذكره وشكره، ومن أجل القيام بواجب خدمة زوجها، وبيتها، وتربية أولادها، كما أن لها أن تستعمل ما يزيد جمالها، ويؤكد أنوثتها من خضاب بحناء، واكتحال باثمد، ولبس لذهب وحرير. فليس من حق أحد من زوج أو والد أن يمنعها من كل ما يحفظ صحتها، ويزيد جمالها، وحسن هيئتها. فلها أن تركب سنة أو أسناناً عند الحاجة إليها، وأن تجبر كسرا إن حصل لها، إلا أنها لا تتداوى بحرام، ولا تتجمل بغير الجائز، فليس لها أن تفلج أسنانها للحسن، كما ليس لها أن تقشر جلدها، أو تنتف شعر وجهها أو تصل شعر رأسها بشعر آخر لنهى الرسول ﷺ عن التداوى بالحرام[1]، وللعنه الواصلة والمستوصلة، والنامصة، والمتنمصة، والمتفلجات

(١) رواه أبو داود (٢/ ٣٣٥).

للحسن فى صحيح الأحاديث(١).

مطلب الكمال العقلى

من حق المرأة أن تطلب كمال عقلها، وأن تتوسل إلى ذلك بشتى الوسائل؟ إذ كمال العقل هو الطريقة الوحيدة للوقاية من الشرور، والنجاة من المهالك فمن لا عقل له لا دين له(٢)، ومن لا دين له لا كمال ولا سلامة له، والعقل هو الخصيصة التى تميز الإنسان على الحيوان. ولذا كان مطلب كمال العقل بالعلم، والمعرفة، والتجارب الحسنة، مطلباً سامياً شريفاً.

وطريقة الحصول على كمال العقل يكون معرفة الكتاب والسنة، والتبحر فيهما، ويتم ذلك من طريق الدرس، والطلب، وسؤال أهل العلم، وسماع المواعظ فى المساجد، ومطالعة كتب الحكمة، ومجالسة الصالحات من النساء المؤمنات وفى الحديث: قال نساء الأنصار والمهاجرين بالمدينة المنورة «اجعل لنا يا رسول الله يوماً من نفسك نتعلم فيه غلبنا عنك الرجال. فقال لهن ﷺ: موعدكن دار فلانة. فأتاهن فيها فوعظهن وذكرهن وعلمهن»(٣). فصلى الله عليه وسلم، ورضى الله عن نساء الأنصار والمهاجرين، وأرضاهن.

مطلب الكمال الخلقى

إن مطالب الكمال الخلقى للمسلمة مطلب شريف منيف، إذ الخلق قوام الحياة الفاضلة، ورأس الأمر فيها، حتى قيل:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت ... فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا(٤)

(١) رواها البخارى (٧/ ٢١٢ ـ ٢١٤)، ومسلم (٦/ ١٦٥ ـ ١٦٧).

(٢) إذ لا تكليف إلا بشرط صحة العقل وسلامته.

(٣) رواه البخارى (٣٦٨) بمعناه.

(٤) شاعر مصرى يدعى أحمد شوقى أمير الشعراء له رسالة تدعى أسواق الذهب من خير ما ألف فى الحكمة والأدب.

ولقد أثنى الله تعالى على نبيه بخلقه فقال عز وجل: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾[(١)]. وما علة رسالته ﷺ إلا إكمال الأخلاق فقد قال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[(٢)]، لأن ذا الخلق الحسن الفاضل يأبى عليه خلقه أن يكفر ربه، أو يكفر نعمه عليه، كما يأبى عليه أن يأتى الشر، والفساد، أو يتورط فى الخبث. ولذا كان من حق المسلمة أن تطلب كمال أخلاقها، وتترقى فيها حتى تكون من فضليات المؤمنات اللاتى شرفن بأخلاقهن، وتميزن بها بين نساء العالمين. وطريق الحصول على الأخلاق الفاضلة هو دراسة الكتاب والسنة، والعمل على التخلق بما جاء فيهما من عظيم الأخلاق، وقد سئلت أم المؤمنين عن أخلاق رسول الله ﷺ فقالت: «كان خلقه القرآن»[(٣)].

فللمسلمة أن تدرس الشمائل المحمدية، وسير الصالحات من نساء المؤمنين السالفات ما تكمّل به خلقها حتى تصبح مثلاً للكمال الخلقى فى دنيا الناس، وهذا حق من حقوقها، ومطلب شريف لها، لا ينازعها فيه أحد، ولا يصدّها عنه صادّ.

وقد سبق أن بينا لها فى كتابها هذا جملة صالحة من الأخلاق الإسلامية فلتراجعها، وتعمل على اكتسابها بالرياضة والتمرين حتى تفوز بها إن شاء الله تعالى.

---

(١) [سورة القلم: ٤].

(٢) حديث صحيح رواه أحمد (٣/ ٣٨١)، والموطأ ص (٩٠٤) بمعناه.

(٣) رواه مسلم (٢/ ١٦٩).

الأسوة الحسنة للمؤمنة[1]

إن مما يساعدك أيتها المؤمنة على اكتساب الأخلاق الفاضلة وأنت طالبة لها وهى من أسمى مطالبك الإتساء بخلال الصالحات السالفات، وإليك نماذج صالحة منهن، فاجعليهن مثالا لك فاحتذيه، فإنك تفوزين بحظ وافر من كمال الدين، والعقل، حقق الله لك ذلك.

١ ـ سارة بنت هاران زوج إبراهيم الخليل عليه السلام وحسن التوسل:

لما أدخلت سارة على الطاغية ملك مصر قام إليها. فأخذت تتوضأ فتوضأت، وصلت ثم قالت ـ متوسلة ـ «اللهم إن كنت تعلم أنى آمنت بك، وبرسولك، وأحصنت فرجى إلا على زوجى فلا تسلط علىّ هذا الكافر» فغُطّ الكافر حتى ركض الأرض برجليه... ثم أفاق فمد يده إليها فقالت اللهم إلخ...... فغط حتى ركض الأرض برجليه، وهكذا مرة ثالثة وفى الرابعة قال: «ما أرسلتم إلىّ إلا شيطاناً ارجعوها إلى إبراهيم وأعطوها هاجر»،

---

(١) أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالإتساء بمن سبق من الرسل فقال تعالى: {فبهداهم اقتده} [سورة الأنعام: ٩٠]، وأمر الله تعالى المؤمنين بالإتساء برسوله فقال: {لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة} [سورة الأحزاب: ٢١].

فرجعت إلى زوجها إبراهيم الذى أخذت منه قسراً فقالت: «أشعرت أن الله عز وجل كبت الكافر وأخدَم وليدة»[1]؟

فانظرى أيتها المؤمنة كيف كان توسل سارة بالإيمان بالله ورسوله، وبإحصان فرجها، وكيف استجاب الله تعالى لها، وحفظها من الكافر، وجعل الكافر يقدم لها هدية هى هاجر أم إسماعيل جد سيد المرسلين؟؟

فهلا تأتسى بها، وتقتدى فى التوسل الصحيح، وهو صلاة ركعتين، وسؤال الله تعالى بالإيمان، وترك الآثام. ليس توسل الجاهلات بحق فلان، وجاه فلان.

٢ ـ هاجر أم إسماعيل وجدة سيد المرسلين، وحسن التوكل:

لما ترك إبراهيم عليه السلام جاريته هاجر التى أهدته إياها امرأته سارة، لما تركها وطفلها إسماعيل الرضيع عند مكان البيت بمكة المكرمة، وقفل راجعاً إلى فلسطين. قالت له: «الله أمرك بهذا يا إبراهيم». تعنى أمرك أن تتركنى وطفلى ها هنا حيث لا ماء، ولا أنيس، فقال إبراهيم عليه السلام: «نعم». قالت: «إذاً فاذهب فإنه لا يضيعنا»[2].

فضربت هاجر بهذا أروع مثل فى التوكل على الله تعالى، وهل ضيعهما الله تعالى؟ الجواب: لا لا، بل تولاهما، وأكرمهما أحسن إكرام. وهكذا يكفى الله تعالى من يتوكل عليه، ويثق فيه.

٣ ـ حنة امرأة عمران، أم مريم عليهما السلام وصدق اللجأ إلى الله تعالى:

كانت حنة لا يولد لها، فرأت يوماً طائراً فى حديقة منزلها يزق[3] أفراخه،

(١) قصة سارة مع طاغية مصر رواها البخارى فى الصحيح (٣/ ١٠).
(٢) قصة هاجر أم إسماعيل ثابتة فى صحيح البخارى (٤/ ١٧٢ ـ ١٧٥).
(٣) يطعم بأن يأتى بالطعام والشراب فى منقاره، ويفرغه فى منقار ولده.

فحنت حنيناً إلى الولد، واشتاقت إلى الولادة فقالت: «رب إن رزقتنى ولداً جعلته خادماً لك ويخدم بيتك» «بيت المقدس» فاستجاب الله تعالى لها فحملت بمريم عليها السلام، ومات عمران وهى حامل، ودنا وقت الولادة فولدت» بنتاً أنثى، فتحسرّت فقالت: ﴿رب أنى وضعتها أنثى، والله أعلم بما وضعت، وليس الذكر كالأنثى﴾[1]. وسمتها مريم أى خادمة الله وعوذتها، فقال: ﴿رب إنى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم﴾[2]. فاستجاب الله تعالى لها، وحفظ بنتها، وحفظ عيسى[3] ابن بنتها من الشيطان الرجيم فلم يرتكبا إثماً قط.

وذلك لأنها عرفت كيف تعوذ ابنتها، وبم تعوذها أما الجاهلات من نسائنا اليوم فإنهنّ يلجأن فى تعويذ أولادهن إلى حديدة يضعنها عند رأس المولود، أو إلى عظم أو حِرزٍ يعلقنه على رأسه، أو فى عنقه. فانظرى أيتها المؤمنة كيف نذرت حنة نذراً لله خالصاً فاستجاب لها ربها، وأعطاها مريم، وكيف أحسنت تعويذ بنتها ومن يولد لها بأحسن تعويذة، فأعاذ الله بنتها، وابنها، وحفظهما من الشيطان الرجيم، فهلا تقتدين بحنة فى النذر لله وحده، واللجأ الصادق إلى الله وحده؟

٤ ـ أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها كمال عقل وقوة دين:

لما جاءها رسول ﷺ ترجف بوادره فزعاً من رؤية الملك لأول مرة حيث فاجأه فى غار حراء قالت له فى ثقة المؤمن الموقن، مطمئنة إياه على مستقبله: «كلا والله ما يخزيك الله أبداً: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب

---

(١) [سورة آل عمران: ٣٦].

(٢) [سورة آل عمران: ٣٧].

(٣) وارد فى الصحيح فى حديث الشفاعة، إذ لم يذكر عيسى عليه السلام ذنباً كما ذكر غيره من الأنبياء الذين اعتذروا ـ وانظر البخارى (٩/١٥٨)، ومسلم (١/١٢٨).

المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق»[1].

ثانياً ـ لما أخبرها بأمر الملك الذى أرسل إليه وهو جبريل عليه السلام قالت له: «أى ابن عم أتستطيع أن تخبرنى بصاحبك الذى يأتيك إذا جاءك؟» قال: «نعم» قالت: «فإذا جاءك فأخبرنى به» فجاءه جبريل، فأخبرها به، فقالت له: «قم يا بن عمى فاجلس على فخذى الأيسر» فقام فجلس ﷺ، «هل تراه؟» قال: «نعم» قالت: «فتحول فاجلس على فخذى الأيمن» فتحول، فجلس على فخذها الأيمن، فقالت: «هل تراه؟» قال «نعم» قالت: فتحول فاجلس فى حجرى» فتحول، فجلس فى حجرها، ثم قالت له: «هل تراه؟» قال: «لا». قالت: «يا بن العم أثبت وأبشر فوالله إنه لملك، وما هذا شيطان».

لقد دلت هاتان الحادثتان ـ أيتها المؤمنة ـ على كمال عقل خديجة، وقوة يقينها فهل تأتسين بها فى ذلك؟

لقد استدلت فى الأولى على أن المعروف صاحبه لا يخيب ولا يخسر.

وعلى الثانية بأن الذى يأتى زوجها رسول الله ﷺ إنما هو ملك، وليس بشيطان، استدلت عليه بأن الملك لا يجالس المرأة الكاشفة الرأس، وأن الشيطان هو الذى يجالسها، لأن الشيطان يدعو إلى الفجور، والملك يدعو إلى البر. فتأملى فى هذا واقتدى.

٥ ـ فاطمة بنت رسول الله ﷺ صبر جميل وحياء عظيم:

حدّث يوماً على بن أبى طالب، وصهر رسول الله ﷺ عن نفسه وعن زوجه فاطمة، فى آخر حياته فقال: «يابن أعبد ألا أخبرك عنى وعن فاطمة؟ كانت بنت رسول الله، وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتى فجرّت بالرحى حتى أثرت الرحى فى يديها، واستقت بالقربة حتى أثرت فى نحرها، وقمّت البيت حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت النار تحت القدر حتى دنّست ثيابها، وأصابها من ذلك ضر».

(١) رواه البخارى (١/ ٤، ٥).

ثانياً: ـ قال رسول الله ﷺ يوماً بين بعض أصحابه: «ما خير النساء»؟ فلم يَدْر ما يقال. فذهب على رضى الله عنه إلى فاطمة فأخبرها بذلك فقالت: فهلا قلت له: «خير لهن أن لا يرين الرجال ولا يروهن». فرجع على فأخبر الرسول ﷺ بذلك فقال له: «من علمك هذا»؟ قال: «فاطمة». قال: «إنها بضعة منى!!»[1].

فانظرى أيتها المؤمنة بنت رسول الله وزوجة على بن أبى طالب تطحن، وتسقى، وتقم البيت، وتوقد النار، وتطهو الطعام، وتربى الأبناء، وم تضجر، ولا تسخط، ولا تشكو فتضرب بذلك أكبر مثل للصبر الجميل فهلا تقتدين بها فيه هذا الصبر؟

ثالثاً: ـ تأتى بالعجب فى الحياء فتخبر بأن النساء خير النساء. أن لا يرين الرجال ولا يراهن الرجال. فأىُّ حياء أعظم من هذا الحياء، الذى عبرت عنه الزهراء بعد ما تساءل عنه أبوها. خير للنساء عظيم أن يبعدن عن ساحة الرجال، وأن يبعد الرجال عن ساحتهن.

إذكرى أيتها المؤمنة هذا، واذكرى ما عليه نساء اليوم من الرغبة الملحّة فى النظر إلى الرجال، والحديث معهم، والاتصال بهم، والاختلاط معهم فى الأسواق، فى الشوارع، فى المساجد، وعلى شاشة التلفاز والفيديو. ووفى وفى... ولهذا ذهب الخير، وجاء الشر والعياذ بالله تعالى.

فهل تقتدين أيتها المؤمنة بصبر فاطمة وحيائها؟

فهل تأتسين بسيدة نساء أهل الجنة؟؟.

أرجو لك ذلك.

---

(١) البضعة بفتح الباء القطعة من اللحم، والمراد أن فاطمة جزء منه ﷺ.

٦ ـ عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، علم عليم، وزهد غير زهيد:

لما رُميت عائشة بالإفك[١]، ونزلت براءتها بعد أتعاب وآلام عانى منها الأسرتان الكريمتان: أسرة رسول الله ﷺ، وأسرة الصديق رضى الله عنه، وكان حين نزول الآيات المبرئة لأم المؤمنين مما رُميت به من السوء أبو بكر الصديق، وأمها أم رومان حاضرين فى المجلس فبشر رسول الله ﷺ عائشة بنزول القرآن ببراءتها فقال لها والداها: «قومى لرسول الله، قبلى رأس رسول الله، واحمديه على ذلك» فقالت رضى الله عنها: «والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله تعالى الذى أنزل براءتى». فلم يزد رسول الله ﷺ على أن قال: «لقد عرفت الحق لأهله»!!. فأى علم كانت عليه هذه الربانية، وأى عمق من علم فتاة تنزل براءتها من السماء فتبشر بها ـ وإعطاء البشرى محمود ـ فيطلب منها أن تقوم لمن بشرها، وتقبل رأسه، وتحمده. فترى أن الفضل لله وحده فهو الذى يستحق منها ذلك لا غيره فتقول: «لا أحد إلا الله». ويقرها رسول الله ﷺ على ذلك ويقول: «عرفت الحق لأهله»[٢].

هذا هو العلم يا بنت الإسلام ليس علم الشهادات تطلعاً للوظيفة السخيفة، وتطاولاً على المؤمنات العفيفات المستورات عقيلات البيوتات.

وثانية بعد وفاة رسول الله ﷺ وجلّ الراشدين بعث إليها ابن اختها عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما بمائة وثمانين ألف درهم، فدعت بطبق وهى يومئذ صائمة فجعلت تقسمه بين الناس، فأمست وما عندها من ذلك درهم واحد، فقالت: لجاريتها: «هلمى إلى فطرى» فجاءت بخبز وزيت، وقالت لها: «أما استطعت مما قسمت اليوم أن تشترى لنا بدرهم لحماً نفطر عليه»؟.

فقالت لها: «لا تعنفينى لو كنت ذكرتنى لفعلت».

---

(١) حديث الإفك فى البخارى (٦/ ١٢٧ ـ ١٣٦) ومسلم (٨/ ١١٣).
(٢) هذه الرواية ثابتة لا مطعن فى ذكرها غير واحد ومن ذلك صاحب كتاب صفة الصفوة.

وثالثة: قول ابن اختها عروة بن الزبير رضى الله عنهم أجمعين.

لقد رأيت عائشة تقسم سبعين ألفاً وهى ترقع ثوبها، ولا تشترى جديداً.

ورابعة: قال ابن أخيها القاسم بن محمد: «كنت إذا غدوت أبدأ ببيت عائشة أسلم عليها، فغدوت يوماً فإذا هى قائمة تسبح (تصلى)، وتقرأ: ﴿فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم﴾[1] وتبكى، وترددها، فقمت حتى مللت القيام، فذهبت إلى السوق لحاجتى، ثم رجعت فإذا هى قائمة كما هى تصلى وتبكى!!

هكذا يا بنت الإسلام يكون العلم، وهكذا يكون الزهد، وهكذا تكون الخشيةُ بنت العلم، فهل تذكرين هذا، وتأتسين بأمك فى عملها، وزهدها، وخشيتها؟

٧ ـ امرأة صالحة خفية يذكر اسمها ورع عظيم:

ذكر ابن الجوزى «أن امرأة من الصالحات كانت تعجن عجينة فبلغها وهى تعجن موت زوجها، فرفعت يدها منه وقالت: «هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء!!».

وأخرى كانت تستصبح بمصابيح فجاءها خبر زوجها، فأطفأت المصباح وقالت: «هذا زيت قد صار لنا فيه شركاء!!

أرأيت أيتها المؤمنة ما كان عليه الصالحات من المؤمنات من الورع الأولى تركت العجينة، والثانية أطفأت المصباح، لوجود ورثة بموت المورث فخافتا أن تنتفع بمال غيرهما فتركتا ذلك خشية من الله.

أليس هذا هو الورع؟ فهل لك أن تقفى يوماً مثل هذا الموقف فتذكرى فى عداد هؤلاء التقيات، التقيات، والورعات!!

---

(١) [سورة الطور: ٢٧].

٨ ـ أم عطية الصحابية، والرُّبَيِّع بنت معوذ... رضى الله عنهما. إيمان وشجاعة:

قالت كل من أم عطية الأنصارية، والرّبيّع بنت معوذ بن عفراء رضى الله عنهما: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ نخدم القوم، نصنع لهم الطعام، ونسقيهم، ونداوى الجرحى، ونقوم على المريض، ونردّ القتلى والجرحى إلى المدينة.

أى إيمان هو ذاك الذى يخرج بالمرأة المؤمنة من بيتها، وأمنها إلى ساحات القتال بعيداً عن الأهل، والولد، والمال، وترابط وراء الصفوف تمرّض، وتداوى، وتقدم الطعام والشراب، وتنقل القتلى والجرحى من ساحات المعارك إلى المدينة؟!.

هكذا كان الصحابيات الطاهرات. أما اليوم فقد استغل هذا الموقف المشرف للمرأة المؤمنة على مدى التاريخ دعاة الفجور، ودعوا المرأة المؤمنة إلى أن تكشف عن وجهها الخمار، وترمى ببرقع الحياء وتخرج مترجلة؛ فزجتوا بها فى ثكنات الجيوش ليتمتعوا بها.

أما الجهاد فهم لا يجاهدون فضلاً عن نسائهم. ورموا بها فى الشوارع شرطيةً سخرية يسخر منها العقلاء، ووضعوها على كراسى الوزارات، والقضاء ليتمتعوا بها خالية حالية، وشاهدة عاطلة. قبح الله مسعاهم وأرداهم!!

فهل لك أيتها المؤمنة أن تتأسى بالصحابيات فى إيمانهن، وشجاعتهن، وتتبرأى من هؤلاء الساقطات اللاقطات اللائى لا إيمان لهم ولا حياء لهن.

٩ ـ أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز رحمها الله تعالى: آية فى الجود، ومعدن الكرم:

هى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان الأموية، أخت الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمهما الله تعالى، كانت مضرب المثل فى الكرم والجود، فكانت

تقول: «لكل قوم نهمة[1] فى شيء، ونهمتى فى الإعطاء». وكانت تعتق كل يوم جمعة رقبة، وتحمل على فرس فى سبيل الله عز وجل. وتقول: «أف للبخل لو كان قميصاً لم ألبسه، ولو كان طريقاً لم أسلكه».

فانظرى أيتها المؤمنة فى كرم هذه التابعية الجليلة وجودها، وتأملى فى قولها: «نهمتى فى العطاء» (البذل) وقولها: «أف للبخل لو كان قميصاً لم ألبسه، ولو كان طريقاً لم أسلكه». وجاهدى نفسك على الاقتداء بهذه الكريمة من نساء المؤمنين عسى الله تعالى أن يرزقك نفساً كريمة، إن الله على كل شيء قدير.

١٠ ـ أم سفيان الثورى رحمهما الله تعالى: العلم والخشية.

قالت أم سفيان الثورى لابنها سفيان وهو طالب يطلب العلم فى أول أمره قالت له: «يا بنى أطلب العلم وأنا أكفيك بمغزلى» تريد أن لا تحوجه إلى العمل ليترك العلم وطلبه. «يا بنى إذا كتبت عشرة أحرف انظر هل ترى فى نفسك زيادة» ـ تريد زيادة نور وخشية «فإن لم تر زيادة فاعلم أنه لا ينفعك»!.

فانظرى أيتها المؤمنة إلى أم سفيان، عالم مكة كيف رأت أن ثمرة العلم هى وجود نور فى القلب يكسب النفس خشية، فإن وجدت الخشية كان العلم نافعاً، وإلا كان ضاراً ولا خير فيه.

وانظرى كيف كانت تغزل، وتطعم نفسها وولدها، وتفرغه للعلم الشرعى. واقتدى بها فإنها نعم القدوة، وانظرى هل العلم يزيدك خشية من الله، وشوقاً إلى ما عند الله، وخوفاً مما لدى الله أولاً؟

وقارنى بين هؤلاء الصالحات، وبين نساء دهرك اللائى يتزاحمن على المدارس، وليس فى قلب إحداهن نية أن تكون مثل هؤلاء العابدات، القانتات، العالمات.

(١) النهمة بفتح النو وسكون الهاء وفتح الميم: الشهوة للشيء والرغبة فيه.

في الختام

إحدى عشرة نصيحة

وأخيراً فإليك أيتها المؤمنة إحدى عشر من النصائح الغالية، فاعملى بها، فإنك تعيشين سعيدة وتموتين إن شاء الله حيدة، واستعينى على الأخذ بها بالله تعالى، ثم بقراءتك كتابك هذا، وفهمك له فهماً صحيحاً: أنصح لك:

١ ـ أن تعبدى الله تعالى، وحده بما شرع من العبادات التى جاءت فى كتابه القرآن الكريم، وفى سنة نبيه محمد عليه أفضل الصلاة، وأزكى التسليم.

٢ ـ أن تحذرى من الشرك فى العقيدة، والعبادة فإن الشرك محبط للأعمال، موجب للخسران.

٣ ـ أن تحذرى البدعة سواء كانت فى العقيدة أو العبادة فإن البدعة ضلالة، وصاحب الضلالة فى النار.

٤ ـ أن تحافظى على صلاتك محافظة كاملة فإن من حفظها وحافظ عليها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع.

راعى فيها الطهارة، والطمأنينة والاعتدال، والخشوع ولا تؤخريها عن أول

وقتها، فإن العبد إذا صحت صلاته صح كل عمله، وإن فسدت صلاته فسد كل عمله.

٥ ـ أن تطيعى زوجك إن كان لك زوج، فلا تردى له طلباً ولا تعصى له أمراً ولا نهياً ما دام لم يأمرك بمعصية لله ورسوله ﷺ.

٦ ـ أن تحفظى زوجك فى غيبته، وحضوره فى نفسك، وماله.

٧ ـ أن تحسنى إلى جارتك بالقول والعمل صنعاً للجميل ورداً للسوء.

٨ ـ أن تلزمى بيتك فلا تخرجى إلا من ضرورة وإن خرجت ليلاً فهو أحسن. ولا تخرجى إلا وأنت مستترة لا يرى منك وجه ولا كف.

٩ ـ أن تبرى بوالديك بالإحسان إليهما. وكف الأذى عنهما بالقول أو الفعل. وذلك ما أمراك بالمعروف، فإن أمراك بغير المعروف فلا طاعة، إذ لا طاعة فى غير المعروف.

١٠ ـ أن تعتنى عناية تامة بتربية أولادك إن كان لك أولاد، وذلك بتعويدهم على الصدق، والنظافة، وسلامة القول، والعمل، مع تعليمهم الأدب، ومحاسن الأخلاق، وتأمريهم بالصلاة إذا بلغوا سبع سنين، وتضربيهم عليها إذا بلغوا عشراً، وتفرقى بينهم فى المضاجع.

١١ ـ أن تكثرى من الذكر والصدقة. أما الذكر فهو مبين لك فى كتابك هذا فارجعى إليه وتعلميه، وأما الصدقة فهى إنفاقك الفضل ـ الزائد ـ عن نفسك، وزوجك، وولدك، وإن قلّ فإن الصدقة تقى مصارع السوء.

الحكمة من تعدد الزوجات

قال تعالى: {وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع، فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعولوا..} [النساء: ٣]...

وهذه الرخصة في التعدد مع هذا التحفظ عند خوف العجز عن العدل، والاكتفاء بواحدة في هذه الحالة أو بما ملكت اليمين...

هذه الرخصة مع هذا التحفظ يحسن بيان الحكمة والصلاح فيها، في زمان جعل الناس يتعالون فيه على ربهم الذي خلقهم، ويدعون لأنفسهم بصراً بحياة الإنسان وفطرته ومصلحته فوق بصر خالقهم سبحانه! ويقولون في هذه الأمر وذلك بالهوى والشهوة، وبالجهالة والعمى، كأن ملابسات وضرورات جدّت اليوم، يدركونها هم ويقدرونها ولم تكن في حساب الله سبحانه ولا في تقديره، يوم شرّع للناس هذه الشرائع!!

وهي دعوى فيها من الجهالة والعمى، بقدر ما فيها من التبجح وسوء

الأدب بقدر ما فيها من الكفر والضلالة! ولكنها تقال، ولا تجد من يرد الجهال العمي المتبجحين المتوقحين الكفار الضلال عنها! وهم يتبجحون على الله وشريعته؛ ويتطاولون على الله وجلاله، ويتوقحون على الله ومنهجه، آمنين سالمين غانمين، مأجورين من الجهات التي يهمها أن تكيد لهذا الدين!

وهذه المسألة ـ مسألة إباحة تعدد الزوجات بذلك التحفظ الذي قرره الإسلام ـ يحسن أن تؤخذ بيسر ووضوح وحسم، وأن تعرف الملابسات الحقيقية والواقعية التي تحيط بها.

روى البخاري بإسناده أن غيلان بن سلمة الثقفي أسلم ـ وتحته عشر نسوة ـ فقال له النبي ﷺ: «اختر منهن أربعاً»[1].

وروى أبو داود بإسناده أن عميرة الأسدي قال: أسلمت وعندي ثمانية نسوة، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «اختر منهن أربعاً».

وقال الشافعي في «مسنده»: ـ بسنده ـ عن نوفل بن معاوية الديلمي قال: أسلمت وعندي خمس نسوة فقال لي رسول الله ﷺ: «اختر أربعاً أيتهن شئت وفارق الأخرى»[2].

فقد جاء الإسلام إذن، وتحت الرجال عشرة أو أكثر أو أقل بدون حد ولا قيد، فجاء ليقول للرجال: إن هناك حداً لا يتجاوزه المسلم هو أربع، وإن هناك قيداً هو إمكان العدل وإلاّ فواحدة. . . أو ما ملكت أيمانكم ـ وسنتكلم

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٢٤١) وابن ماجه (١٩٥٢)، وأحمد ٢/ ١٣و ١٤ والبيهقي في «السنن» ٧/ ١٨٣، والحاكم ٢/ ١٩٢، والدارقطني ٣/ ٢٧١، وعبد الرزاق (١٢٦٢٤)، والطبراني في «الكبير» ١٢/ ٣١٥ و ١٨/ ٣٥٩، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٥٦). وفي «التاريخ الكبير» ٢/ ٢٦٢، وسعيد بن منصور في «مسنده» (١٨٦٤) و (١٨٦٥)، والهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤/ ٢٢٣ وفي «موارد الظمآن» (١٢٧٧) والشيخ في «إرواء الغليل» (١٨٨٣) و (١٨٨٥)، والسيوطي في «الدار المنثور» ٢/ ١١٩، والهندي في «الكنز» (٤٤٧٥٩) و (٤٤٧٦٢) و (٤٤٧٦٣) و (٤٥٦٦٠) و (٤٤٧٦٢) وابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٥/ ٣٧١.

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٨/ ٣٥٩ وفي «مسند الشاميين» (١٢٤٩) وابن كثير ٢/ ١٨٤، والحافظ في «تلخيص الحبير» ٣/ ١٦.

على ذلك لإتمام الفائدة إن شاء الله تعالى. . .

جاء الإسلام لا ليطلق، ولكن ليحدد، ولا ليترك الأمر لهوى الرجل، ولكن ليقيد التعدد بالعدل، وإلاّ امتنعت الرخصة المعطاة!

ولكن لماذا أباح هذه الرخصة؟

إنَّ الإسلام نظام للإنسان، نظام واقعي إيجابي، يتوافق مع فطرة الإنسان وتكوينه، ويتوافق مع واقعه وضروراته، ويتوافق مع ملابسات حياته المتغيرة في شتى البقاع وشتى الأزمان، وشتى الأحوال.

إنه نظام واقعي إيجابي، يلتقط الإنسان من واقعه الذي هو فيه، ومن موقفه الذي هو عليه، ليرتفع به في المرتقى الصاعد، إلى القمة السامقة، في غير إنكار لفطرته أو تنكر، وفي غير إغفال لواقعه أو إهمال، وفي غير عنف في دفعه أو اعتساف!

إنه نظام لا يقوم على الحذلقة الجوفاء، ولا على التطرف المائع، ولا على المثالية الفارغة، ولا على الأمنيات الحالمة، التي تصطدم بفطرة الإنسان وواقعه وملابساته في حياته، ثم تتبخر في الهواء!

وهو نظام يرعى خلق الإنسان، ونظافة المجتمع، فلا يسمح بإنشاء واقع مادي، من شأنه انحلال الخلق، وتلويث المجتمع، تحت مطارق الضرورة التي تصطدم بذلك الواقع، بل يتوخى دائماً أن ينشىء واقعاً يساعد على صيانة الخلق، ونظافة المجتمع، مع أيسر جهد يبذله الفرد ويبذله المجتمع.

فإذا استصحبنا معنا هذا الخصائص الأساسية في النظام الإسلامي، ونحن ننظر إلى مسألة تعدد الزوجات. . فماذا نرى؟

نرى أولاً: أن هناك حالات واقعية في مجتمعات كثيرة ـ تاريخية وحاضرة ـ تبدو فيها زيادة عدد النساء الصالحات للزواج، على عدد الرجال الصالحين للزواج. . والحد الأعلى لهذا الاختلال الذي يعتري بعض المجتمعات لم يُعرف

تاريخياً أنه تجاوز نسبة أربع إلى واحد، وهو يدور دائماً في حدودها.

فكيف نعالج هذا الواقع، الذي يقع ويتكرر وقوعه، بنسب مختلفة. هذا الواقع الذي لا يجدي فيه الإنكار؟

نعالجه بهز الكتفين؟ أو نتركه يعالج نفسه بنفسه؟ حسب الظروف والمصادفات؟

إنَّ هز الكتفين لا يحل مشكلة! كما أن ترك المجتمع يعالج هذا الواقع حسبما اتفق لا يقول به إنسان جاد، يحترم نفسه، ويحترم الجنس البشري!

ولا بد إن من نظام، ولا بد إذن من إجراء...

وعندئذ نجد أنفسنا أمام احتمال من ثلاثة احتمالات:

١ ـ أن يتزوج كل رجل صالح للزواج امرأة من الصالحات للزواج.. ثم تبقى واحدة أو أكثر حسب درجة الاختلال الواقعة بدون زواج، تقضي حياتها أو حياتهن لا تعرف الرجال أو لا يعرفن الرجال!

٢ ـ أن يتزوج كل رجل صالح للزواج واحدة فقط زواجاً شرعياً نظيفاً، ثم يخادن أو يسافح واحدة أو أكثر من هؤلاء اللواتي ليس لهن مقابل في المجتمع من الرجال، فيعرفن الرجل خديناً أو خليلاً في الحرام والظلام!

٣ ـ أن يتزوج الرجال الصالحون كلهم أو بعضهم أكثر من واحدة، وأن تعرف المرأة الأخرى الرجل، زوجة شريفة، في وضح النور لا خدينة ولا خليلة في الحرام والظلام!

الاحتمال الأول ضد الفطرة، وضد الطاقة، بالقياس إلى المرأة التي لا تعرف في حياتها الرجال، ولا يدفع هذه الحقيقة ما يتشدق به المتشدقون من استغناء المرأة عن الرجل بالعمل والكسب، فالمسألة أعمق بكثير مما يظنه هؤلاء السطحيون المتخذلقون المتطرفون الجهال عن فطرة الإنسان وألف عمل وألف كسب لا تغني المرأة عن حاجتها الفطرية إلى الحياة الطبيعية سواء في ذلك

مطالب الجسد والغريزة، ومطالب الروح والعقل، من السكن والأنس بالعشير... والرجل يجد العمل ويجد الكسب، ولكن هذا لا يكفيه، فيروح يسعى للحصول على العشيرة، والمرأة كالرجل في هذا فهما من نفس واحدة!

والاحتمال الثاني ضد اتجاه الإسلام النظيف، وضد قاعدة المجتمع الإسلامي العفيف، وضد كرامة المرأة الإنسانية، والذين لا يحفلون أن تشيع الفاحشة في المجتمع، هم أنفسهم الذين يتعالمون على الله، ويتطاولون على شريعته، لأنهم لا يجدون من يردعهم عن هذا التطاول، بل يجدون من الكائدين لهذا الدين كل تشجيع وتقدير!

والاحتمال الثالث: هو الذي يختاره الإسلام، يختاره رخصة مقيدة لمواجهة الواقع الذي لا ينفع فيه هز الكتفين، لا تنفع فيه الحذلقة والادعاء، يختاره متمشياً مع واقعيته الإيجابية، في مواجهة الإنسان كما هو بفطرته وظروف حياته ومع رعايته للخلق النظيف والمجتمع المتطهر، ومع منهجه في التقاط الإنسان من السفح، والرقي به في الدرج الصاعد إلى القمة السامقة ولكن في يسر ولين وواقعية!

ثم نرى ثانياً في المجتمعات الإنسانية قديماً وحديثاً وبالأمس واليوم والغد إلى آخر الزمان واقعاً في حياة الناس، لا سبيل إلى انكاره كذلك أو تجاهله.

نرى أن فترة الإخصاب في الرجل تمتد إلى سن السبعين أو ما فوقها، بينما هي تقف في المرأة عند سن الخمسين أو حواليها، فهناك في المتوسط عشرون سنة من سني الإخصاب في حياة الرجل لا مقابل لها في حياة المرأة، وما من شك أن من أهداف اختلاف الجنسين ثم التقائهما امتداد الحياة بالإخصاب والإنسال، وعمران الأرض بالتكاثر والانتشار، فليس مما يتفق مع هذه السنة الفطرية العامة أن نكف الحياة عن الانتفاع بفترة الإخصاب الزائدة في الرجال، ولكن مما يتفق مع هذا الواقع الفطري أن يسن التشريع الموضوع لكافة البيئات في جميع الأزمان والأحوال ـ هذه الرخصة ـ لا على سبيل الإلزام الفردي،

ولكن على سبيل إيجاد المجال العام الذي يلبي هذا الواقع الفطري، ويسمح للحياة أن تنتفع به عند الاقتضاء.. وهو توافق بين واقع الفطرة وبين اتجاه التشريع ملحوظ دائماً في التشريع الإلهي، لا يتوافر عادة في التشريعات البشرية لأن الملاحظة البشرية القاصرة لا تنتبه له، ولا تدرك جميع الملابسات القريبة والبعيدة، ولا تنظر من جميع الزوايا، ولا تراعي جميع الاحتمالات.

ومن الحالات الواقعية المرتبطة بالحقيقة السالفة ما نراه أحياناً من رغبة الزوج في أداء الوظيفة الفطرية، مع رغبة الزوجة عنها لعائق من السن أو من المرض مع رغبة الزوجين كليهما في استدامة العشرة الزوجية وكراهية الانفصال فكيف نواجه مثل هذه الحالات؟

نواجهها بهز الكتفين، وترك كل من الزوجين يخبط رأسه في الجدار؟ أو نواجهها بالحذلقة الفارغة والتظرف السخيف؟

إن هز الكتفين كما قلنا لا يحل مشكلة، والحذلقة والتطرف لا يتفقان مع جدية الحياة الإنسانية ومشكلاتها الحقيقية...

وعندئذ نجد أنفسنا مرة أخرى أمام احتمال من ثلاثة احتمالات:

١ ـ أن نكبت الرجل ونصده عن مزاولة نشاطه الفطري بقوة التشريع وقوة السلطان! ونقول له: عيب يا رجل! إن هذا لا يليق، ولا يتفق مع حق المرأة التي عندك ولا مع كرامتها!

٢ ـ أن نطلق هذا الرجل يخادن ويسافح من يشاء من النساء!

٣ ـ أن ينبح لهذا التعدد وفق ضرورات الحال ونتوقى طلاق الزوجة الأولى...

الاحتمال الأول ضد الفطرة، وفوق الطاقة، وضد احتمال الرجل العصبي والنفسي، وثمرته القريبة ـ إذا نحن أكرهناه بحكم التشريع وقوة السلطان ـ هي كراهية الحياة الزوجية التي تكلفه هذا العنت، ومعاناة جحيم هذه الحياة.. وهذه ما يكرهه الإسلام، الذي يجعل من البيت سكناً، ومن الزوجة أنساً

ولباساً.

والاحتمال الثاني ضد اتجاه الإسلام الخلقي، وضد منهجه في ترقية الحياة البشرية، ورفعها وتطهيرها وتزكيتها، كي تصبح لائقة بالإنسان الذي كرمه الله على الحيوان!

والاحتمال الثالث هو وحده الذي يلبي ضرورات الفطرة الواقعية، ويلبي منهج الإسلام الخلقي، ويحتفظ للزوجة الأولى برعاية الزوجية، ويحقق رغبة الزوجين في الإبقاء على عشرتهما وعلى ذكرياتهما، وييسر على الإنسان الخطو الصاعد في رفق ويسر وواقعية.

وشيء كهذا يقع في حالة عقم الزوجة، مع رغبة الزوج الفطرية في النسل، حيث يكون أمامه طريقان لا ثالث لهما:

١ ـ أن يطلقها ليستبدل بها زوجة أخرى تلبي رغبة الإنسان الفطرية في النسل.

٢ ـ أو أن يتزوج بأخرى، ويبقي على عشرته مع الزوجة الأولى.

وقد يهذر قوم من المتحذلقين ومن المتحذلقات بإيثار الطريق الأول، ولكن تسعاً وتسعين زوجة ـ على الأقل ـ من كل مائة سيتوجهن باللعنة إلى من يشير على الزوج بهذا الطريق! الطريق الذي يحطم عليهن بيوتهن بلا عوض منظور ـ فقلما تجد العقيم وقد تبين عقمها راغباً في الزواج ـ وكثيراً ما تجد الزوجة العاقر أنساً واسترواحاً في الأطفال الصغار، تجيء بهم الزوجة الأخرى من زوجها، فيملأون عليهم الدار حركة وبهجة أياً كان ابتئاسها لحرمانها الخاص.

وهكذا حيثما ذهبنا نتأمل الحياة الواقعية بملابساتها العملية، التي لا تصغي للحذلقة، ولا تستجيب للهذر، ولا تستروح للهزل السخيف والتميع المنحل في مواضع الجد الصارم.. وجدنا مظاهر الحكمة العلوية، في سن هذه الرخصة، مقيدة بذلك القيد:

{فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة}

فالرخصة تلبي واقع الفطرة، وواقع الحياة، وتحمي المجتمع من الجنوح ـ تحت ضغط الضرورات الفطرية والواقعية المتنوعة ـ إلى الانحلال أو الملال.. والقيد يحمي الحياة الزوجية من الفوضى والاختلال، ويحمي الزوجة من الجور والظلم، ويحمي كرامة المرأة أن تتعرض للمهانة بدون ضرورة ملجئة واحتياط كامل، ويضمن العدل الذي تحتمل معه الضرورة ومقتضياتها المريرة.

إنّ أحداً يدرك روح الإسلام واتجاهه، لا يقول: إنّ التعدد مطلوب لذاته، مستحب بلا مبرر من ضرورة فطرية أو اجتماعية، وبلا دافع إلاّ التلذذ الحيواني، وإلاّ التنقل بين الزوجات، كما يتنقل الخليل بين الخليلات. إنما هو ضرورة تواجه ضرورة، وحل يواجه مشكلة، وهو ليس متروكاً للهوى، بلا قيد ولا حد في النظام الإسلام، الذي يواجه كل واقعيات الحياة.

فإذا انحرف جيل من الأجيال في استخدام هذه الرخصة، إذا راح رجال يتخذون من هذه الرخصة فرصة لإحالة الحياة الزوجية مسرحاً للذة الحيوانية، إذا أمسوا يتنقلون بين الزوجات كما يتنقل الخليل بين الخليلات، إذا انشأوا الحريم في هذه الصورة المريبة، فليس ذلك شأن الإسلام. وليس هؤلاء هم الذين يمثلون الإسلام.. إنّ هؤلاء إنما انحدروا إلى هذا الدرك لأنهم بعدوا عن الإسلام، ولم يدركوا روحة النظيف الكريم، والسبب أنهم يعيشون في مجتمع لا يحكمه الإسلام، ولا تسيطر فيه شريعته، مجتمع لا تقوم عليه سلطة مسلمة، تدين للإسلام وشريعته، وتأخذ الناس بتوجيهات الإسلام وقوانينه، وآدابه وتقاليده.

إنّ المجتمع المعادي للإسلام المتفلت من شريعته وقانونه، هو المسؤول الأول عن هذه الفوضى، هو المسؤول الأول عن الحريم في صورته الهابطة المريبة، هو المسؤول الأول عن اتخاذ الحياة الزوجية مسرح لذة بهيمية. فمن شاء أن يصلح هذه الحال فليرد الناس إلى الإسلام، وشريعته ومنهجه، فيردهم إلى النظافة والطهارة والاستقامة والاعتدال، من شاء الإصلاح فليرد الناس إلى

الإسلام لا في هذه الجزئية، ولكن في منهج الحياة كلها. فالإسلام نظام متكامل لا يعمل إلاّ وهو كامل شامل..

والعدل المطلوب هو العدل في المعاملة والنفقة والمعاشرة والمباشرة، أما العدل في مشاعر القلوب وأحاسيس النفوس، فلا يطالب به أحد من بني الإنسان، لأنه خارج عن إرادة الإنسان.. وهو العدل الذي قال الله عنه في الآية الأخرى من هذه السورة: {ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة}.. هذه الآية التي يحاول بعض الناس أن يتخذوا منها دليلاً على تحريم التعدد، والأمر ليس كذلك، وشريعة الله ليست هازلة، حتى تشرع الأمر في آية، وتحرمه في آية، بهذه الصورة التي تعطي باليمين وتسلب بالشمال! فالعدل المطلوب في الآية الأولى، والذي يتعين عدم التعدد إذا خيف ألا يتحقق، هو العدل في المعاملة والنفقة والمعاشرة والمباشرة، وسائر الأوضاع الظاهرة، بحيث لا ينقص إحدى الزوجات شيء منها، وبحيث لا تؤثر واحدة دون الأخرى بشيء منها. على نحو ما كان النبي ﷺ هو أرفع إنسان عرفته البشرية، يقوم به، في الوقت الذي لم يكن أحد يجهل من حوله ولا من نسائه، أنه يحب عائشة رضي الله عنها ويؤثرها بعاطفة قلبية خاصة، لا تشاركها فيها غيرها، فالقلوب ليست ملكاً لأصحابها، إنما هي بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء.. وقد كان ﷺ يعرف دينه ويعرف قلبه، فكان يقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[(١)].

ونعود فنكرر قبل أن نتجاوز هذه النقطة، أن الإسلام لم ينشىء التعدد إنما حدده، ولم يأمر بالتعدد إنما رخص فيه وقيده، وأنه رخص فيه لمواجهة واقعيات الحياة البشرية، وضرورات الفطرة الإنسانية، هذه الضرورات وتلك

(١) أخرجه أبو داود (٢١٣٤)، والشيخ في «إرواء الغليل» (٢٠٧٨) والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٣٥)، والنسائي في «عشرة النساء» (٥) وغيرهم وقد أوردت تخريجه كاملاً في موضعه...

الواقعيات التي ذكرنا بعض ما تكشف لنا حتى الآن منها، وقد يكون وراءها غيرها تظهره أطوار الحياة في أجيال أخرى، وفي ظروف أخرى كذلك، كما وقع في كل تشريع أو توجيه جاء به هذا المنهج الرباني، وقصر البشر في فترة من فترات التاريخ، عن استيعاب كل ما وراءه من حكمة ومصلحة. فالحكمة والمصلحة مفترضتان وواقعتان في كل تشريع إلهي، سواء أدركهما البشر أم لم يدركوهما، في فترة من فترات التاريخ الإنسان القصير، عن طريق الإدراك البشري المحدود!

ثم ننتقل إلى الإجراء الثاني الذي تنص عليه الآية عند الخوف من عدم تحقق العدل:

{فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم}..

أي إنه إن خيف عدم العدل في التزوج بأكثر من واحدة تعين الاقتصار على واحدة! ولم يجز تجاوزها، أو ما ملكت أيمانكم من الإماء زواجاً أو تسرياً، فالنص لم يحدد.

إنَّ الزواج من مملوكة فيه رد لاعتبارها وكرامتها الإنسانية، فهو مؤهل من مؤهلات التحرير لها ولنسلها من سيدها - حتى ولو لم يعتقها لحظة الزواج - فهي منذ اليوم الذي تلد فيه تسمى «أم ولد» ويمتنع على سيدها بيعها، وتصبح حرة بعد وفاته، أما ولده فهو حر منذ مولده.

وكذلك عند التسري بها، فإنها إذا ولدت أصبحت أم ولد وامتنع بيعها وصارت حرة بعد وفاة سيدها، وصار ولدها منه كذلك حراً إذا اعترف بنسبه، وهذا ما كان يحدث عادة.

فالزواج والتسري كلاهما طريق من طرق التحرير التي شرعها الإسلام وهي كثيرة... على أنه قد يحيك في النفس شيء من مسألة التسري هذه، فيحسن أن نتذكر أن قضية الرق كلها قضية ضرورة، وأن الضرورة التي اقتضت إباحة الاسترقاق في الحرب الشرعية التي يعلنها الإمام المسلم المنفذ

لشريعة الله، هي ذاتها التي اقتضت إباحة التسري بالإماء، لأن مصير المسلمات الحرائر العفيفات حين يؤسرن كان شراً من هذا المصير!

على أنه يحسن ألا ننسى أن هؤلاء الأسيرات المسترقات لهن مطالب فطرية لا بد أن يحسب حسابها في حياتهن، ولا يمكن إغفالها في نظام واقعي يراعي فطرة الإنسان وواقعه... فإما أن تتم تلبية هذه المطالب عن طريق الزواج، وإما أن تتم عن طريق تسري السيد، ما دام نظام الاسترقاق قائماً، كي لا ينشرن في المجتمع حالة من الانحلال الخلقي والفوضى الجنسية، لا ضابط لها، حين يلبين حاجتهن الفطرية عن طريق البغاء أو المخادنة، كما كانت الحال في الجاهلية.

أما ما وقع في بعض العصور من الاستكثار من الإماء عن طريق الشراء والخطف والنخاسة وتجميعهن في القصور، واتخاذهن وسيلة للالتذاذ الجنسي البهيمي، وتمضية الليالي الحمراء بين قطعان الإماء، وعربدة السكر والربص والغناء.. إلى آخر ما نقلته إلينا الأخبار الصادقة والمبالغ فيها على السواء.. أما هذا كله فليس هو الإسلام، وليس من فعل الإسلام، ولا إيحاء الإسلام، ولا يجوز أن يحسب على النظام الإسلامي، ولا أن يضاف إلى واقعه التاريخي.

إنَّ الواقع التاريخي الإسلامي هو الذي ينشأ وفق أصول الإسلام وتصوراته وشرعيته وموازينه، هذا وحده هو الواقع التاريخي الإسلامي، أما ما يقع في المجتمع الذي ينتسب إلى الإسلام، خارجاً عن أصوله وموازينه فلا يجوز أن يحسب منه، لأنه انحراف عنه.

إنَّ للإسلام وجوده المستقل خارج واقع المسلمين في أي جيل، فالمسلمون لم ينشئوا الإسلام، إنما الإسلام هو الذي أنشأ المسلمين، الإسلام هو الأصل، والمسلمون فرع عنه، ونتاج من نتاجه، ومن ثم فإن ما يصنعه الناس أو ما يفهمونه ليس هو الذي يحدد أصل النظام الإسلامي أو مفهوم الإسلام الأساسي، إلاّ أن يكون مطابقاً للأصل الإسلامي الثابت المستقل عن واقع الناس ومفهومهم،

والذي يقاس إليه واقع الناس في كل جيل ومفهومهم، ليعلم كم هو مطابق أو منحرف عن الإسلام.

إنَّ الأمر ليس كذلك في النظم الأرضية التي تنشأ ابتداء من تصورات البشر، ومن المذاهب التي يضعونها لأنفسهم وذلك حين يرتدون إلى الجاهلية ويكفرون بالله مهما ادعوا أنهم يؤمنون به، فمظهر الإيمان الأول بالله هو استمداد الأنظمة من نهجه وشريعته، ولا إيمان بغير هذه القاعدة الكبيرة. ذلك أن المفهومات المتغيرية للناس حينئذ، والأوضاع المتطورة في أنظمتهم، هي التي تحدد مفهوم المذاهب التي وضعوها لأنفسهم، وطبقوها على أنفسهم.

فأما في النظام الإسلامي الذي لم يصنعه الناس لأنفسهم، إنما صنعه للناس رب الناس وخالقهم ورازقهم ومالكهم، فأما في هذا النظام فالناس إما أن يتبعوه ويقيموا أوضاعهم وفقه، فواقعهم إذن هو الواقع التاريخي الإسلامي، وإما أن ينحرفوا عنه أو يجانبوه كلية، فليس هذا واقعاً تاريخياً للإسلام، إنما هو انحراف عن الإسلام!

ولا بد من الانتباه إلى هذا الاعتبار عند النظر في التاريخ الإسلامي، فعلى هذا الاعتبار تقوم النظرية التاريخية الإسلامية، وهي تختلف تماماً مع سائر النظريات التاريخية الأخرى، التي تعتبر واقع الجماعة الفعلي، هو التفسير العملي للنظرية أو المذهب، وتبحث عن تطور النظرية أو المذاهب في هذا الواقع الفعلي للجماعة التي تعتنقه، وفي المفهومات المتغيرة لهذه النظرية في فكر الجماعة! وتطبيق هذه النظرة على الإسلام ينافي طبيعته المتفردة، ويؤدي إلى أخطار كثيرة في تحديد المفهوم الإسلامي الحقيقي.

وأخيراً تفصح الآية عن حكمة هذه الإجراءات كلها.. إنها اتقاء الجور وتحقيق العدل.

{ذلك أدنى ألّا تعولوا}..

ذلك.. البعد عن نكاح اليتيمات ـ إن خفتم ألاّ تقسطوا في اليتامى ـ

ونكاح غيرهن من النساء ـ مثنى وثلاث ورباع ـ ونكاح الواحدة فقط ـ إن خفتم ألاّ تعدلوا ـ أو ما ملكت أيمانكم.. {ذلك أدنى ألاّ تعولوا}.. أي ذلك أقرب ألاّ تظلموا وألاّ تجوروا.

وهكذا يتبين أن البحث عن العدل والقسط، هو رائد هذا المنهج، وهدف كل جزئية من جزئياته والعدل أجدر أن يراعى في المحضن الذي يضم الأسرة، وهي اللبنة الأولى للبناء الاجتماعي كله، ونقطة الانطلاق إلى الحياة الاجتماعية العامة، وفيه تدرج الأجيال وهي لدنة رخصة قابلة للتكيف، فإن لم يقم على العدل والود والسلام، فلا عدل ولا ود في المجتمع كله ولا سلام[1].

ومن أسرار حكمة تعدد الزوجات[2]: أنَّ الله جل شأنه قد أجرى سنته أن يكون عدد النساء أكثر من عدد الرجال: يدلنا على ذلك إحصاءات المواليد اليومية، التي تقوم بها الدول في مختلف الأقطار وألزم سبحانه وتعالى الرجال بمعاناة مهام الأمور التي تنهك قواهم، وتهدم كيانهم، وترمل نساءهم، فوكل إليهم أمر الزراعة والصناعة والتجارة، وخوض الحروب، وغير ذلك من الأمور الشاقة المضنية، ولا يخفى ما يترتب على هذه المهام من قلة الرجال وكثرة النساء كثرة لا تدخل تحت الحصر والعد، فلو أنه حظر على الرجال تعدد النساء في هذه الأحوال وهن محتاجات إلى الأزواج في ضرورة التحصين والكفالة لكانت فتنة في الأرض وفساد كبير.

ومن أسرار إباحة التعدد: أنَّ المرأة غير مستعدة للنسل في كل آن، فهي إذا بلغت الخمسين تقريباً تناقصت قواها، وظهر ضعفها، بما نالها من مشاق الحمل والولادة، والحضانة والرضاعة إبان شبابها، ولو بقي ذلك بعد الخمسين لازدادت ضعفاً على ضعفها وتلاشت قواها، لذا رحمها الله فأخرجها عن

(١) «في ظلال القرآن» للشهيد سيد قطب ١/ ٥٧٧.

(٢) «مجلة الإسلام» المجلد السابع للسنة الثامنة ص ٧٠٧، العدد ١٧ ص ٣١ الجمعة ٢٨ من ربيع الثاني سنة ١٣٥٨ هـ الموافق ١٦ من يونيه سنة ١٩٣٩.

الاستعداد للولد بعد هذه السن بفقد الحيض وأسباب النسل، فلو منع تعدد الزوجات لظل الرجل محروماً من الولد، معذباً بلظى الشوق إليه، أو وقعت الزوجة في أضرار الفراق بالطلاق، وما ذلك شأن العدل، ولا شرعة الانصاف.

ومن تلك الأسرار: أن بعض الرجال تغلب على طباعهم الشهوة إلى حد لا يصبرون معه، ولو صبروا لأصيبوا بالضرر، وقد تطول مدة حيض نسائهم، وقد تمتد مدة نفاسهم فلو منع تعدد الزوجات لوقع الرجل الذي هذا حاله فيما لا تحمد عقباه.

ومن الأسرار المهمة: أن صاحب الزوجة الواحدة إذا كان يبغضها، وكلفناه الصبر على معاشرتها، فإنه لا جرم يصبح ويمسي مشرد الفكر، سيىء العشرة، ثم إذا فرض ووقعت تلك الزوجة الوحيدة في مرض مزمن أو معد، أوقعت صاحبها أيضاً في هوة الفساد، وذلك فيه من الخسار ما فيه، ولا دافع له إلاّ الأخذ بمبدأ تعدد الزوجات الذي يكفل الطمأنينة والصلاح.

مما تقدم يتضح ما في إباحة تعدد الزوجات من حكم سامية، وفوائد جليلة، يتوقف عليها نظام الحياة، وتقتضيها ضروريات الوجود. وقد أدرك بعض الأوروبيين تلك الأسرار وغيرها في هذا التشريع الجليل، فنصبوا من أنفسهم دعاة لتعميمه حتى أن الكاتب الانكليزي الكبير «برنار دشو» قال في كتابه «الحياة الزوجية» عند الكلام على تعدد الزوجات في الدين الإسلامي: «إن الدولة الانجليزية ستضطر حسب تقدمها المطرد إلى اتخاذ الإسلام ديناً لها قبل انقضاء القرن العشرين».

وجاء في جريدة «لندن تروث» الانجليزية بقلم كاتبة إنجليزية فاضلة ما ترجمته: «لقد كثرت الشاردات من بناتنا، وعم البلاء، وقل الباحثون عن أسباب ذلك، وإذ كنت امرأة تراني انظر إلى هاتيك البنات وقلبي يتقطع شفقة عليهن وحزناً، وماذا عسى أن يفيدهن بثي وحزني، وتوجعي وتفجعي إن

شاركني الناس فيه جميعاً، لا فائدة إلاّ في العمل بما يمنع تلك الحالة الرجسة، ولله در العالم ـ تريد بالعالم المشرع الإسلامي ـ فإنه رأى الداء ووصف الدواء الكافل للشفاء، وهو الإباحة للرجل أن يتزوج بأكثر من واحدة، وبهذه الواسطة يزول البلاء لا محالة، وتصبح بناتنا بنات بيوت. فالبلاء كل البلاء في إجبار الرجل الأوروبي على الاكتفاء بامرأة واحدة، أي ظن وخرص يحيط بعدد الرجال المتزوجين الذين لهم أولاد غير شرعيين أصبحوا كلاً وعالة وعاراً على المجتمع الإنساني، فلو كان تعدد الزوجات مباحاً لما حاق بأولئك الأولاد وأمهاتهم ما هم فيه من العذاب الهون، ولسلم عرضهن وعرض أولادهن، وإن مزاحمة المرأة للرجل ستحل بنا الدمار، ألم تروا أن حال خلقتها تنادي بأن عليها ما ليس على الرجل، وعليه ما ليس عليها، وبإباحة تعدد الزوجات تصبح كل امرأة ربة بيت، وأم أولاد شرعيين». اهـ.

وأقول: إنَّ هذه الكاتبة الذكية، وذلك الفيلسوف، قد أدركا بثاقب عقلهما سر التشريع في تعدد الزوجات فدعوا إيه، ورأياه خير علاج لتطهير الدول الأوروبية من ذلك الفساد الذي ينتشر في أرجائها، ويؤذن بانقضاء مجدها.

ولو أنَّ تلك الأمم الأوروبية استجابت لدعوتهما ودعوة أمثالهما من دعاة الإصلاح لاستقامت الأمور، وتحصنت بالزواج ربات الخدود.

إنَّ ديننا الذي تكفل بصيانة الأعراض وحمايتها، وطهارة الأخلاق وصيانتها، سد باب هاتيك المفاسد بإباحة تعدد الزوجات، حتى تكون علاقة الرجل بالمرأة علاقة وثيقة قوامها الطهر والعفاف، والكفالة والرعاية والشرف والصيانة.

وقد طعن بعض الملحدين في مبدأ تعدد الزوجات بقولهم: إنَّ الرجل الذي يجمع بين زوجتين يعتبر في نظر المجتمع آثماً، لأنه يخلق العداوة بين نسائه، والبغضاء بين أبنائه، وأقول: إنَّ ما نشاهده من الشقاق لم يكن من تعدد الزوجات، بل منشؤه جور الرجل على زوجاته وعدم عدله بين أولاده ومن كان هذا حاله لا يبيح له دين الله شيئاً من هذا التعدد... اهـ.

فوائد تعدد الزوجات

كان العرب في الجاهلية أولي عصبية قومية، يعتز الرجل بالشجعان من بنيه وقبيله، فكانوا يتزوجون بأكثر من واحدة إلى عشر نسوة يبتغون كثرة النسل، وخلفة أبناء يحمون الذمار، ويدافعون عن الجار، ويردون العار، فلما جاء الإسلام أباح التعدد إلى أربع فقط، وقيده بقيود، وضيق فيه أشد التضييق، لئلا يفجأهم بتحريم التعدد، فيصدون عن الإسلام، ولا يدخلون في دين الله، فلذلك أباح الله التعدد للقادرين، ومن فوائده:

١ ـ الإكثار من النسل الذي يعتز به الرجل وأهله وقومه وأمته، ويوجد الذائدين عن الدين، والمدافعين عن حياض المسلمين، ويقوي شوكة المؤمنين، ويكثر عدد الأمة الإسلامية في الموقف العظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين:

روي عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يأمرنا بالباءة وينهى عن التبتل نهياً شديداً، ويقول: «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»[١] . .

---

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي في «المجتبى» (النكاح) ب ١١ وابن ماجه (١٨٤٦)، والحاكم ٢/ ١٦٢، والهيثمي في «المجمع» ٤/ ٢٥٢ و ٢٥٨ وفي «موارد الظمآن» (١٢٢٨) و (١٢٢٩)، والحافظ في «تلخيص الحبير» ٣/ ١١٦ والتبريزي في «المشكاة» (٣٠٩١)، والخطيب ١٢/ ٣٧٧، والبغوي في «شرح السنة» ٩/ ١٦، وأبي نعيم في «الحلية» ٢/ ٩١٤ و ٣/ ٦٢، والمنذري في «الترغيب» ٣/ ٤٦، والزبيري في «الإتحاف» ٥/ ٢٨٦.

والأمة الإسلامية أمة فتح ودفاع وتبشير بالدين القويم، وهداية إلى الصراط المستقيم، فهي في حاجة إلى عدد وفير للقيام بهذه الشؤون كلها، فلذلك أباح الشرع الشريف التعدد للقادرين، ابتغاء كثرة النسل.

٢ ـ النساء أكثر عدداً من الرجال فلو حرم تعدد الزوجات لبقي كثير منهن عانسات غير متزوجات، فيضطررن اضطراراً للكسب وفي ذلك ما فيه من امتهانهن ولجوئهن أن يأكلن بثدييهن، فيأتين الفاحشة مكرهات، ويقعن في الزنى مجبرات، ووراء ذلك ما وراءه من الضرر الكبير بهن وبأسرهن وشرفهن وعرضهن وقومهن وأمتهن، لذلك أباح الله التعدد للقادرين خروجاً من هذا البلاء الأليم.

٣ ـ في الرجال الأغنياء الموسرون القادرون، فلو حرم تعدد الزوجات فقد يتطلع أحدهم إلى غير زوجته، ويقربها قرباناً غير شرعي، وفي ذلك ما فيه من سوء العاقبة، وقبح المصير، وفشو الفاحشة، ووجود أبناء غير شرعيين، ووراء ذلك ما وراءه من شرف مثلوم، وعرض مفضوح، وقتل وإجرام، لذلك أباح الله تعدد الزوجات، بعداً عن هذه المخزيات، وتفادياً لتلك المنكرات، والله عليم خبير.

٤ ـ المرأة تبلغ سن اليأس عند الخمسين من عمرها، فلا تلد بعد هذه السن، فإذا قصر الرجل على امرأة واحدة، ضاع عليه بقية عمره بلا خلفة وهذا يحرم الأمة الإسلامية من عدد له قيمته، لو حرم تعدد الزوجات فأباح الدين الإسلامي التعدد، حتى لا تحرم الأمة من أبناء كثيرين وبنات كثيرات يولدون ويولدن في هذا الوقت الذي كان يضيع سدى لو قصر على امرأة واحدة.

٥ ـ إنَّ الرجل والمرأة في هذا العصر لا يتزوجان إلاّ بعد العشرين أو أزيد، فكأن الحياة الزوجية المثمرة إن لم يكن هناك موانع هي خمس وعشرون سنة، إذا حرم تعدد الزوجات، وقصر الرجل على واحدة فقط، وهي حياة قليلة الثمرة بالنسبة للحياة في العهود الأولى، لذلك أباح الشرع تعدد الزوجات حتى تمتد

الحياة الزوجية بالجديدة إلى خمس وعشرين سنة أخرى أو أزيد، وبهذا ينتفع الإسلام بعدد وفير كان يحرم منه لو حرم تعدد الزوجات.

٦ ـ إنَّ الحروب والكوارث والحوادث تنقص من عدد الرجال أكثر مما تنقص من عدد النساء، والنساء أكثر عدداً في السلم والأمن، فلو قصر الرجل على واحدة لبقي جيش جرار منهن بلا عائل ولا كفيل ولا عاصم، فيقضي هذا الجيش على الأخلاق والآداب، ويكون سبباً في الأزمات، وكثرة الموبقات والسيئات واضطراب الحياة والأمن في البلاد، وهو الحاصل في هذا العصر، فأباح الله التعدد للخلاص من هذه الشرور.

٧ ـ ساءت حال كثير من العانسات في غير بلاد الإسلام وفي بلاد الإسلام بعد الإعراض عن الزواج، فأصيب كثير منهن بأمراض عصبية وضيق شديد أفضى بهن إلى الجنون أو الانتحار أو ارتكاب العار، مما أنَّ منه المصلحون، وتألم له المفكرون، ووجدوا أنَّ الدواء الوحيد هو إجبار غير المتزوجين على الزواج، وفرض عقوبات وغرامات على من لم يتزوج وهو قادر، وإباحة تعدد الزوجات للمستطيعين، لهذا أباح الشرع الحكيم تعدد الزوجات، وأوجب على القادرين غير المتزوجين الزواج خشية الوقوع في الجريمة.

٨ ـ إنَّ المرأة قد يعرض لها من الحيض والنفاس ما يشغل معظم حياتها، فلا يجد زوجها حرثاً فقد يضطر إلى الزنى، وقد تصاب المرأة بمرض خبيث يجعلها غير صالحة للزوج فيضطر إلى غيرها من غير طريق الحل، وقد تمرض مرضاً مزمناً أو تكون عقيماً فينظر إلى غيرها، وقد تكون غير مستكملة شروط المرأة من جمال وصحة وسلامة جسم، فيتطلع إلى غيرها، وقد لا توافق طباعه ولا يوافق طباعها، فإذا قصر عليها وقصرت عليه كان ذلك قسوة وظلماً لهما، لذلك كله ولغيره أباح الشرع الشريف تعدد الزوجات وأباح الطلاق للخلاص من هذا الأذى وذلك الضرر، متى خلصت نية الرجل وكان من الصادقين الذين يراقبون الله في أعمالهم وفي الناس.

٩ - بسبب تحريم الطلاق وتعدد الزوجات عند الفرنج، طم الفساد عندهم وعم، وساءت أحوال النساء إساءة مزعجة، فخرجن على الآداب، خروج الوحوش الضاريات، وظهرن عاريات متهتكات، فقتلن الذوق والإنسانية والفضيلة، وأحيين كل رذيلة ونقيصة لعدم وجود من يكسر شهوتهن ويعصمهن، للتضييق عليهن بعدم الطلاق، وبتحريم تعدد الزوجات، ولكثرة عددهن، وعدم وجود الرجال اللازمين لهن، وتبع ذلك مفاسد عامة يضجون منها، ويتألمون لها، حتى قال كتابهم وكاتباتهم وأولو التفكير فيهم: إنَّ دواء ذلك حِل الطلاق وتعدد الزوجات، كما هو في الإسلام ومما يبعث على الأسى والأسف أن أضرب الشبان وغيرهم عن الزواج اكتفاء بقضاء مآربهم من غير ما أحل الله، فساءت أحوال النساء وخرجن عن اللياقة والشرع، وفقن العربيات، في العرى وإتيان المنكرات، والتفنن في لباس البحر والحفلات وغير ذلك مما أثار ضجة عنيفة، ولكنها لم تجد سميعاً ولا مطيعاً، وفي ذلك البلاء المحقق، والضياع المؤكد {وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا} [الإسراء: ١٦].

وعن بريدة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما نقض قوم العهد إلاّ كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلاّ سلط الله عليهم الموت، ولا منع قوم الزكاة إلاّ حبس عنهم القطر»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط، حتى يعلنوا بها، إلاّ فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم»(٢) - مثل الإيدز وهذا من أعلام النبوة -.

١٠ - إنَّ إباحة تعدد الزوجات، تفتح أبواب العيش والحياة أمام النساء،

---

(١) أخرجه الحاكم ٢/ ١٢٦، والبيهقي في «السنن» ٩/ ٢٣١ و ٣/ ٣٤٦، والسيوطي في «الدر المنثور» ٤/ ١٨٠ والهندي في «الكنز» (٤٣٩٤٣)، والشيخ في «الصحيحة» (١٠٧).

(٢) أخرجه المنذري في «الترغيب» ١/ ٥٤٣، والهيثمي في «مجمع الزوائد» ٥/ ٣١٧.

فيجدن بيوتاً تؤويهن ويعشن فيها مصونات، تلك هي بيوت رجالهن، فلا يلجأن لمزاحمة الرجال في الأعمال العامة كالوظائف والتجارة والصناعة وغيرها، وإنَّ لهذه المزاحمة مضار قاتلة، لأن المتعطلين من الرجال كثيرون في هذا العصر فإذا أضيف إلى ميدان الأعمال العامة النساء ازداد عدد المتعطلين والمتعطلات وعمت الفوضى، واشتدت الأزمة، وهذه المزاحمة تؤدي إلى اختلاط النساء بالرجال، وفي هذا الاختلاط ما يسهل سبيل الزنى، ويقلل الرغبة في الزواج الشرعي، وهذا هو ما تئن منه أوروبا، وما بدأنا نئن منه في بلادنا الإسلامية التي قلدت الأوروبيين وسارت وراء تلك المدنية الوحشية الخاطئة، فقد كثرت حوادث اللقطاء والعثور على كثير منهم ما بين قتيل وحي ملقى في مجمع القاذورات وكثرت حوادث قتل الفتيات اللاتي يقعن في شرك الساقطين من الفتيان بأيدي أقاربهن غسلاً للعار، أو ينتحرن بأيديهن تخلصاً من حياة نكدة أوقعهن فيها التغرير بهن ممن اختلطن بهم من العمال والشبان المجردين من كل عاطفة شريفة، ومن كل مروءة وشهامة، هؤلاء الأنذال الذين لا يزالون يغررون بالفتيات حتى إذا قضوا منهم أغراضهم تركوهن فريسة الشهوة البهيمية في مأساة عنيفة تنتهي بكثيرات منهن إلى أشنع أنواع القتل، أو إلى بيوت الدعارة والحياة المعذبة، ومن العجب أن تكون العاقبة السيئة وثقلها وضررها وآلامها على الفتيات دون هؤلاء اللئام الذين يرتكبون هذه الآثام، وينجون من كل مسؤولية وكل عقاب مما جعلهم يزدادون في إثمهم، ويعمهون في طغيانهم، فما أبعد نظر الإسلام في تحريم الاختلاط، وفي وجوب الزواج عند خشية الزنى، وفي إباحة تعدد الزوجات عند القدرة والإثم.

١١ ـ إن الرجل القادر العادل المؤمن الغني المتزوج بأكثر من واحدة وله من زوجتيه أو زوجاته أولاد، يحمله ذلك على الجد والعمل والسعي والكد والحرص على ما عنده من مال، رغبة في هناءة أسرته وأولاده، ومحافظة على سعادة بيته، فلو قصر مثل هذا الرجل على امرأة واحدة، فإنه لا يعني هذه

العناية ولا يهتم هذا الاهتمام، وقد يؤدي قصره على واحدة إلى الإسراف والتبذير، والدعة والكسل، فتخسر الأمة مواهبه وسعيه، وكده وعمله، وقد تخسر دينه وخلقه، إذا لم يجد غير واحدة قد لا تقوم بحاجته.

١٢ ـ قد يكون الرجل مصلحاً كبيراً، أو عالماً ضليعاً، أو سياسياً خبيراً، أو مخترعاً نبيهاً، فإذا تعددت زوجاته أخذن عنه، وتعلمن منه، وساعدنه على بث معارفه، ونشر آرائه، والنجاح في سياسته، واختراعه وقد أخذ المسلمون كثيراً من أحاديث الرسول ﷺ عن زوجاته الطاهرات رضي الله عنهن ولم يبح الشرع الحكيم الجمع بين أكثر من أربع، لأن العدل بين النساء يصعب كلما كثر العدد، قال تعالى بعد أن قيد التعدد بالأربع {ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم} فإذا زاد العدد عن أربع كان عدم الاستطاعة أولى، والرجل مهما يكن من القوة فلن يقوم بحاجات أكثر من أربع.

ولم يبح الشرع الحكيم أن تجمع المرأة بين أربعة رجال، لأن الحرث حينئذ يفسد، وقد يؤدي ذلك إلى تلك الأمراض الخبيثة، وإذا فرض المحال وسلم الحرث وجاء النسل لم يعرف لأي الرجال فيضيع بينهم ولا يهتم لتربيته واحد منهم، وقد ثبت أن رفاق المرأة لا يتفقون ولا بد أن تقع بينهم العداوة والبغضاء حتى ينفرد بها أحدهم أو يفني بعضهم بعضاً، هذا إلى ما ثبت من كثرة عدد النساء على عدد الرجال، فلو كان للمرأة أكثر من زوج لبقي كثيرات منهن بلا أزواج ويترتب على ذلك ما تقدم من المضار، فما أحكم الشرع الشريف في أمره ونهيه، وإباحته وحظره، وما أسعد الذين يتبعون رسول الله ﷺ الذي قال الله فيه: {يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم} [الأعراف: ١٥٧].

وقال فيه: {وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا} [الحشر: ٧].

وقد كان صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم والتابعون لهم

بإحسان يراعون حقوق الزوجات ويعدلون بينهم كل العدل، فلا ميل ولا جور ولا ظلم، حتى أن النبي ﷺ وهو في مرض الوفاة كان يأمل فيحمل ويطاف به على بيوت زوجاته، محافظة على العدل، وإقامة للقسط، ولم يرض بالإقامة في بيت إحداهن، حتى اشتد به المرض وأذن له نساؤه أن يقيم مدة مرضه بمنزل السيدة عائشة رضي الله عنها، فسألهن بعد إذنهن هل رضيتن؟ فقلن نعم. فأقام عند السيدة عائشة حتى توفي بمنزلها، وكان آخر ما أوصى به عليه السلام ثلاث كلمات كان يتكلم بهن حتى لجلج لسانه وخفي كلامه «الصلاة الصلاة وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون، الله الله في النساء، فإنهن عوان - أي أسراء - في أيديكم، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد ٦/ ٢٩٠ و ٣١١ و ٣١٥ و ٣٢١، وأبو داود (الأدب) ب ١٣٤، والحاكم ٣/ ٥٧، والبغوي ١/ ٥٢٤، وابن سعد ٢/ ٤٤، والطبري ٢٢/ ٦، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٧/ ٢٠٥، والزبيدي في «الإتحاف» ٦/ ٣٢٣، والشيخ في «الصحيحة» (٨٦٨) وغيرهم.

متى يكون تعدد

الزوجات ضاراً

إنَّ الله سبحانه وتعالى لم يبح شيئاً، ولم يجز أمراً، إلاّ لما فيه من خير كبير، ونفع عظيم، للفرد والجماعة، للرجل والمرأة، للإسلام والمسلمين، فإذا نشأت بسببه مضار، أو كانت من أجله مفاسد، فذلك من الناس الذين لم يحسنوا تنفيذ أمر الله، ومن الخروج فيه عما قرره الله، أباح الله عز وجل الأكل والشرب، ولكن قيدهما بترك الإسراف فقال جل شأنه: {كلوا واشربوا ولا تسرفوا} فإذا أسرف امرؤ في الأكل والشرب، وأصيب بسبب إسرافه، فأضاع ثروته وصحته، فذلك منه ومن مخالفته أمر ربه الذي نهى عن الإسراف فقال تعالى: {ولا تسرفوا} وأباح الله للقيم على مال اليتيم إذا كان هذا القيم فقيراً أن يأخذ من مال اليتيم ما يقابل قوامته من غير زيادة، فقال تعالى لكل من له قوامة على يتيم: {ومن كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف} فإذا أسرف الذين لهم القوامة على اليتامى، وأخذوا من مال اليتامى، وهم في غير حاجة إليه لغناهم أو لم يأخذوا بالمعروف وزادوا في الأكل عن المطلوب، فليس ذلك لأن الله أباح الأكل، بل لمخالفة الأغنياء القيمين، والفقراء القيمين، ما أمر به

الله، وما حدده الله، وأباح الله تعالى تعدد الزوجات، ولكن قيده بعدم الخوف من الجور، وبالبعد عن الظلم، وبإقامة العدل التام في كل شيء بين الزوجات والبنين والبنات، فقال عز وجل: {فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة} فإذا أسرف مسرف، وسار وراء نفسه ولذاته، وهواه وشهواته، وتزوج بأكثر من مرة واحدة وهو لا يستطيع إقامة العدل بين زوجتيه أو زوجاته، وأفراد أسرته، فذلك منه ومن إقدامه على ما لا حق له فيه، فهو مجرم آثم مخالف لله تعالى خارج عن أمره وشرعه، من هذا تعلم أن الضرر والفساد في كل ما أباحه الله تعالى، ليس من الدين، وليس من اتباع الدين، بل من هؤلاء الذين يخالفون أوامر الدين، ويخرجون عن حدود الدين، ويسيرون وراء مطامعهم وملاذهم وشهواتهم، فلا يستمعون لقول الله ولا يتبعون شرع الله {ومن يتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيرا} وعلى ذلك فلإباحة تعدد الزوجات مضار لم تنشأ عن إباحة التعدد بل نشأت عن مخالفة القيود التي أباح الله بها التعدد وهذه المضار هي:

١ ـ إنّ النساء والرجال والفتيات والشبان في هذا الزمان على ضعف شديد في الدين والأخلاق، فليس الناس الآن كما كانوا في العهود الذهبية الأولى عهود النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم والتابعين لهم بإحسان وعدل وإيمان، تلك العهود التي كانت فيها السيادة للدين، والقلوب والأعمال لرب العالمين، فكان المسلم لا يحب إلاّ الله، ولا يبغض إلاّ الله، ولا يعطي إلاّ الله، ولا يمنع إلاّ لله، فكانت إباحة التعدد لا ضرر منها ولا خوف ينجم عنها، لأنه لا يقدم على الزواج بأكثر من واحدة، إلاّ من خشي ربه، وخاف ذنبه، وضمن إقامة العدل في كل شيء بين زوجاته، والسير بالقسط بين أولاده وبناته، أما الآن فإن الرجل يتزوج بأكثر من واحدة لقضاء شهواته، وطمعاً في مال زوجاته، فلا يهنأ له بال، ولا تستقيم له حال، لأنه يميل مع الأهواء ولا يستطيع العدل بين النساء بل يحابي ويظلم، ويمالىء ويغدر، ويشعل نيران

العداوة بيديه، ويفتح أبواب الشرور عليه، لضعف دينه وقلة بصيرته وظلام قلبه وسوء طويته فيشتد الخصام في أسرته، وتسعى كل زوجة للانتقام من الأخرى، وتعمل للانفراد به، أو تكيد له وتمكر به، ويتبع ذلك وقوع الشقاق والعداء، بين البنات والأبناء، وبين هؤلاء وأبيهم، وبين هؤلاء جميعاً وأقارب الآخرين والأخريات، وينتقل ذلك منهم إلى الأمة، لأن لكل فريق أنصاراً ومساعدين، فيذهب الهدوء والأمان، وتضيع السكينة والاطمئنان، ووراء ذلك ما وراءه من الأذى والضرر وفساد الأخلاق وقد ينتهي بازهاق الأرواح وقتل الأنفس التي حرم الله قتلها وإزهاقها من غير ذنب ولا جريرة، وإلى الاشتغال بالكيد والمكر والختل والخداع، وترك ما هو مفيد.

٢ ـ إن الحياة المنزلية الآن تتطلب نفقات كثيرة، وتستدعي مجهودات عظيمة، فإذا كثر أفراد الأسرة بتعدد الزوجات، ثقل الحمل على الزوج ولو كان من أهل الثروات، فيتبرم من عيشته، ويتألم من حياته، ولا يؤدي الواجب لبنيه وبناته وزوجاته، فما بالك لو كان هذا الزوج فقيراً معدماً، إنه بزواجه بأكثر من واحدة يفتح على نفسه وأسرته المقبلة أبواب الشقاء والعناء، والعداء والشحناء، والأذى والبلاء، والفساد الكبير، والعذاب الأليم، لأنه يعجز عن تربية بنيه وبناته، ولا يستطيع الانفاق على زوجاته، فيضطرهم ويضطرهن إلى تولية وجوههم ووجوههن قبل المنكرات والموبقات مرغمين ومرغمات للوصول إلى ما يقيم أودهن وأودهم، ويشبع جوعهم وجوعهن، ويسد حاجتهم وحاجتهن، فتفسد الأخلاق والذمم، ويفشو الجهل والتعطل، ويؤدي ذلك إلى الزنى والسرقة والنصب والاحتيال، وكل خلق سيء، وفعل ذميم، وما كان كل هذا إلا لأن رب هذه الأسرة المسكينة المعذبة السيئة الشقية أقدم على الزواج بأكثر من واحدة، وهو عاجز ضعيف، ولم يك ذلك من إباحة تعدد الزوجات، ولكن كان من فساد دين هذا المتزوج ومخالفته الشرع الشريف حين أقدم على الزواج بأكثر من واحدة وهو عاجز غير مستطيع وللقاضي

الشرعي أن يفرق بينه وبين ما زاد على الواحدة منعاً للضرر.

٣ ـ إنَّ المنزل الذي تتأجج فيه نار الخصومة، يخرج للأمة شياطين الإنس الشريرين، وجماعة المتعطلين، فإنه لا تربية فيه ولا دين، ويكون سعيراً وجحيماً على الرجل وزوجاته، وبنيه وبناته، ومن يتصل بهم بصلة النسب أو القرابة، هذه بعض المضار المترتبة على إقدام من لا يستطيع العدل على الزواج بأكثر من واحدة، وليست هذه المضار من إباحة التعدد بل من المخالفة لقيود إباحة التعدد[١].

(١) «مجلة الإسلام» المجلد السادس، السنة السابعة، العدد السادس، الصفحة الثالثة، الجمعة ٧ من صفر سنة ١٣٥٧ هـ الموافق ٨ من ابريل سنة ١٩٣٨ م ـ مقال لفضيلة الشيخ عبد الفتاح خليفة رحمه الله تعالى.

لماذا عدد النبي ﷺ زوجاته

لقد كان هذا الزواج وسيلة من وسائل إذاعة الدعوة الإسلامية وتثبيتها وتقويتها، ولم يكن الغرض منه المتعة، قال العقاد: ما الذي يفعله أي رجل إذا بلغ من المكانة والسلطان ما بلغه محمد ﷺ بين قومه؟ لم يكن عسيراً عليه أن يجمع إليه أجمل بنات العرب وأفتن جواري الفرس والروم. ولم يكن عسيراً عليه أن يوفر لنفسه ولأهله من الطعام والكساء والزينة ما لم يتوفر لسيد من سادات الجزيرة في زمانه. فهل فعل محمد ﷺ ذلك بعد ظهور دينه؟ وهل فعله في مطلع حياته؟ كلا لم يفعله قط.. فلم يحدث أبداً أن اختار ﷺ زوجة واحدة لأنها مليحة أو جميلة الشكل فقط. وإنما كان يتزوج لأهداف سامية دون نظر إلى المتعة أو اللذة التي ينظر إليها هؤلاء.

لقد كانت زوجته الأولى تقارب الخمسين، وكان هو في عنفوان الشباب لا يجاوز الخامسة والعشرين، وقد اختارته زوجاً لها لأنه الصادق الأمين، وعاش معها إلى يوم وفاتها على أحسن حال من السيرة الطاهرة والسمعة النقية، ثم وفى لها بعد موتها، فلم يفكر في الزواج حتى عرضته عليه سيدة مسلمة رقت له،

فخطبت له السيدة سودة بنت زمعة، ثم بعد ذلك السيدة عائشة بإذنه، ولم تكن هذه الفتاة العزيزة عليه تسمع منه كلمة في حق زوجته الراحلة غير ثنائه عليها ووفائه لذكراها.

وما تزوج عليه الصلاة والسلام بواحدة من أمهات المسلمين لما وصفت به عنده من جمال ونضارة، وإنما كانت صلة الرحم والخوف على بعضهن من المهانة هي الباعث الأكبر في زواجه بهن، ومعظمهن كن أرامل فقدن الأزواج أو الأولياء، وليس من يتقدم لخطبتهن من الأكفاء لهن إن لم يفكر فيهن رسول الله ﷺ..

فالسيدة سودة بنت زمعة مات زوجها بعد عودتها من الهجرة إلى الحبشة، ولا مأوى لها بعد موته إلاّ أن تعود إلى أهلها ـ وهم ما زالوا على الكفر ـ فيكرهونها على الردة.

والسيدة هند بنت أمية ـ أم سلمة ـ استشهد زوجها وهو ابن عمها في أحد.. فتزوجها النبي ﷺ تطييباً لخاطرها وجبراً لكسرها.

والسيدة رملة بنت أبي سفيان تركت أباها وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها، وتنصر زوجها وفارقها في غربتها بغير عائل يكفلها، فأرسل النبي ﷺ إلى النجاشي يطلب الزواج منها وهي في هذه الغربة المهلكة لينقذها من أهلها إذا عادت إليهم راغمة من هجرتها في سبيل دينها، ولعل في الزواج بها سبباً يصل بينه وبين أبي سفيان بوشيجة النسب، فتميل به من جفاء العداوة إلى مودة تخرجه من ظلام الشرك إلى نور الإسلام.

والسيدة جويرية بنت الحارث ـ سيد قومه ـ كانت بين السبايا في غزوة بني المصطلق، فأكرمها النبي ﷺ وأنقذها من السباء وأعتقها وتزوجها، وحض المسلمين على اعتقاق سباياهم، فأسلموا جميعاً وحسن إسلامهم.

والسيدة حفصة بنت عمر مات زوجها، فعرضها أبوها على أبي بكر فسكت وعرضها على عثمان فسكت، وبثّ عمر أسفه للنبي ﷺ فطيب خاطره بزواجها.

والسيدة صفية بنت حيي بن أخطب ـ سيد بني قريظة، خيرها النبي ﷺ بين أن يردها إلى أهلها أو يعتقها ويتزوجها فاختارت البقاء عنده على العودة.

والسيدة زينب بنت جحش ـ ابنة عمته ـ زوجها النبي ﷺ لمولاه ومتبناه زيد بن حارثة، فنفرت منه وعز على زيد أن يروضها على طاعته، فأذن له النبي ﷺ في طلاقها، وتزوجها النبي ﷺ ليبطل بذلك عادة كانت متفشية في الجاهلية وهي تحريم زوجة الولد المتبنى، ونزل في ذلك قوله تعالى:

{وإذ تقول للذي أنعم ا عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق ا وتخفي في نفسك ما ا مبديه وتخشى الناس وا أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر ا مفعولاً} [الأحزاب: ٣٧] . .

والسيدة زينب بنت خزيمة مات زوجها عبد الله بن جحش قتيلاً في أُحد، ولم يكن بين المسلمين القلائل في صحبته من تقدم لخطبتها، فتكفل بها عليه الصلاة والسلام لأنه لا كفيل لها من قومها.

وقد أقام هؤلاء الزوجات في بيت لا يجدون فيه من الرغد ما تجده الزوجات في بيوت الكثير من الرجال مسلمين كانوا أو مشركين. . وعلى هذا الشرف الذي لا يدانيه عند المرأة المسلمة شرف الملكات أو الأميرات عاش هؤلاء في شدة العيش، حتى اشتكين من قسوة الحياة عليهن، وفي ذلك نزل قوله تعالى:

{يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً. وإن كنتن تردن ا ورسوله والدار الآخرة فإن ا أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً} [الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩] (٢) .

ومن هنا يظهر لنا أن زواج النبي ﷺ كان للدين لا للدنيا، وكان للحكمة لا للهوى، ولتوطيد الدعوة ونشرها وتقويتها، لا للمتعة أو التباهي والاستكثار.

---

(١) ملخصاً من «حقائق الإسلام وأباطيل خصومه» ـ فصل زواج النبي ﷺ للعقاد.
(٢) «لماذا عدد النبي زوجاته» ص ٥١ للدكتور أحمد الحوفي ـ مؤسسة الخليج العربي ـ، و «سلسلة آل البيت» ١/ ٧٥ ـ ٨٠.

لقد ابتغى من الزواج بعد وفاة السيدة خديجة الخير للإسلام والمسلمين وذلك أنه كان يعمد حيناً إلى أن يزيد القريب قرابة، وأن يضيف إلى أحبائه محبة، وإلى المخلص لله ورسوله إخلاصاً.

وكان يتوخى تارة أن يستكثر من الأصهار ليناصروه ويؤازروه في نشر دين الله، في مجتمع يعتبر المصاهرة صلة حيمة تستوجب النصرة والوفاء..

وليس من شك في أن زوجات الرسول ﷺ أفدن الإسلام بكثير من الحقائق الوثيقة الصلة بالدين، فقد أخبرن بسلوك النبي ﷺ وأعماله التي لم يرها غير زوجاته.

وهن اللاتي كن منابع التشريع المستنبط من أحوال لا يعرفها غير النساء، ولا يعلمها إلاّ أزواجهن، وبعضها يختلف من امرأة إلى أخرى.

وهن اللاتي روين أحاديثه الشريفة التي قالها في بيته ولم يسمعها غيرهن، وصححن رواية ما سمعه غيرهن إذا كان على خلاف حقيقته.

ولبعضهن آراء من الفقه وأسباب نزول بعض الآيات القرآنية الكريمة، ولا عجب في هذا فقد كن حريصات أشد الحرص على تطبيق مفهوم هذه الآية الكريمة.

{واماكرن ما بتلى في بيوتكن من آيات ا والحكمة إنّ ا كان لطيفاً خبيراً} [الأحزاب، ٣٤].

وقد روى عنهن الثقات كثيراً من الأحاديث الشريفة[١].

وقد أحسن الأستاذ سعيد هارون عاشور وأمتع في المسألة حيث قال[٢]:

---

(١) «فقه سيرة نساء النبي» ص ١٨٦.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٠٩) و (٢٩٦٧) و(٤٠٥٢) و (٥٠٧٩) و (٥٠٨٠) و (٥٢٤٥) (٥٢٤٧) و (٥٣٦٧) و (٦٣٨٧)، ومسلم (الرضاع) ٥٤ و ٥٥ و ٥٦ و ٥٧، والترمذي (١١٠٠)، وابن ماجه (١٨٦٠)، وأحمد ٣/٣٠٨ و ٣١٤، والدارمي ٢/١٤٦، والبيهقي في «السنن» ٥/٣٥١ و ٧/٨٠ و ٢٥٤، وابن السني (٦٠٥)، والبغوي في «شرح السنة» ٨/١٥٦ و ٩/١٥، وسعيد بن منصور في «مسنده» (٥١٠)، والحافظ في «تغليق التعليق» (٩١٥)، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٣/ ٣٨٣، وابن أبي شيبة ٤/٤١٧، والذهبي في «الطب النبوي» (١٨)، والكحال في «الأحكام النبوية» ٢/١٩، وابن عساكر ٣/٢٩٢، والزبيدي في «الإتحاف» ٥/٣٥٦ و ٣٤٧، والهندي في «الكنز» (٤٤٥٥٣) و (٤٥٦٣) و (٤٤٦٠٤) و (٤٥٦٣٣) و (٤٥٦٣٤)، والحميدي (١٢٢٧).

عاش النبي ﷺ حتى سن الخامسة والعشرين عزباً طاهراً نقياً حتى لقبوه بالأمين، وعاش خمسة وعشرين سنة أخرى مكتفياً بزوجة واحدة، هي السيدة خديجة، ولما ماتت تزوج السيدة سودة بنت زمعة وانفردت به ثلاثة سنوات، وكانت السيدة خديجة يوم أن تزوجها ابنة أربعين تكبره بخمسة عشر عاماً، ولما تزوج السيدة سودة كانت قد ناهزت الخمسين، فلو كان شهوانياً ما قضى سني شبابه مع عجوزين، ولم يجمع عليهما..

وقد عدد النبي ﷺ بعد أن تجاوز سن الثالثة والخمسين فلو كان التعدد لشهوة جنسية لكان أولى به سن الشباب.

وكانت كل زوجاته ثيبات عدا السيدة عائشة بنت أبي بكر، ولو كان شهوانياً لتزوج الأبكار، وهو الذي يقول لأحد صحابته كان قد تزوج ثيباً: «هلا بكراً تلاعبها وتلاعبك أو تضاحكها وتضاحكك»[(1)]..

ونراه ﷺ ينصح أصحابه بزواج الأبكار، فيقول: «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأنتق أرحاماً ـ أي أكثر تناسلاً ـ وأرضى باليسير»[(2)]..

وتروي كتب «السنن» و «السير» أنه آلى من نسائه شهراً، أي حلف أن لا يقربهن شهراً، وبر بقسمه ﷺ، والشهواني لا يحتمل البعد عن النساء شهراً.

وقد كان له من كل غنيمة حرب صفي، أي شيء يصطفيه قبل الخمس عبد أو أمة أو سيف أو درع، فأخذ يوم بدر ذا الفقار، ويوم بني قينقاع درعاً وفي

---

(1) أخرجه ابن ماجه (١٨٦١) والحافظ في «تلخيص الحبير» ٣/ ١٤٥، والتبريزي في «المشكاة» (٣٠٩٢)، والبغوي في «شرح السنة» ٩/ ١٥، والطبراني في «الكبير» ١٧/ ١٤١، والحافظ في «الفتح» ٩/ ١٢٣، والهيثمي في «المجمع» ٤/ ٢٥٩، وعبد الرزاق (١٠٣٤١)، والهندي في «الكنز» (٤٤٥٤٧) و (٤٤٥٤٨) و (٤٤٥٤٩)، والشيخ في «الصحيحة» (٦٢٣).

(2) أخرجه أبو داود (٢١٣٤)، والنسائي ٧/ ٦٤، والترمذي (١١٤٠) وابن ماجه (١٩٧١)، والنسائي في «عشرة النساء» (٥)، وأحمد ٦/ ١٤٤، والبيهقي في «السنن» ٧/ ٢٩٨، وابن حبان في «الإحسان» (٤١٩٢)، وابن أبي الدنيا في «العيال» (٧٠١)، والحاكم ٢/ ١٨٧ وقال: صحيح على شرط مسلم، والمنذري في «الترغيب» ٣/ ٦٠، وابن كثير ٢/ ٣٨٢ و ٦/ ٤٣٨، والقرطبي في «تفسيره» ١٤/ ٢١٧ وابن الجوزي في «زاد المسير» ٢/ ٢١٩ و ٦/ ١٣، والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٣٥).

غزاة ذات الرقاع جارية، وفي المريسيع عبداً أسود يقال له رباح، ويوم بني قريظة ريحانة وهكذا، والثابت أنه لم يصطف من النساء سوى اثنتين، ولو كان شهوانياً لاتخذ عشرات السراري.

وحتى أنه ﷺ لما اصطفى السيدة صفية بنت حيي لنفسه خيرها، فقال لها «هل لك في؟» قالت: يا رسول الله قد كنت أتمنى ذلك في الشرك، فكيف إذا أمكنني الله منه في الإسلام، فأعتقها وتزوجها، وكان عتقها صداقها.

وكان النبي ﷺ يقسم بين نسائه بالسوية، لكل منهن ليلتها، وكان يدور على نسائه بالنهار من غير مسيس، ثم يبيت عند التي هي ليلتها، كما يروي عن السيدة عائشة ـ ذلك بالرغم من اختلافهم في السن والملاحة ـ ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك»[1].

يقسم بين نسائه بالسوية، ويقول ذلك رغم أن القسم عليه غير واجب لقول الله تعالى: {ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك} [الأحزاب: ٥١].. ولو كان شهوانياً لجنح به هواه، وكيف بمن لا ينطق عن الهوى يسلك طريق الهوى؟ حاشا وكلا..

والآية الكريمة: {عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجاً خيراً منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً} [التحريم: ٥] ما ورد في الآية من صفات للنساء، كلها صفات خلقية سامية ليس فيها ما يحرك شهوة، ولو كان رسول الله ﷺ شهوانياً مطلبه الشباب والجمال في النساء، ويعرف نساؤه فيه ميله لذلك، لكان الله عز وجل أنذر نساء النبي أنه سيبدله إن

(١) أخرجه النسائي ٧/ ٦١، وأحمد ٣/ ١٢٨ و ٢٨٥، والحافظ في «تلخيص الحبير» ٣/ ١١٦، والحاكم ٢/ ١٦٠، والنسائي في «عشرة النساء» (١)، وأبو يعلى (٣٤٨٢) و (٣٥٣٠)، وابن عدي ٣/ ١١٥٠ و ١١٥١، والحلبي في «السيرة الحلبية» ٢/ ١٣٤، والزبيدي في «الإتحاف» ٣/ ٢٢ و ١٣١ و ١٣٨ و ٥/ ٣٣١ و ٨/ ١١٧ و ٩/ ٥٥٢، والقاضي عياض في «الشفا» ١/ ١٩٤ و ٢٧٧، والحافظ الذهبي في «الطب النبوي» ٢٠/ ٦٧، والكحال في «الأحكام النبوية» ٢/ ١٦، وابن كثير ٥/ ٤٥٦ والعراقي في «المغني عن حمل الأسفار» ٢/ ٣ و ٣٥٨ و ٣/ ٢١٤ و ٤/ ٢٨٩، والعجلوني في «كشف الخفاء» ١/ ٤٠٥، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ١٠، والهندي في «الكنز» (١٨٩١٣)، والقرطبي في تفسيره ٢/ ١٤ و ١٠/ ٥٦.

طلقهن خيراً منهن فتنة وجمالاً وشباباً ودلالاً..

ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «حبب إليّ من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في الصلاة»[1] وبناء الفعلين في هذا الحديث للمجهول يدل على أن ذلك ليس من فعله ﷺ ولكنه تكليف من الله له، ولاحظ الفرق بين حبب وجعلت قرة عيني لتعرف أن قرة عينه في الصلاة وليس النساء.

ويقول الحلبي: ـ صاحب السيرة ـ وإنما حبب إليه النساء لينقلن عنه محاسنه ومعجزاته الباطنية وبعض الأحكام التي لا يطلع عليها غالباً غيرهن وغير ذلك من الفوائد الدينية.

إن متع الحياة وملذاتها لا تنفصل عن الرغبة الشهوانية فهي من مستلزماتها، والحياة في بيت النبي ﷺ لا تحوي من متع الحياة قليلاً كان أو كثيراً، «فكان النبي ﷺ يبيت الليالي المتتالية طاوياً بغير طعام وأهله لا يجدون عشاء وكان أكثر خبزهم الشعير»[2]، وتمر الشهور ولا يوقد في بيت رسول الله ﷺ نار ـ أي لا يطهي طعام ـ إنما هما الأسودان التمر والماء. فكيف يستقيم شيء بدون مقدماته بل مقوماته، ولم يكن قلة المتاع في بيت النبي ﷺ لقلة ذات اليد والعجز عن التوسعة، بل كان العزوف والزهد عن مباهج الحياة ولذاتها ولكثرة صدقاته فيروى الترمذي عن أنس: «كان لا يدخر شيئاً لغد»[3] بدليل امتداد نفس الأوضاع المعيشية في بيت النبي ﷺ طيلة حياته حتى وبعد أن كثرت الغنائم والفيء.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ١/ ٢٥٥ و ٣٧٤، والترمذي (٢٣٦٠)، وابن ماجه(٣٣٤٧)، والبغوي في «التفسير» ٦/ ١٦٢، والترمذي في «الشمائل» (٨٧) والإمام أحمد في «الزهد» (٣٠)، والشجري في «الأمالي» ٢/ ٢٠٧، والمنذري في «الترغيب» ٤/ ١٨٧، والزبيدي في «الإتحاف» ٨/ ١٢١، وابن سعد في «الطبقات» ١/ ١١٣ والهندي في «الكنز» (١٨٤١٦)، وفي «هامش المواهب» (٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي في «الشمائل» (١٩٠)، والخطيب ٧/ ٩٨، والبغوي في «شرح السنة» ١٣/ ٢٥٣، وابن كثير في «البداية والنهاية» ٦/ ٦٣، وابن عساكر ٣/ ٢٩٠، و ١٠/ ٢٥٦، و «هامش المواهب» (١٧٩)، والزبيدي في «الإتحاف» ٧/ ٩٨، والهندي في «الكنز» (١٨٤١٢) و (١٨٦٨٢) والمنذري في «الترغيب» ٢/ ٥٦، والتبريزي في «المشكاة» (٥٨٢٥) والبغوي في «التفسير» ٥/ ١٩٩.

(٣) تفسير القاسمي» ٩/ ٣٦٨٧.

لم يعدد النبي ﷺ إلاّ بعد أن هاجر إلى المدينة وبدأ في بناء مجتمع المدينة ونشر الدعوة الإسلامية وجهاد المنافقين وقوى الشرك، فأين كانت هذه الرغبة في النساء قبل إقدامه على هذه المهام الجسام، وكيف يتأتى لمن كانت هذه همته وشغله الشاغل يكون منتهى شغله النساء، ومن أين له الوقت لكل ذلك مع قيامه الليل لعبادة ربه. اهـ.

ما كان الرسول ﷺ الوحيد في تعدد الزوجات..

قال تعالى: {ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية..} [الرعد: ٣٨].

قال القاسمي[١]: وهذا إعلامٌ، بأن ذلك سنة كثير من الرسل، فما جاز في حقهم لم لا يجوز في حقه ﷺ؟ وقد قال تعالى له: {قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي} [الكهف: ١١٠].

وقال القرطبي[٢]: قيل: إن اليهود عابوا على النبي ﷺ الأزواج، وعيرته بذلك وقالوا: ما نرى لهذا الرجل همة إلاّ النساء والنكاح، ولو كان نبياً لشغله

(١) «تفسير القرطبي» ٥/٣٥٥٦.

(٢) أخرجه البيهقي في «السنن» ٧/٧٨، والهيثمي في «المجمع» ٣/١٠ و ٤/٢٥٣، والحافظ في «الفتح» ٩/١١١، و«تلخيص الحبير» ٢/١١٦، والهندي في «الكنز» (٤٤٤٣٢) و (٤٤٤٦٧)، والشيخ في «الصحيحة» (١٧٨٢).

أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله هذه الآية، وذكرهم أمر داود وسليمان فقال: {ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلناكم أزواجاً وذرية} أي جعلناهم بشراً يقضون ما أحل الله من شهوات الدنيا، وإنما التخصيص في الوحي.

وهذه الآية تدل على الترغيب في النكاح والحض عليه، وتنهي عن التبتل، وهو ترك النكاح، وهذه سنة المرسلين كما نصت عليه هذه الآية، والسنة واردة بمعناها، قال ﷺ: «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم»(١)..

وقال ﷺ: «من تزوج فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الثاني»(٢)..

ومعنى ذلك: أن النكاح يعفّ عن الزنى، والعفاف أحد الخصلتين اللتين ضمن رسول الله ﷺ عليهما الجنة فقال: «من وقاه الله شر اثنتين ولج الجنة: ما بين لحييه، وما بين رجليه»(٣)..

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ، فلما أخبروه كأنهم تقالوها فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ! قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلّي الليل أبداً، وقال الآخر: إني أصوم الدهر فلا أُفطر، وقال الآخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج، فجاء رسول الله ﷺ: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد،

(١) وأخرجه لفظ: «تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم» أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (النكاح ب ١١، وابن ماجه (١٨٤٦)، والحاكم ٢/ ١٦٦، والهيثمي في «المجمع» ٤/ ٢٥٢ و ٢٥٨ وفي «موارد الظمآن» (١٢٢٨)، و (١٢٢٩)، والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (٣٠٩١)، والبغوي في «شرح السنة» ٩/ ١٦، والمنذري في «الترغيب» ٣/ ٤٦، وأبي نعيم في «الحلية» ٢/ ٩١٤ و ٣/ ٦٢، والزبيدي في «الإتحاف» ٥/ ٢٨٦، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٣١١ وغيرهم.

(٢) أخرجه الزبيدي في «الإتحاف» ٥/ ٢٨٨ و ٣٠٠، والهيثمي في «مجمع الزوائد» ٤/ ٢٥٢، والهندي في «الكنز» (٤٤٤٣٣).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٠٩)، والحاكم ٤/ ٣٥٧، والحافظ في «الفتح» ١١/ ٣١٠ وابن عبد البر في «تجريد التمهيد» (٩٨)، ومالك في «الموطأ» ٢/ ٩٨٧ و ٩٨٨.

وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١]..

وفي صحيح مسلم عن سعد بن أبي وقاص قال: أراد عثمان أن يتبتل فنهاه النبي ﷺ، ولو أجاز له ذلك لاختصينا..

وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يقول: إني لأتزوج المرأة ومالي فيها من حاجة، وأطؤها وما أشتهيها، قيل له: وما يحملك على ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: حبّي أن يخرج الله مني من يكاثر به النبي ﷺ النبيين يوم القيامة، وإني سمعته يقول: «عليكم بالأبكار فإنهن أعذب أفواهاً وأحسن أخلاقاً وأنتق أرحاماً وإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة»[٢].. قوله أنتق أرحاماً: أقبل للولد.

وقال الواحدي في سبب نزول هذه الآية[٣]: {ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً} قال الكلبي: عيرت اليهود رسول الله ﷺ وقالت: ما نرى لهذا الرجل مهمة إلاّ النساء والنكاح ولو كان نبياً كما زعم لشغله أمر النبوة عن النساء، فأنزل الله تعالى هذه الآية يرد على اليهود مقالتهم بأنه مثل الأنبياء اتخذوا أزواجاً وكانت لهم ذرية..

فالخليل إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء جمع بين سارة وهاجر، ولما توفيت هاجر ثم تبعتها سارة، تزوج إبراهيم الخليل بقطور الكنعانية وتزوج بحجون العربية، فولدت له بقية أولاده، وكان لسليمان بن داود عليهما السلام ألف امرأة ما بين زوجة وسرية ـ سبع مائة من النساء السيدات، وثلاث مائة من

(١) أخرجه البخاري ٧/٢، والبيهقي في «السنن» ٧/٧٧، والتبريزي في «المشكاة» (١٤٥)، والبغوي في «شرح السنة» ١/١٩٦، والشيخ في «إرواء الغليل» (٩٧٨٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٨٦١)، والحافظ في «تلخيص الحبير» ٣/١٤٥ والتبريزي في «المشكاة» (٣٠٩٢)، والبغوي في «شرح السنة» ٩/١٥، والطبراني في «الكبير» ١٧/١٤١، والحافظ في «الفتح» ٩/ ١٢٣، والهندي في «الكنز» (٤٤٥٤٧) و (٤٤٥٤٨) و (٤٤٥٤٩)، والشيخ في «الصحيحة» (٦٢٣) والهيثمي في «المجمع» ٤/٢٥٩.

(٣) «مختصر الطبري مذيلاً بكتاب أسباب النزول للنيسابوري» ص ٢٤٧.

السراري، وكان لأبيه داود مائة امرأة[1].

كما أن التعدد الذي في كتب اليهود لم يحرموه إلاّ في مجمع ورمز الرباني الذي عقد في بداية القرن الحادي عشر، وإن كا بعض طوائفهم لا يزال يمارسه حتى الآن أسوة بأنبياء بني إسرائيل.

والإنجيل لم يأت لينقض ما جاء في التوراة بل جاء ليكمله، وهكذا ظل التعدد قائماً بين المسيحيين حتى حرمه مجمع نيقية ٣٢٥ ميلادية الذي صاغ قراراته الأنبا الكسندروس بابا الاسكندرية في ذلك الحين.

وعليه فليس التعدد في الشريعة الإسلامية أمراً مستحدثاً على الشرائع السماوية السابقة، وليس نبينا ﷺ بدعاً من الرسل في تعدد زوجاته[2].

(١) «سفر الملوك» أصحاح ١١.
(٢) انظر «فقه سيرة نساء النبي ﷺ» ص ١٨٥.

خصوصية النبي ﷺ بأكثر من أربع زوجات

إنَّ الله سبحانه وتعالى اقتضت حكمته أن يخص النبي ﷺ بأكثر من أربع نسوة، وقد أنزل في ذلك قرآناً فقد قال تعالى: {لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلاّ ما ملكت يمينك} [الأحزاب، ٥٢].

يخصه الله سبحانه وتعالى وحده بما في الآية من تشريع، وقد نزلت هذه الآية بعد أن اكتمل عدد زوجاته تسعاً بعد زواجه بالسيدة ميمونة بنت الحارث في منصرفه من عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة، وكانت السيدة ميمونة آخر من تزوجها النبي ﷺ.

فالآية تستثني النبي ﷺ من التحديد الذي ورد في الآية الثالثة من سورة النساء، فلا يطلق ما زاد على أربع، وتُحلُّ له الإمساك بزوجاته اللاتي في عصمته وقت نزول الآية. كما أن الآية تحرم عليه الزواج بزوجات أخر إلاّ أن تكون من ملكة اليمين. وليس له أن يطلق من شاء من زوجاته التسع ويتزوج بغيرها بدلاً منها كما يحق لباقي المسلمين من طلاق وزواج وذلك بشرط أن

يلتزموا العدد وهو أربعة نسوة لا يزيدوا على ذلك.

إنَّ هذا التشريع من الله وما دام من الله فما لنا إلاّ التسليم فهو الذي يشرع لرسوله كما يشرع لنا، ومن الذي شرعه لرسوله ﷺ قوله: {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل ا لك تبتغي مرضاة أزواجك وا غفور رحيم} [التحريم: ا] وقوله سبحانه: {يا أيها النبي إنّا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء ا عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج وكان ا غفوراً رحيماً. ترجي من تشاء منهن وتؤوي إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن وا يعلم ما في قلوبكم وكان ا عليماً حليماً. لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو أعجبك حسنهن إلاّ ما ملكت يمينك وكان ا على كل شيء رقيبا} [الأحزاب: ٥٠ ـــ ٥٢]..

فلنبينا خصوصيات خصه الله سبحانه وتعالى بها، فإن كان قد استثناه مما فرض على سائر المسلمين في آية النساء، نرى أنه اختص بتحريم الزكاة عليه وعلى آله، وعدم تناول ماله رائحة كريهة كالثوم لتبقى رائحة زكية عند مجيء الملائكة والوحي، وتحريم نكاح الكتابية لأن زوجاته في الدنيا زوجاته في الآخرة، وكل هذه الأمور وغيرها حلال لسائر المسلمين

لقد استهدفت الآية الكريمة التي في سورة الأحزاب: {لا يحل لك النساء} فيما استهدفت اكرام نساء النبي ﷺ، فلو طلق النبي ﷺ ما زاد على أربع نسوة، لا تجد من يتزوجها لأنهن أمهات المؤمنين يحرم زواجهن بعده ﷺ والمطلقة كذلك.. كما أن الآية وفرت الاستقرار النفسي لهن وكان يقلقهن عرض القبائل على النبي ﷺ الزواج من بناتهن رغبة في نيل شرف الأصهار إليه، كما أن البعض كن يهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ.

عدله ﷺ بين نسائه

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها سافر بها معه وكان رسول الله ﷺ يقسم لكل امرأة منهن يومها وليلتها غير سودة جعلت يومها لعائشة تبتغي بذلك رضاه ﷺ، وكان ﷺ يعدل بين نسائه ويقول: «اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما لا أملك»(١) يعني من حب بعض أكثر من بعض.

وعنها أيضاً قالت: كان رسول الله ﷺ لا يفضل بعضنا على بعض في القسم وكان قل يوم يأتي إلاّ ويطوف علينا جميعاً ويدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ التي هي نوبتها فيبيت عندها.

وعن أنس قال: كان لرسول الله ﷺ تسع نسوة وكان إذا قسم بينهن لا ينتهي إلى المرأة الأولى إلاّ بعد تسع ليال ولكن كان يجمعهن كل ليلة عند التي هو عندها(٢).

---

(١) أخرجه الترمذي (١١٤٠)، والنسائي ٧/ ٦٤، وابن ماجه (١٩٧١) وابن أبي الدنيا في «العيال» (٧٠١) وأحمد ٦/ ١٤٤، وابن حبان في «الإحسان» (٤١٩٢)، والحاكم ٢/ ١٨٧ وقال: صحيح على شرط مسلم، والبيهقي في «السنن» ٧/ ٢٩٨، والدارمي، ٢/ ١٤٤، والنسائي في «عشرة النساء» (٥)، وابن أبي شيبة ٤/ ٣٨٦ و ٣٨٧، والتبريزي في «المشكاة» (٣٢٣٥)، والطبري في «السمط الثمين» ص ٧ واللفظ له، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٨/ ١٣٥.

(٢)«السمط الثمين» ص ٧

وقال ابن سعد بسنده عن أبي رزين قال: كان رسول الله ﷺ قد همّ أن يطلق من نسائه، فلما رأين ذلك جعلنه في حل يؤثر من يشاء منهن على من يشاء.

وقال ابن سعد بسنده أيضاً عن سلمى مولاة رسول الله ﷺ قالت: طاف رسول الله ﷺ على نسائه ليلة التسع اللاتي توفي عنهن وهنّ عنده، كلما خرج من عند امرأة قال لسلمى: «صبي لي غسلاً» فيغتسل قبل أن يأتي الأخرى. فقلت: يا رسول الله أما يكفيك غسل واحد؟ فقال النبي ﷺ: «هذا أطيب وأطهر»[1].

(١) أخرجه الإمام أحمد ٦/ ٣٩١، والبيهقي في «السنن» ١/ ٢٠٤ وابن أبي شيبة ١/ ١٤٧، وابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٣٨، والهندي في «الكنز» (٧٤١٣).

مهور نسائه ﷺ

عن عائشة قالت: كان صداق رسول الله ﷺ اثنتي عشرة أوقية ونشاً، فذلك خمس مائة درهم.

قالت عائشة: الأوقيّة أربعون والنشّ عشرون.

وعن الزهري قال: كان صداق رسول الله ﷺ عشر أواق من ذهب.

وعن عطاء الخرساني قال: قال عمر بن الخطاب: لا تغالوا في صدقات النساء، فإنه لو كان تقوى الله أو مكرمة في الدنيا كان نبيكم ﷺ، أولاكم بذلك، ما أصدق نساءه ولا بناته أكثر من اثنتي عشر أوقية وهي ثمانون وأربع مائة درهم.

وعن أبي العجفاء السلمي عن عمر قال: ما علمت أن رسول الله ﷺ نكح شيئاً من نسائه ولا أنكح شيئاً من بناته فوق اثنتي عشرة أوقية.

وعن جعفر بن محمد عن أبيه قال: كان صداق نساء رسول الله ﷺ خمس مائة[1].

(١) أخرج ذلك كله ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٨/ ١٢٨.

المشهورات من نساء النبي ﷺ

المشهورات من نسائه ﷺ وهن إحدى عشرة امرأة، ست من قريش:

١ ـ خديجة بنت خويلد بن عبد العزى بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

٢ ـ عائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن كعب بن لؤي.

٣ ـ حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لؤي.

٤ ـ أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

٥ ـ أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي.

٦ ـ سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك

بن حسل بن عامر بن لؤي.

٧ ـ زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة.

٨ ـ زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية أخت ميمونة، أم المساكين كنيتها في الجاهلية.

٩ ـ ميمونة بنت الحرث بن حزن بن بجير بن هزم بن رؤية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان الهلالية.

١٠ ـ جويرية بنت الحرث بن أبي ضرار الخزاعية ثم المصطلقية، وواحدة غير عربية من بني إسرائيل:

١١ ـ صفية بنت حي بن أخطب من بني النضير...

وهؤلاء المشهورات من نسائه ﷺ، متفق عليهن لم يختلف فيهن اثنان، وقد مات عنده ﷺ اثنتان، خديجة وزينب أم المساكين رضي الله عنهن، ومات ﷺ عن تسع نسوة، ولا خلاف في أن أول امرأة تزوج بها منهن خديجة رضي الله عنها، وأنه لم يتزوج عليها حتى ماتت، واختلف في ترتيب البواقي مع الاتفاق على نكاح جملتهن.

خديجة بنت خويلد - رضي الله عنها

هي خديجة بنت خويلد بن أسد عبد العُزّي بن قصيّ، ونسبها وتزوُّج رسول الله ﷺ، إياها وإسلامها[1].

وذكر في «الطبقات الكبرى» لابن سعد: وأمها فاطمة بنت زائدة بن الأصم بن الهرم بن رواحة بن حجر بن عبد ابن معيص بن عامر بن لؤيّ بن غالب بن فهم بن مالك، وأمها هالة بنت عبد المناف بن الحارث بن منقذ بن عمر بن معيص بن لؤي، وأمها العرقة وهي قلابة بنت سعيد ابن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤي، وأمها عاتكة بنت عبد العُزى بن قصيّ بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمها الخُطيًا وهي ريطة بنت كعب بن سعد بن تيم بن كعب بن لؤي بن غالب، وأمها نائلة بنت حذاقة بن جُمح بن عمرو بن هصيص ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك.

(١) «الإصابة» ترجمة (٣٣٣)، و«صفة الصفوة» (٢/ ٢)، و «تاريخ الخميس» (١/ ٣٠١)، و «السمط الثمين» (١٨٠)، و «المحبر» (١١)، (٧٧)، (٤٥٢)، و «الأعلام» (٢/ ٣٠٢)، «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤٠٩٦).

كما يجتمع نسبها مع النبي ﷺ في قصي وكانت تدعى في الجاهلية: الطاهرة.

زواجها من النبي ﷺ:

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: «إن نساء أهل مكة احتفلن في عيد كان لهن في رجب، فلم يتركن شيئاً من إكبار هذا العيد إلا أتينه، فبينما هن عكوف عند آلهتهن سمعن رجلاً قريباً منهن، ينادي بأعلى صوته: يا نساء تيماء، إنه سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد، يبعث برسالة الله، فأيما امرأة استطاعت أن تكون له زوجاً فلتفعل، فحصبته النساء وقبحتهُ وأغلظن له القول، وأغضت خديجة على قوله، ولم تعرض له فيما عرض فيه النساء.

ويبدو أن هذا الكلام قد وقع في قلبها موقعاً، وأدركت منه جلال النبوة المرتقبة وسعادة من يحالفها القدر لتكون زوجة هذا النبي المنتظر...

وظل هذا الكلام مرقوماً في قلبها لا يبارحه.. حتى جاء الوقت المعلوم لتكون هي صاحبة الحظ الأوفر بين نساء العالمين فتتزوج من خاتم الأنبياء والمرسلين.

ذكر تجارة النبي ﷺ بمال خديجة قبل أن يتزوجها:

كانت خديجة ذات شرف وسيادة في قومها، وكان لها مال وفير تتاجر فيه، وكانت تستأجر الرجال الأكفاء ذوي الخبرة ليتاجروا لها في مالها، تضاربهم إياه بشيء تجعله لهم.

والمضاربة نوع من أنواع المعاملات التجارية، يعطي فيه صاحب المال غيره قسطاً من المال يتجر له فيه على أن يكون لهُ من الربح سهم معلوم..

وبلغها عن النبي ﷺ صفاته الكريمة التي اشتهر بها قبل البعثة من صدق وأمانة وطالع ميمون فأحبت أن تستأجره وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره من التجار.

وكان النبي ﷺ في شبابه يعمل في التجارة. فأرسلت إليه ليقوم بهذه المهمة التي أرادتها مع غلام لها اسمه ميسرة، وعرضت عليه العمل في تجارتها فقبل.

وخرج النبي ﷺ إلى الشام ومعه ميسرة.

ورأى ميسرة في مصاحبته ﷺ ما لم يره من أحد غيره أبداً، لقد رأى دماثة الخلق، وحسن الأدب، وكرم العشرة، وصدق الحديث، وجمال الصحبة، ولين الجانب وجلال التواضع، فامتلأ قلب ميسرة إعجاباً بالنبي ﷺ وتعلقاً له، وأضمر في نفسه أن يخبر سيدته عند رجوعه يكمل ما رآه من عظمة هذا الرجل وكماله..

ومما زاد جلاله في نظره ما رآه من راهب شامي حين نزل النبي ﷺ ومعه ميسرة تحت شجرة قريبة من صومعة هذا الراهب.

فاطلع الراهب إلى ميسرة وقال له: من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة؟

قال ميسرة: هذا رجل من قريش من أهل الحرم.

فقال الراهب: ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلا نبي..[1].

لقد ملأت هذه الكلمة قلب ميسرة روعة.. وأيقن في نفسه أن هذه الأخلاق التي لمسها في رفيق رحلته لا يمكن أن تكون لإنسان عادي، لقد طالما صاحب رفاقاً قبل محمد في مثل هذه المرحلة، فلم ير ما رآه من محمد، لقد تعود أن يرى الأثرة والخداع، وحب السيطرة، والتعالي، والغش وغير ذلك مما تنطوي عليه غالباً أخلاق كثير من التجار.

فلا بد أن يكون كلام هذا الراهب صادقاً..

وباع النبي ﷺ سلعته التي خرج بها، واشترى ما أراد، وقفل عائداً.

وذكر بعض الرواة أن ميسرة رأى ظلاً يظلل النبي من الشمس وقت

---

(١) «أسد الغابة» جـ ٧ ص ٨٠ ـ «السيرة الحلبية» جـ ١ ص ٢١٧.

الهاجرة، وعند حرِّ الظهران قريباً من مكة فقال ميسرة للنبي ﷺ: هل لك أن تستبقني إلى خديجة فتخبرها بالذي جرى في سفرتك هذه وما صنعه الله لها على وجهك الميمون؟

فركب النبي ﷺ وتقدم حتى دخل مكة في ساعة الظهيرة، وخديجة في بيت مرتفع لها، ومعها نساء من قومها ـ فرأت النبي ﷺ قادماً على بعيره، وفوقه ظل يظلله، فعجبت من ذلك كما عجبت النساء أيضاً معها..

ودخل النبي ﷺ فأخبرها بما ربح، وهو ضعف ما كانت تربح فسرت بذلك. وسألته عن ميسرة، فقال: خلفته بالبادية.

وجاء ميسرة فصدق ما قاله النبي ﷺ وأخبرها بما رآه منه في حال سفره، وبما أخبره الراهب حين نزلا تحت الشجرة.

فاستيقنت أنه النبي الذي أخبرت به الكتب السابقة فعزمت على أن تفوز به زوجاً.

وأسرت خديجة إلى نفيسة بنت منية برغبتها..

قالت نفيسة: كانت خديجة امرأة حازمة جلدة شريفة، وهي يومئذ أوسط نساء قريش نسباً وأعظمهم شرفاً وأكثرهم مالاً وأحسنهم جمالاً، وكانت تدعى في الجاهلية بالطاهرة، وكان يقال لها: سيدة قريش، وكل رجال قومها كان حريصاً على أن يتزوجها لو قدر على ذلك، وقد طلبوها وذكروا لها الأموال فلم تقبل.

وتضيف صديقتها قائلة ـ كما ذكر الرواة ـ فأرسلتني خديجة إلى محمد ﷺ بعد أن رجع في عيرها من الشام.

فقلت: يا محمد، ما يمنعك أن تتزوج؟

قال: ما بيدي ما أتزوج به.

قلت: فإن كفيت ذلك، ودعيت إلى المال والجمال والشرف والكفاية ألا

تجيب؟

قال: فمن هي؟

قلت: خديجة.

قال: وكيف لي بذلك؟

قلت: بلى، وأنا أفعل.

قالت: فذهبت فأخبرتها. فأرسلت إليه أن أئت..

فأرسلت إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها..

وفي رواية أن خديجة ـ رضي الله عنها ـ هي التي عرضت بنفسها على النبي ﷺ أن تتزوجه فقد بعثت إليه ـ فيما يرويه ابن أثير في أسد الغابة ـ فقالت له: إني أخترتك لقرابتك مني وشرفك في قومك وأمانتك عندهم وحسن خلقك وصدق حديثك.

فما قالت لرسول الله ﷺ ما قالت ـ ذكر ذلك لأعمامه، فخرج معه حمزة بن عبد المطلب، حتى دخل على خويلد بن أسد فخطبها إليه فتزوجها رسول الله ﷺ.

لكن المشهور أن الذي خطبها لنبي ﷺ هو عمه أبو طالب، وأنه خطبها إلى عمها عمرو بن أسد.

وخطب أبو طالب خطبة قال فيها:

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ونسل معد، وعنصر مضر، وجعلنا حضنة بيته، وسواس حرمه، وجعل لنا بيتاً محجوباً وحرماً آمناً، وعلنا حكام الناس.

ثم إن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزن به رجلٌ إلا رجح به شرفاً ونبلاً وعقلاً وفضلاً، وإن كان في المال قل فإن المال ظل زائل وأمر حائل وعارية مسترجعة، وهو والله بعد هذا له بناء عظيم، وخطرٌ جليل وقد خطب إليكم

رغبة في كريمتكم خديجة، ولقد بذل لها من الصداق ما عاجله اثنتي عشر أوقية ونشًا[1].

وخطب ورقة بن نوفل وهو ابن عم خديجة فقال: الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت وفضلنا على ما عددت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كله، لا ينكر العرب فضلكم، ولا يرد أحد من الناس فخركم وشرفكم، ورغبتنا في الإتصال بحبلكم وشرفكم، فاشهدوا عليّ معاشر قريش أني قد أنكحت محمد بن عبد الله خديجة بنت خويلد.

وقد كانت خديجة رضي الله عنها ابنة خويلد قد ذكرت لورقة بن نوفل وكان ابن عمها وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها ميسرة قول الراهب وما كان يرى منه إذا كان الملكان يضلانه في القافلة، فقال ورقة لئن كان هذا حقاً يا خديجة أن محمداً نبي هذه الأمة وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينتظر هذا زمانه أو كما قال فجعل ورقة يستبطىء الأمر ويقول حتى متى.

- ذكر تزويج خديجة رضي الله عنها رسول الله ﷺ:

وعن ابن شهاب الزهيري قال: قال رسول الله ﷺ: «لما رجعنا من سوق الحباشة قلت لصاحبي: «انطلق بنا نتحدث عند خديجة، قال فجئناها فبينا نحن عندها دخلت عليها مستنسبة من مولدات قريش قالت: امحمداً هذا والذي يحلف به إن جاء لخاطب قال قلت كلا، قال: فلما خرجت أنا وصاحبي قالت ولم تعتذر من خطبة خديجة فوالله ما من قرشية إلا تراك كفوءاً، فرجعت أنا وصاحبي إليها مرة أخرى قال فدخلت تلك المستنسبة فقالت أمحمداً هو الذي يحلف به أن جاء لخاطب قال: فقلت على حياء أجل قال فلم تقتصر ولاء أختها (هكذا) قال فانطلقت إلى أبيها خويلد بن أسد بن عبد العزى وهو ثمل من الشرب فقلنا هذا ابن أخيك محمد بن عبد المطلب يخطب خديجة فدعاه فسأله

(١) الأوقية قيمتها أربعون درهماً، والنشى قيمة عشرون درهماً: وقيمة الصداق: خمسمائة درهم.

عن ذلك فخطب إليه فأنكحه، قال فخلفت خديجة أباها وحلت عليه حلة ودخل بها رسول الله ﷺ فلما صحا الشيخ من سكره فقال ما هذا الخلوق وهذه الحلة، قالت له ابنته أخت خديجة هذه حلة كساكها ابن أخيك محمد بن عبد المطلب أنكحته خديجة وقد دخل عليها وبنى بها فأنكر الشيخ ثم صار إلى أن سلم واستحيا فلبث رسول الله ﷺ حتى ولدت منه أولاده(١).

وعن جابر بن سمرة وغيره قال: كانت خديجة رضي الله عنها تبعث إلى النبي ﷺ بالشيء ليبعث به إلى أبيها حتى يرغب فيه فيزوجه(٢).

وقال أبو عمر: لا يختلفون في أن رسول الله ﷺ لم يتزوج قبل البعثة غير خديجة رضي الله عنها ولا تزوج عليها حتى ماتت وكان سنها يوم تزوجها رسول الله ﷺ أربعين سنة وقامت معه أربعاً وعشرين سنة وتوفيت وهي ابنة أربع وستين سنة وستة أشهر. وكان الرسول ﷺ يوم تزوجها ابن إحدى وعشرين وقيل خمس وعشرين وعليه الأكثر وقيل ثلاثين. وأجمعوا على أن أولاده كلهم منها غير إبراهيم على ما قررنا في مناقب ذوي القربى(٣).

ـ ذكر وليمة ﷺ على خديجة رضي الله عنها:

وأولم ﷺ فنحر جزوراً، وقيل: جزورين، وأطعم الناس. وأمرت خديجة جواريها أن يرقصن ويضربن بالدفوف.

وفرح أبو طالب فرحاً شديداً وقال: الحمد لله الذي أكرمنا، ووفقنا إلى الخير.

وكانت هذه أول وليمة أولمها النبي ﷺ.

وذكر الملأ في سيرته أن النبي ﷺ لما تزوج خديجة ـ رضي الله عنها ـ ذهب ليخرج فقالت له إلى أين يا محمد اذهب وانحر جزوراً أو جزورين.. وأطعم

---

(١) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ١/٧٧ و ٩٠، والطبري في «السمط الثمين» ص ١٥.
(٢) «السمط الثمين» للطبري ص ١٣.
(٣) «السمط الثمين» للطبري ص ١٣.

الناس ففعل ذلك ﷺ أول وليمة أولمها ﷺ.

وكان خبر هذا الزواج قد شاع قبل تمامه فوصل إلى بادية بني سعده فأسرعت حليمة بنت أبي ذؤيب، وهي أم النبي ﷺ من الرضاعة ـ لتشهد زفاف ابنها وكأنَّ الله قد أراد أن يعوض النبي ﷺ شيئاً من فرح الأم بابنها ليلة زفافه فأرسل أمه من الرضاعة لتتوب عن آمنة بنت وهب التي فقدها ابنها وهو طفل.

وفرحت خديجة بحليمة، وأهدتها أربعين شاة عادت بها إلى باديتها، وكانت هذه لمسة رقيقة من خديجة تشير إلى ما سوف يجده النبي ﷺ في جوارها من سكن ومودة وحنان.

ولم تنقطع زيارة حليمة لابنها وزوجه بعد ذلك.. ووجد النبي ﷺ في ظل هذه الزوجة البرة كل ما ينشده الرجل من أمن واستقرار وتفرغ لما يستقبله في حياته من عظائم الأمور وجلائل الأعمال.

وأنجبت خديجة من النبي ﷺ أولاده كلهم ما عدا إبراهيم الذي ولدته مارية القبطية.

وأولاده منها هم: زينب، وأم كلثوم، ورقية، وفاطمة والقاسم، وبه كان يكنى ﷺ والطاهر والطيب... وقد توفى هؤلاء الأولاد الذكور قبل البعثة، أما البنات فقد أدركن الإسلام وأسلمن وهاجرن.

ويقال: إنها ولدت ذكرين فقط هما القاسم وعبد الله والطاهر والطيب فهما لقبان لعبد الله[1].

وترتيب أولاده ﷺ كما جاء في أسد الغابة وهو أكبر ولده، ثم ابنته زينب.

وقال الكلبي: زينب، والقاسم ـ ثم أم كلثوم، ثم الفاطمة، ثم رقية ثم عبد الله ـ وكان يقال له الطيب والطاهر، وولد عبد الله في الإسلام، ومات بمكة، وكان قد سبقه أخوه القاسم.

(١)(*) «سلسلة آل بيت النبي» جـ ١ ص ٨٨.

إسلام خديجة:

لقد وقفت خديجة خلف النبي ﷺ تسانده في حياته، وكانت تتوسم فيه - كما قلنا - أنه سوف يكون نبي هذه الأمة المنتظر، فلماذا لا تعينه على الاستعداد لهذا اليوم؟ فكانت تتركه لعبادة ربه حيث كان يذهب إلى غار حراء بعيداً عنها يتسلق قمته، ويخلوا إلى الله في تفكير عميق بعيداً عنها، ليالي قد تطول.

وكانت تحمل له زاده أحياناً متجشمة في سبيل ذلك مشقة صعود الجبل والهبوط منه.

وربما أرسلت خلفه من يحرسه ويرد عنه الغوائل من وحش أو غيره.. وكانت تراود النبي ﷺ إرهاصات النبوة في صورة أحلام صادقة فلا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح - أو في صورة إلهام صائب، أو حديث يومه، أو تحية تزف إليه أو بشرى تخبره أنه رسول رب العالمين.

حتى جاء اليوم المنتظر - حيث كان في غار حراء وهناك جبريل يقول له: إقرأ، فقال: ما أنا بقارىء، ثم يقول له: اقرأ فيقول: ما أنا بقارىء، ثم يقول له: {اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الإنسان من علق * اقرأ وربك الأكرم *} [العلق: ١ — ٣].

ويرتاع النبي ﷺ لما رأى وسمع..

ويرجع إلى خديجة مسرعاً يرجف فؤاده وترتعد أواصله، قائلاً لها: زملوني زملوني..

وتزمّله خديجة، وتضمه إلى صدرها حتى يذهب عنه الروع، ثم تستمع إلى ما يخبرها له، قائلاً لها: لقد خشيت على نفسي..

ولكن خديجة - رضي الله عنها - تقول له: كلا، والله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل[1]، وتكسب المعدوم[2]، وتقري الضيف،

(١) الكل: الثقل.

(٢) المعدوم: أي تعطي الناس الشيء المعدوم عندهم.

وتعين على نوائب الحق[١].

وتطمئنه وتبشره قائلة: أبشر يابن عم واثبت فوالذي نفس خديجة بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة المنتظر.

وتتركه خديجة يستريح في فراشه، حتى إذا رأت النوم قد تسلل إلى جفونه، انطلقت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل لتخبره بما حدث لزوجها.

وينتفض ورقة في حماسة ويقول: قدوس قدوس، والذي نفس ورقة بيده، لئن صدقتني يا خديجة، لقد جاءه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى، وإنه لنبي هذه الأمة، فقولي له فليثبت[٢].

وعادت خديجة مسرورة بما سمعت، لقد ظفرت بما كانت تتوق إليه وهي أن تكون زوجة خير البرية.

وروت السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن خديجة انطلقت بالنبي ﷺ حتى بيت ورقة، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فأخبره النبي ﷺ بخبر ما رأى وسمع.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي نزل على موسى ـ عليه السلام ـ يا ليتني فيها جَذَعا، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ: «أو مخرجي هم؟»

قال: نعم، لم يأتِ رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك انصرك نصراً مؤزراً»[٣].

وطابت نفسه ﷺ بما سمع، وعاد إلى بيته مطمئناً مع زوجته أم المؤمنين الأولى ليبدأ جهاده من أجل رسالته، وليلقى في سبيلها أشق ما وعى التاريخ من أذى واضطهاد.

---

(١) «أسد الغابة» ٧/ ٨٣.

(٢) «تاريخ الطبري» جـ ٢ ص ٢٠٦.

(٣) المرجع السابق.

وكانت خديجة أول من آمن بالنبي ﷺ حين جاءته الرسالة، ولا عجب فقد آمنت به قبلها حين أحست بصادق شعورها وإلهامها الصادق هو نبي آخر الزمان.

ووقفت خلف النبي ﷺ تؤازره وتشد من عضده، وكان لا يسمع من قومه شيئاً يكرهه من ردّ عليه وتكذيب له فيحزنه إلا فرج الله بها عنه ما يكرهه ويحزنه، كانت تثبته وتخفف عنه وتصدقه وتهون عليه أمر الناس.

ولقد قالت له يوماً حين بدأه الوحي تريد أن تثبته وتثبت من أمر الوحي، يا ابن عم، هل تستطيع أن تخبرني بصاحبك الذي يأتيك إذا جاءك؟

قال: نعم.

فبينا رسول الله ﷺ عندها إذا جاءه جبريل، فأخبرها أنه جاء، فقالت: أتراه الآن؟

قال: نعم.

فتحسرت وألقت خمارها، ثم قالت: هل تراه الآن؟

قال: لا

قالت: ما هذا شيطان، إن هذا لملك يا ابن عم، أثبت وابشر[1]... وزادها هذا بصيرة في أمرها.

وظلت خديجة خلف النبي ﷺ وقد وضعت كل ما تملك من جهد ومال في خدمة النبي ﷺ وتبليغ الرسالة، فكانت له وزير صدق، ورفيق جهاد، وواحة أمان وملاذ أمن.

وعن سعيد بن عبد العزيز قال: ما جاءنا أبو حنيفة رضي الله عنه بشيء أعجب إلينا من هذا، قال إن أول من آمن من النساء خديجة رضي الله عنها وأول من أسلم من

(١) «أسد الغابة ٧/ ٨٣، سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٨.

الرجال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وأول من أسلم من الغلمان علي رضي الله عنه[١].

وعن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: «كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم كان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء يتحنث[٢] فيه وهو التعبد الليالي أولات العدد قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فتود لمثلها ففجئه[٣] الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ، فقال ما أنا بقارئ» قال فاخذني فغطني[٤] حتى بلغ مني الجهد[٥] ثم أرسلني اقرأ فقلت ما أنا بقارئ» فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: {اقرأ باسم ربك الذي خلق} حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة رضي الله عنها فقال: زملوني زملوني حتى ذهب عنه الروع فقال: يا خديجة مالي فأخبرها الخبر وقال قد خشيت على نفسي. فقالت له كلا أبشر فوالله لا يخزيك[٦] الله أبداً إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى[٧]...

وعن عبد الله بن أبي بكر بن عمرو بن حزم أنه قال: «كان من بدء أمر رسول الله ﷺ أنه رأى في المنام فشق ذلك فذكر ذلك لصاحبته خديجة ـ رضي الله عنها ـ بنت خويلد فقالت: ابشر فإن الله لا يصنع بك إلا خيراً، قال فذكر

---

(١) «السمط الثمين» للطبري ص ١٥.
(٢) يتحنث: يتعبد.
(٣) فجأه الأمر فجأة بالمد والضم وفاجأه مفاجأ إذا جاءه بغتة.
(٤) الغط: العصر الشديد والكبس.
(٥) الجهد: بفتح الجيم. وقيل المبالغة والغاية.
(٦) لا يخزيك الله أبداً: أي يوقعك في أمر يستحيا منه.
(٧)«السمط الثمين» للطبري ص ١٦.

لها أنه رأى أن يقظته أخرج فظهر وغسل ثم أعيد كما كان قالت هذا خير فأبشر[1].

مع النبي في شعب أبي طالب:

واجتمعت كلمة الكفر على محاصرة بني هاشم الذين يعضدون النبي ﷺ في شِعب أبي طالب. وأعلنت قريش عليهم حرباً ضارية قوامها التجويع والمقاطعة، وقد سجلت هذا الإعلان في صحيفة قاطعة ظالمة أودعت جوف الكعبة.

وقفت خديجة خلف النبي ﷺ تؤيده في سنوات المقاطعة بكل ما أوتيت من قوة وجهد، وقد تركت دارها الفسيحة الأنيقة لتقيم مع زوجها في ركن من أركان هذا الشعب تقاسي مع من فيه ضروب الأذى وألوان العناء وصنوف الاضطهاد وصراوة الجوع، في الوقت الذي كانت فيه قد كبرت وضعفت بسبب فقد أولادها الذكور من حبيبها المصطفى ﷺ.

ثلاث سنوات قضتها مع بني هاشم وبني عبد المطلب في هذا الشعب القاسي لا تبوح بشكوى، ولا تصرح بألم، قيض الله من قيض لنبذ هذه المقاطعة، وفك هذا الحصار العنيف.

وانجابت المحنة، وخرج النبي ﷺ من الشعب، وعاد إلى بيته مع زوجه البرة المؤمنة الصادقة.

ولم يمض وقت طويل بعد انتهاء هذه الأزمة حتى مات أبو طالب، ومن بعده بقليل ودعت خديجة الحياة، ولفظت أنفاسها الأخيرة بين يدي زوجها الذي أحبته ملء فؤادها وآمنت به وصدقته وآزرته، فواراها النبي ﷺ في قبرها بالحجون قبل الهجرة بثلاث سنين.

وحزن النبي ﷺ لفراقها حزناً شديداً.

(١) «السمط الثمين» للطبري ص ١٨.

بل سمي هذا العام الذي ذهب فيه أبو طالب ومن بعده خديجة بقليل عام الحزن.

لقد فقد النبي ﷺ بفراقهما ساعدين قويين كانا يذبان عنه ما ينوشه من سهام قريش وأذاها. ويكفان عنه ذئاب الوثنية والشرك.

«لقد تلفت النبي ﷺ حوله فإذا الدار بعد خديجة موحشة، وإذا مكة تنبو به بعد رحيلها فليس له على أرضها مكان.

قال ابن اسحاق: فتتابعت على رسول الله ﷺ الشدائد بموت خديجة وكانت له وزير صدق على الإسلام.

قال عبد الله بن ثعلبة: لما توفي أبو طالب وخديجة بنت خويلد ـ وكان بينهما شهر وخمسة أيام ـ اجتمعت على رسول الله ﷺ شدتان فلزم بيته وأقل الخروج، ونالت منه قريش ما لم تكن تنال ولا تطمع به»[1].

الله يرعاه:

وظنت قريش أن الدعوة قد خذلت، ولم يصبح في طوق محمد أن يمضي بها إلى الأمام، ولكن ظنها كان وهماً، وأملها كان خائباً، فعين الله ساهرة، وأشد الساعات حلكة أقربها إلى طلوع الفجر، فلئن كان أبو طالب مات فالله حي لا يموت، ولئن كانت خديجة قد مضت فقد رضي الله عنها وأرضاها، وذهبت إلى بيت الجنة لا صخب فيه ولا نصب، ولقد تركت بعدها السابقين الأولين من المسلمين يحيطون بالرسول ويبذلون أرواحهم فداء له.

وأذن الله لدعوته أن تمضي في طريقها فقيض لها من عنده من يؤمن بها ويتفانى في سبيلها، لقد تلقف الدعوة رجال من الأنصار بعيداً عن مكة أقبلوا في الموسم يحجون، فبايعوا النبي ﷺ على الإيمان والنصر، وما زالوا يتوافدون في الموسم حتى هاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وقد سبقه أصحابه إليها فوجدوا

(١) «نساء النبي» لبنت الشاطئ، ص ٥١.

هناك النصر والتأييد والحب والإيثار والبطولة والإستشهاد.

فضل خديجة «رضي الله عنها»:

لقد وردت الأخبار الشريفة تشير إلى فضل هذه الزوجة الكريمة الصادقة.

روى أنس أن النبي ﷺ قال: «خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد»(١).

وروى ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: خط رسول الله ﷺ في الأرض أربعة خطوط. ثم قال: «أتدرون ما هذا؟»

قالوا: الله ورسوله أعلم.

فقال رسول الله ﷺ: «أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، ومريم بنت عمران، وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون»(٢).

لقد استحقت خديجة ذلك عن جدارة، فقد كانت أول من صلى مع رسول الله ﷺ سراً وجهراً.

ذكر ابن في طبقاته عن الزهري قال: مكث رسول الله ﷺ وخديجة يصليان سراً ما شاء الله.

وذكر ما أخبر به عفيف الكندي قال: جئت في الجاهلية إلى كمة وأنا أبتاع لأهلي من ثيابها وعطرها، فنزلت على العباس بن عبد المطلب، قال: فأنا عنده وأنا أنظر إلى الكعبة، وقد حلقت الشمس فارتفعت، إذ أقبل شاب حتى دنا من الكعبة فرفع رأسه إلى السماء، فنظر، ثم استقبل الكعبة ثم جاء غلام حتى قام

---

(١) أخرجه البخاري ٤/ ٢٠٠ و ٥/ ٤٧، ومسلم (فضائل الصحابة) ٦٩، وأحمد ١/ ٨٤ و ١١٦ و ١٣٢ و ١٤٣، والبيهقي في «السنن» ٦/ ٣٦٧، والحاكم ٢/ ٤٩٧ و ٣/ ١٨٤ والبغوي في «شرح السنة» ١٤/ ١٥٦، والتبريزي في «المشكاة» (٦١٧٥)، وابن كثير ٢/ ٣٢، والطبري ٣/ ١٨٠، وابن كثير في «البداية» ٢/ ٥٩ و ٣/ ١٢٩ وغيرهم.

(٢) أخرجه النسائي في «فضائل الصحابة» (٢٥٠) و (٢٥٢) و (٢٥٩)، والحاكم ٣/ ١٦٠ و ١٨٥، وابن كثير ٨/ ٢٠٠، والحافظ في «الفتح» ٧/ ١٠٧ و ١٣٥ و ١٣٩، والشيخ في «الصحيحة» (١٥٠٨).

عن يمينه، ثم لم يلبث إلا يسيراً حتى جاءت امرأة فقامت خلفهما، ثم رجع الشاب فركع الغلام وركعت المرأة، ثم رفع الشاب رأسه ورفع الغلام رأسه ورفعت المرأة رأسها، ثم خر الشاب ساجداً وخر الغلام ساجداً وخرت المرأة ساجدة.

قال: فقلت: يا عباس، إني أرى أمراً عظيماً.

فقال العباس: أمر عظيم، هل تدري من هذا الشاب؟

قلت: لا. ما أدري.

قال: هذا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ـ ابن أخي.. هل تدري من هذا الغلام؟

قلت: لا، ما أدري.

قال: علي بن أبي طالب، ابن أخي. هل تدري من هذه المرأة؟

قلت: لا، ما أدري.

قال: هذه خديجة بنت خويلد، زوجة ابن أخي هذا.

إن ابن أخي هذا الذي ترى قد حدثنا أن ربه رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما علمت على ظهر الأرض كلها على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

قال عفيف: فتمنيت أني كنت رابعهم[1].

لقد كان لخديجة ـ رضوان الله عليها ـ منزلة تعرفها السماء وتذكرها لها، جزاء ما قدمت للدين من جهود طيبة وجهاد مشكور.

وفيما أخبر به أبو هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «أتاني جبريل عليه السلام، فقال: يا رسول الله، هذه خديجة ومعها إناء فيه إدام، فإذا أتتك فاقرأ

(١) «الطبقات الكبرى» للطبري جـ ٨ ص ١٠.

عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[١].

وكان النبي ﷺ يعرف لها حقها وفضلها، وكان لا يكف عن الثناء عليها.

وقد ورد أن الرسول ﷺ أكثر مرة من الثناء على خديجة بمسمع من عائشة.

فأحست بالغيرة فقالت: قد أبدلك الله خيراً منها.

فتغير وجهه ﷺ وزجر عائشة غاضباً.. وقال: «والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت حين كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس...»[٢].

وزاد الطبري في هذه الرواية ـ قالت: قلت: يا رسول الله اعف عني، ولا تسمعني أذكر خديجة بعد هذا اليوم بشيء تكرهه.

إن هذا الخبر يشير إلى معرفة النبي ﷺ فضل خديجة، وثنائه عليها بما هي أهل له.

ومما يدل على أنه كان وفياً لذكراها ما ذكرته عائشة ـ رضي الله عنها بقولها: ما غِرتُ على أحد من نساء النبي ﷺ ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان النبي ﷺ يكثر ذكرها، وربما ذبح الشاة ثم قطعها أعضاء ثم يبعثها إلى صديقات خديجة، فربما قلت له: كأن لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة فيقول: «إنها كانت وكانت»[٣] ويثني عليها.

وربما كان من وفائه لها حرصه على تتبع أثرها، فقد اختار مكاناً إلى جوار قبرها الذي دفنت فيه ليشرف منه على فتح مكة حين فتحها، وضرب فيه قبة

---

(١) أخرجه الحاكم ٣/ ١٨٥، و «جامع مسانيد أبي حنيفة» ١/ ٢٠٧، والنسائي في «فضائل الصحابة (٢٥٥)، والهيثمي في «المجمع» ٩/ ٢٢٤، والشيخ في «الصحيحة» (١٥٥٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد ٦/ ١١٨، والحافظ في «الفتح» ٧/ ١٣٧.

(٣) أخرجه البخاري ٥/ ٤٨، والبغوي في «شرح السنة» ١٤/ ١٥٨ وابن كثير في «البداية» ٣/ ١٢٨ والتبريزي في «المشكاة» (٦١٧٧).

وكان يلتفت بين آونة وأخرى إلى بيتها الحبيب حيث أخذ من نبع الحب والحنان ما تزود به لذلك الكفاح المضني الطويل(١).

ويذكر المؤرخون أن دار خديجة في مكة اشتراها معاوية بن أبي سفيان في خلافته وجعلها مسجداً(٢).

لقد تركت خديجة من بعدها للنبي ﷺ إلى جانب ما تركته من معاني خالدة ـ آثاراً مشهودة وذكريات محسوسة ممثلة في بناتها الأربع زينب ورقية وأم كلثوم، وفاطمة، وكلهن صورة من أمهن العظيمة المباركة، وبخاصة فاطمة ـ رضوان الله عليها ـ التي بقيت بعد النبي ﷺ وحفظت نسله الشريف الطاهر، مصداقاً لقول النبي ﷺ: «كل بني أنثى فإن عصبتهم لأبيهم ما خلا ولد فاطمة فأنا عصبتهم أبوهم»(٣)(*).

---

(١) «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» لزينب بنت علي ص ١٨١.

(٢) «أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ٣/ ٢٦٣١، والسيوطي في «جمع الجوامع» ٣/ ١٧٢.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ٣/ ٣٥، والهيثمي في «المجمع» ٤/ ٢٢٤ و ٦/ ٣٠١، والهندي في «الكنز» (٣٤٢٦٧)، والشيخ في «الضعيفة» (٨٠٢).

(*) «آل بيت النبي» جـ ١ ص ٩٨.

عائشة بنت أبي بكر

هي عائشة بنت أبي بكر الصديق بن أبي قحافة بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة بن كعب بن لؤي، وأمها أم رومان بنت عمير ابن عامر بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة[1].

وعن ابن عباس قال: خطب رسول الله ﷺ، إلى أبي بكر الصديق عائشة فقال أبو بكر: يا رسول الله قد كنت بها وعدت بها وذكرتها لمطعم بن عديّ بن نوفل بن عبد مناف لابنه جبير فدعني حتى أسلّها منهم ففعل، ثم تزوجها رسول الله ﷺ [2].

وعن عبد الرحمن بن أبي الرجال عن أبيه عن أمه عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة قالت: سمعت عائشة تقول: تزوجني رسول الله ﷺ في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة لثلاث سنين وأنا ابنة ست سنين، وهاجر رسول الله ﷺ فقدم المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع

(١) «الإصابة» ترجمة (٧٠١)، و «السمط الثمين» (٢٩)، و «الطبري» (٣/ ٦٧)، و «ذيل المذيل» (٢/ ٤٣)، و «تاريخ الخميس» (١/ ٤٧٥)، و «الدر المنثور» (٢٨٠)، و«صبح الأعشى» (٥/ ٤٣٥)، و «منهاج السنة (٢/ ١٨٢، ١٨٦، ١٩٢، ١٩٨)، و «الأعلام الكبرى» لابن سعد (٤١٢٨).

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤١٢٨).

الأول، وأعرس بي في شوّال على رأس ثمانية أشهر من المهاجر، وكنت يوم دخل بي ابنة تسع سنين[١].

ذكر تسميتها (رض) موفقة:

عن ابن عباس رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ: «من كان له فرطان[٢] من أمتي أدخله الله الجنة»، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ فمن كان له فرط من أمتك، قال: «ومن كان له فرط من أمتي يا موفقة»، قلت: فمن لم يكن له فرط من أمتك، قال: «أنا فرط لأمتي لن يصابوا بمثلي»[٣].

في ذكر أم المؤمنين عائشة (رض):

عائشة رضي الله عنها بنت خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ.

وقد فتحت عائشة عينيها على الإسلام، فقد ولدت سنة أربع من المبعث فلم تع في بيت أبويها إلا الإسلام فكأنها ولدت مسلمة ونشأت مسلمة.

وكان النبي ﷺ يختلف كثيراً إلى بيت أبي بكر، ولم يكد يمر يوم دون أن يذهب إلى هذا البيت الصديق..

فقد كان أبو بكر أول من لبى نداء الإسلام من الرجال، فلم يتردد في قبوله حين عرضه عليه النبي ﷺ، وقال النبي في ذلك: «ما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة ما عدا أبا بكر»[٤].

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤١٢٨).
(٢) الفرط والفارط المتقدم أراد من مات له ولدان صغيران فكأنهما تقدماه إلى المنزل.
(٣) أخرجه الترمذي (١٠٦٢)، وأحمد ١/٣٣٥، والبغوي في «شرح السنة» ٥/٤٥٧، والطبراني في «الكبير» ١٢/١٩٧، والترمذي في «الشمائل» (٢١٢). والذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤٧٩٧).
(٤) أخرجه الهندي في «الكنز» وعزاه للديلمي عن ابن مسعود (٣٢٦١٢).

وقد لقب بالصديق لذلك:

وحين توفيت خديجة ـ رضي الله عنها ـ حزن النبي ﷺ حزناً شديداً فبعث الله جبريل فأتاه بصورة عائشة فقال: يا رسول الله هذه تذهب بعض حزنك، وإن هذه خلفاً من خديجة . .

فكأن رسول الله ﷺ حين يختلف إلى بيت أبي بكر يقول: «يا أم رومان، استوصي بعائشة خيراً واحفظيني فيها»[١].

فكأن لعائشة بذلك منزلة في بيت أهلها وهم لا يشعرون بأمر الله فيها[٢]

وفي يوم جاء النبي ﷺ إلى بيت أبي بكر كان يجيء، فوجد عائشة متستر بباب الدار وهي تبكي بكاء حزيناً، فسألها، فشكت إليه أمها وأنها تقس عليها.

فدمعت عينا النبي ﷺ ودخل على أم رومان فقال: «يا أم رومان، أ أوصك بعائشة أن تحفظيني فيها؟»[٣].

فقالت: يا رسول الله، إنها بلّغت الصديق عني ما أغضبه عليّ. فقال النب ﷺ: «وإن فعلت».

فقالت أم رومان: لا جرم، لا سؤتها أبداً[٤].

لقد عرف النبي ﷺ أن عائشة ستكون زوجته، أنبأه بذلك جبريل ـ ك رأينا في الخبر السابق ـ وكما ترى في هذا الخبر الذي ورد الصحيحين . . من أ النبي ﷺ قال لها: «أريتك في المنام مرتين»، أرى أنك في سرقة ـ شقة بيضاء من حرير ويقول: هذه امرأتك فأكشف عنها فإذا هي أنت، فأقول: «إن يك هذا من عند الله يمضه»[٥].

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٨/ ٥٤.

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد جـ ٨ ص ٥٤.

(٣) أخرجه الحاكم في «مستدركه» ٤/ ٥.

(٤) «الطبقات الكبرى» لابن سعد جـ ٨ ص ٥٤.

(٥) أخرجه البخاري (٧٠١١) و (٧٠١٢)، وأحمد ٦/ ٤١، والبغوي في «شرح السنة» ١٢/ ٢٣٦ والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (٦١٧٩)، وابن كثير في «البداية» ٣/ ١٣٠، والبيهقي في «دلائل النبو ٢/ ١٥٥، و «صحيح الجامع» (٩١٥).

ـ طلب الرسول ﷺ للزواج من عائشة رضي الله عنها:

طلب الرسول من خولة بنت حكيم أيضاً أن تخطب عليه عائشة فمضت خولة إلى بيت الصديق وأنهت إلى السيدة أم رومان زوجة الصديق ما جاءت من أجله..

قالت لها: ماذا أدخل الله عليك من خير وبركة؟

فقالت أم رومان: وما ذاك؟

قالت خولة: أرسلني رسول الله ﷺ أخطب عليه عائشة.

فقالت أم رومان: وددت. انتظري حتى يجيء أبو بكر..

وجاء أبو بكر، فأخبرته خولة الخبر..

ولكن أبا بكر قال: إنها ابنة أخيه، وهل يتزوج الرجل ابنة أخيه؟

وعادة خولة ـ إلى النبي ﷺ تخبره بذلك.

فقال لها: قولي له أنت أخي في الدين، وابنتك تصلح لي..

وعادت خولة لتخبر أبا بكر بما قال لها الرسول ﷺ.

فقال لها أبا بكر: إن المطعم بن عدي كان قد ذكرها لابنه وما وعد أبو بكر أحداً بشيء فأخلف وعده..

ولكن إرادة الله شاءت ولا راد لمشيئته.. فبينما كان أبو بكر يوماً في بيت المطعم بن عدي، إذا بامرأة المطعم تفاجئه بقولها.

يا ابن أبي قحافة لعلنا إن زوجنا ابننا من ابنتك أن تصبه وتدخله في دينك الذي أنت عليه؟

فلم يرد عليها أبو بكر، والتفت إلى المطعم فقال له: ما تقول هذه؟

فقال المطعم: إنها تقول ذاك..

يعني أنها قالت ما سمعتهُ، وفهم أبو بكر من ذلك أنها تواطأ على هذا

القول، وأنه يعني أشياء كثيرة. . . فقد أراد المطعم بن عدي وزوجته أن يشترطا على أبي بكر أن لا يدخل ابنهما في دينه الجديد كشرط لهذا الزواج. . ولم يوافق أبو بكر على ذلك إذ كيف يشترطان عليه ما لا يمكن أن يوافق عليه؟

لقد وهب أبو بكر نفسه لهذا الدين، يجاهد في سبيله بماله ونفسه، ويسترخص فيه كل غالٍ، فكيف يحول بيده بين ابنته وبين هذا الدين إذا هو زوّجها بين هؤلاء المشركين الذين يشترطون عليه ما لا يقبله؟

وعاد أبو بكر سعيداً لأنه عرف أن الله قد أراد له ولابنته خيراً كثيراً. .

ثم أرسل لخولة وقال لها: ادعي رسول الله ﷺ وجاء النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتم العقد، وكانت عائشة بنت ست سنين، ولكنه لم يدخل بها إلا في المدينة بعد ثلاث سنوات وسنها تسع سنوات. . وكان مهرها ما قيمته خمسون درهماً.

وقد ورد عن النبي ﷺ قوله: «أقلهن مهوراً أكثرهن بركة»[1].

كيف تتزوج وهي صغيرة؟

ولم يكن هذا الزواج بدعاً عند العرب، بل هو أمر مألوف.

فلا بأس أن تخطب البنت صغيرة، حتى ما أدركت زفّت ولم تُزف عائشة إلا بعد الهجرة وبعد أن أدركت.

وفارق السن لا يؤبه إلا عند متحذلقي العصر الحديث.

وليست العبرة بالسن ولكن العبرة بالألفة التي تكون بين الزوجين. . فهل انقطعت الألفة بين النبي ﷺ وخديجة وكانت تكبره بخمسة عشر عاماً، كلا بل كانت أوثق ما تكون.

(١) أخرجه النسائي في «عشرة النساء» (٣٩٦)، وأحمد ٦/ ٨٢ و ١٤٥، والحاكم ٢/ ١٧٨، وابن أبي شيبة ٤/ ١٨٩، والبيهقي في «السنن» ٧/ ٢٣٥، وابن نعيم في «الحلية»٢/ ١٨٦ و ٧/ ٢٩٠، والشيخ في «الارواء» (١٩٨٦) والبزار ٢/ ١٥٨، والزبيدي في «الاتحاف» ٥/ ٢٤٦ والشيخ في «الضعيفة» (١١١٧).

وهل انقطعت الألفة بين النبي ﷺ وعائشة، وكان يكبرها بما يقرب من نصف قرن؟ كلا، بل كانت الألفة بينهما أوثق ما تكون لقد كان زواجاً ناجحاً بكل المقاييس.

وكان مثل هذا الزواج كثيراً ما يحدث في البيئة العربية وما زال يحدث في الريف الذي يعني بالمثل والمعاني أكثر مما يعنى بالمظاهر والشكليات والعقد النفسية الحديثة والاجتماعية.

ولم تكن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أول فتاة تزف في تلك البيئة إلى رجل في سن أبيها ولن تكون ـ لقد تزوج عبد المطلب الشيخ من هالة بنت عم آمنة في اليوم الذي تزوج فيه عبد الله أصغر أبنائه ترب هالة ـ آمنة بنت وهب.

وتزوج بعد ذلك عمر بن الخطاب من أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وهو في سن فوق سن أبيها.

وعرض عمر على أبي بكر ـ أن يتزوج ابنته الشابة حفصة وبينهما من فارق السن مثل الذي بين المصطفى وعائشة(١).

لقد اتضحت حكمة النبي ﷺ من زواجه من عائشة الصغيرة السن التي تفتحت عيناها على هذا الدين، فوعت كل كلمة قالها النبي ﷺ فحفظتها وقدمتها للمسلمين كما سمعها فانتفعوا بها.. وكان الرواة يذهبون إليها فيسمعون منها ما لم يسمعوه من غيرها.

ولم يتم زفاف عائشة ـ رضي الله عنها ـ إلى النبي ﷺ إلا في المدينة بعد الهجرة وقد بلغت التاسعة من عمرها أو زادت عليها قليلاً.

وفي بيت متواضع شيد حول المسجد النبوي من لبن وسعف النخيل ووضع فيه فراش من أدم حشوه ليف، ليس بينه وبين الأرض إلا الحصير، وعلى فتحة الباب ستار من شعر ـ أقامت عائشة.

(١) «نساء النبي» لبنت الشاطئ، ص ٨٢.

وقد سئلت عائشة متى بنى بك الرسول ﷺ؟

فقالت: لما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة خلفنا وخلف بناته في مكة.. فلما قام المدينة بعث إلينا زيد بن حارثة، وبعث معه أبا رافع مولاه، فأعطاهما بعيرين وخمسائة درهم أخذها من أبي بكر يشتريان بها ما يحتاجون إليه من الظهر.

وبعث أبو بكر عبد الله بن أريقط الدئلي معهما ببعيرين أو ثلاث، وكتب إلى عبد الله بن أبي بكر يأمره أن يحمل أهله، أمي ـ أم رومان، وأنا وأختي أسماء ـ امرأة الزبير، فخرجوا مصطحبين.

فلما انتهوا إلى قديد اشترى زيد بن حارثة بتلك الخمسمائة ثلاث أبعرة، ثم رحلوا من مكة جميعاً، وصادفوا طلحة بن عبد الله يريد الهجرة..

فخرجنا جميعاً وخرج زيد بن حارثة وأبو رافع بفاطمة وأم كلثوم وسودة بنت زمعة.

وحمل زيد أم أيمن أسامة بن زيد، وخرج عبد الله ابن أبي بكر بأم رومان وأختيه، وخرج طلحة بن عبد الله واصطحبنا جميعاً، حتى إذا كنا بالبيش من منى نفر بعيري وأنا في محفّة معي فيها أمي، فجعلت أمي تقول: وابنتاه واعروساه.

حتى أدرك بعيرنا وقد هبط من مرتفع فسلّم الله ـ عز وجل ـ ثم إنا قدمنا المدينة فنزلت مع عيال أبي بكر، ونزل آل رسول الله، ورسول الله ﷺ يومئذ يبني المسجد، وأبياتا حول المسجد، فأنزل فيها أهله.

ومكثنا أياماً في منزل أبي بكر.

ثم قال أبو بكر: يا رسول الله. ما يمنعك أن تبني بأهلك؟

قال رسول الله ﷺ الصداق: «وكان اثنتي عشر أوقية ونشا»(١) فبعث بها

---

(١) النشى: عشرون درهماً ويبدو أنه من ذهب.

رسول الله ﷺ إلينا.

وبنى بي رسول الله ﷺ في بيتي هذا الذي أنا فيه، وهو الذي توفي فيه ﷺ وجعل رسول الله ﷺ لنفسه باباً في المسجد تجاه باب عائشة.

قالت: وكانت سودة في أحد تلك البيوت التي جنبي(1).

منزلتها عند رسول الله ﷺ:

نالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ منزلة عظيمة في بيت رسول الله ﷺ وبين زوجاته. فقد كانت حريصة أشد الحرص على تعلم فرائض الشريعة وأحاديث الرسول وفروع الدين.

حدث الأعمش عن مسلم عن مسروق أنه قيل له: هل كانت عائشة تعرف الفرائض؟

فقال: والذي نفسي بيده، لقد رأيت مشيخة أصحاب محمد ﷺ الأكابر يسألونها عن الفرائض.

وإذا علمنا أن الفرائض هي من أدق علوم الفقه علمنا كيف كانت منزلتها العلمية ـ ولم لا وهي الصديقة بنت الصديق.

ولقد بلغ من منزلتها أنها كانت ترى جبريل أحياناً.

حدث الشعبي عن مسروق قال: قالت لي عائشة: لقد رأيت جبريل واقفاً في حجرتي هذه على فرس رسول الله يناجيه، فلما دخل قلت:

يا رسول الله. من هذا الذي رأيتك تناجيه؟

قال: «وهل رأيتِ»؟

قلت: نعم.

قال: «فيمن شبهتيه»؟

(1) «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٨/ ٤٢.

قلت: بدحية الكلبي.

قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيت خيراً، ذاك جبريل».

قالت: فما لبثت إلا يسيراً حتى قال: «يا عائشة هذا جبريل يقرأ عليك السلام».

قلت: وعليه السلام، جزاه الله خيراً[1].

لقد كانت عائشة تعلم الرجال والنساء ـ لأنها تخرجت في مدرسة النبوة، ورعاها نبي البشرية ومعلمها، فجمعت من الفضل والبيان ما جعلها تخلِّف في التاريخ دوياً تتناقل أصداءه العصور.

لقد غدت عائشة معلمة لكل امرأة في العالم الإسلامي على مر العصور، وكانت خير زوجته اهتمت بالتلقي عن رسول الله ﷺ: «فبلغت من العلم والبلاغة ما جعلها معلمة للفحول من الرجال، ومرجعاً لهم في الحديث والسنة والفقه».

قال الزهري: «لو جمع علم عائشة إلى علم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل»[2].

وقال عروة ما رأيت أحد قط كان أعلم بآية أنزلت ولا بفريضة ولا بسنة ولا بيوم من أيام العرب ولا بنسب ولا بكذا ـ ولا بكذا ولا بقضاء وطلب من عائشة.. فقلت لها: «يا خالة، الطب من أين علمته؟».

فقالت: كنت أمرض فينعت لي الشيء، ويمرض المريض فينعت له، وأسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فأحفظه»[3].

---

(١) أخرجه البخاري ٤/ ١٣٦ و ٥/ ٣٦ و ٨/ ٦٨، ومسلم (فضائل الصحابة) ٩١، والترمذي (٣٨٨١)، والنسائي ٧/ ٧٠، والهيثمي في «المجمع» ٨/ ٣٣ والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (٦١٧٨)، والزبيدي في «الإتحاف» ٢/ ٢١٧، وأحمد ٦/ ١١٧.

(٢) «المستدرك للحاكم في معرفة الصحابة» ٤/ ١١.

(٣) «نساء حول الرسول» لمحمود مهدي الاستانبولي، د. مصطفى أبو النصر ص ٥٨ مكتبة السوادي/ جدة.

ويمكن الاستشهاد على براعتها في الحفظ بما ذكر عنها في كتب الدر المنثور..

قال القاسم بن محمد بن أبي بكر: لما قتل أبي بمصر، وجاء عمي عبد الرحمن بن أبي بكر فاحتملني أنا وأختها لي من مصر، فقدم بنا إلى المدينة.

فبعث إلينا عائشة فاحتملنا من منزل عبد الرحمن إليها، فما رأيت والدة قط ولا والداً أبر منها. فلم نزل في حجرها حتى أدركنا..

ثم بعثت إلى عمي عبد الرحمن، فلما دخل عليها تكلمت، فحمدت الله ـ عز وجل ـ وأثنت عليه ـ فما رأيت متكلماً ولا متكلمة قبلها ولا بعدها أبلغ منها.

ثم قالت: يا أخي، إني أزل أراك عني منذ قبضت هذين الولدين منك، والله ما قبضتهما تطاولاً عليك، ولا تهمة لك فيهما، ولا لشيء تكرهه، ولكنك كنت رجلاً ذا نساء، وكانا صغيرين لا يكفيان من أنفسهما شيئاً، فخشيت أن يرى نساؤك منهما ما يتقذرن به من قبيح أمر الصبيان، فكنت ألطف لذلك وأحق لولايته والآن فقد قويا على أنفسهما، وشبا وعرفا ما يأتيان، فها هما هذان فضمهما إليك وكن لهما كحجية بن المضرب..

ثم قصت قصة حجية هذا فقالت:

كان لحجية أخ له معدان ـ فمات، وترك صبية صغاراً في حجر أخيه، فكان أبر الناس بهم وأعطفهم عليهم، وكان يؤثرهم على صبيانه.. فمكث بذلك ما شاء الله.

ثم إنه عرض له السفر لم يجد بداً من الخروج فيه وخرج ـ وأوصى بهم امرأته، وكانت إحدى بنات عمه، وكان يقال لها زينب. فقال لها: اصنعي بني أخي ما كنت أصنع بهم.

ثم مضى لوجهه، فغاب شهراً، ثم رجع وقد ساءت حال الصبيان وتغيرت.

فقال: ويلك، مالي أرى بني معدان مهازيل، وأرى بني سمانا؟

قالت: كنت أواسي بينهم، ولكنهم كانوا يعبثون ويلعبون.

فخلا بالصبيان، فقال لهم: كيف كانت زينب تصنع بكم.

قالوا: سيئة، ما كانت تعطينا من القوت إلا ملء هذا القدح من لبن، وأروه قدحاً صغيراً.

فغضب حجية على امرأته غضباً شديداً، وتركها وخرج.. فأعطى إبله لبني معدان. فغضبت من ذلك زينب وهجرته، وضربت بينها وبينه حجاباً ـ فقال: والله لا تذوقين منها صبوحاً ولا غبوقاً أبداً، وقال في ذلك أبياتاً منها:

لجحنا ولجت هذه في التغضب ... ولطَّ الحجاب بيننا والتجنب
رحمت بني معدان إذ قل مالهم ... وحق لهم مني ورب المحصب
وكان اليتامى لا يسد اختلالهم ... هدايا لهم في كل قعب مشعب
فقلت لعبدينا أريحا عليهم ... سأجعل بيتي بيت آخر مغرب
وقلت: خذوها واعلموا أن عمكم ... هو اليوم أولى منكم بالتكسب
عيالي أحق أن ينالوا خصاصة ... وأن يشربوا رنقاً إلى حين مكسب
أحابي بها من لو قصدت لماله ... حريبا لأساني على كل موكب
أخي والذي إن أدعه لعظمته ... يجبني، وإن أغضب إلى السيف يغضب

قالت عائشة: فلما بلغ زينب هذا الشعر خرجت حتى أتت المدينة، فأسلمت وذلك في ولاية عمر بن الخطاب.

فقدم حجية المدينة فطلب زينب أن ترد عليه ـ وكان نصرانياً ـ فنزل بالزبير بن العوام فأخبره بقصته.

فقال له الزبير: إن امرأتك قد أسلمت، ولم تعد تحل لك. وإياك أن يبلغ هذا عنك عمر فتلقى منه أذى.

وانتشر خبر حجيّة في المدينة وعلم فيم كان مقدمه، فبلغ ذلك عمر فقال للزبير:

قد بلغني قصة ضيفك، ولقد هممت به لولا تحرمه بالنزول عليك.

فرجع الزبير إلى حجية فأعلمه قول عمر، فمدحه بقصيدة ثم انصرف من عنده متوجهاً إلى بلده تاركاً زينب، وقال في ذلك قصيدة.

ثم قالت عائشة: وأنا والله يا أخي خشيت عليك من مثل ذلك لئلا يصيبك مع نسائك ما أصاب حجية وزينب وأما الآن فقد كبرا وصارا ليمكنهما أن يدفعا عن أنفسهما تعديان غيرهما.

فأخذهما عبد الرحمن إليه وهو يثني على عائشة(١)

فهذا الخبر يشير إلىٰ معرفتها بالأخبار واستقصاها لها وحفظها للشعر وروايتها له.

حدث عروة عن أبيه قال: ربما روت عائشة القصيدة ستين بيتاً والمائة بيت(٢).

ولقد رويت لها خطب كانت في منتهى البلاغة والفصاحة، وقد اعتنى الرواة بجمعها وروايتها.

وكانت لها كلمات تذهب مذهب الحكم والأمثال..

رؤيت وهي تخيط منقبة فقيل لها: يا أم المؤمنين: أليس الله قد أكثر الخير؟.. فقالت: لا جديد لمن لا خَلَق له.

وسئلت عن الحناء، فقالت: شجرة طيبة وماء طهور.

---

(١) «الدر المنثور في طبقات ربات الخدور» لزينب بنت علي ص ٢٨١.
(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٨/ ٥٠.

وكانت عائشة ـ رضي الله عنها ـ كثيرة العبادة، فقد كانت تصوم أكثر الدهر.

كما كانت كريمة زاهدة.. أخبر أبو معاوية الضرير عن الأعمش في خبر يرويه عروة بن الزبير قال: رأيت عائشة تتصدق بسبعين ألفاً..

وقالت أم ذرة: بعث ابن الزبير إلى عائشة بمال في غرارتين ـ قد يكون مائة ألف، فدعت بطبق ـ وهي يومئذ صائمة ـ فجعلت تقسم في الناس، فلما أمست قالت: يا جارية، هاتي فطري، فقالت أم ذرة: يا أم المؤمنين، أما استطعت فيما أنفقت أن تشتري بدرهم لحماً تفطرين عليه؟

فقالت: لا تعنفيني، لو كنت أذكرتي لفعلت[1].

وهذا الزهد هو الزهد الجميل، زهد الواجد لا زهد الفاقد. على أن ذلك لم يمنعها من التمتع بطيبات الحياة أحياناً امتثالاً لقوله تعالى:
{قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحيوة الدنيا خالصة يوم القيمة كذلك نفصل الآيت لقوم يعلمون}[2].

فقد روى عنها أنها كان لها كساء من خز تلبسه فأعطته عبد الله من الزبير.

وروت شيمة أنها دخلت على عائشة وعليها ثياب من السير[3] الصفاف ودرع وخمار ونقبة قد لونت بشيء من عصفر[4].

لقد كانت ـ رضي الله عنها ـ ذات أفق واسع ونظرة بعيدة... سأل بعضهم القاسم بن محمد: إن ناساً يزعمون أن رسول الله ﷺ نهى عن الأحمرين ـ العصفر والذهب ـ فقال: «كذبوا، والله لقد رأيت عائشة تلبس المعصفرات وتلبس خواتم الذهب»[5].

وكانت ـ رضي الله عنها ـ تنصح النساء أن يتجملن في نظر أزواجهن. فقد

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٨/٤٦.

(٢) الأعراف: ٣٢.

(٣) السير: نوع من الثياب.

(٤) «الطبقات الكبرى» لابن سعد جـ ٨ ص ٤٨.

(٥) «الطبقات الكبرى» لابن سعد جـ ٨ ص ٤٨ .

حدثت بكرة بنت عقبة أنها دخلت على عائشة ـ رضي الله عنها ـ وهي جالسة في معصفرة فسألتها عن التزين ـ فقالت لها: إن كان لك زوج واستطعت أن تجعلي مقلتيك أحسن مما هي فيه فافعلي[1]

لقد فهمت الدين فهماً صحيحاً، وإنه أباح الزينة والتمتع بالطيبات التي أحلها الله ـ بل لقد لبست ـ رضي الله عنها ـ الفراء.

قال لها محمد بن الأشعث: ألا نجعل لك فرواً نهديه إليك فإنه أدفأ تلبسينه.

فقالت: إني لأكره جلود الميتة.

فقال: إني سأقوم عليه ولا أجعله إلا ذكياً، فجعله فأرسل به إليها فكانت تلبسه[2].

على أن ذلك كله لم يكن بقصد التزين أو التفاخر ولكنه كان شيئاً كما اتفق، يجيء أمراً طبيعياً ـ تقديراً لنعمة الله، وتوضيحاً على أن التزمت في فهم الدين مرفوض، وهي في مقام ينظر إليها المسلمون رجالهم ونساؤهم نظرة اقتداء وتأسي.

ولذلك فهي تحذر من الخروج على حدود الحشمة. دخلت عليها حفصة بنت عبد الرحمن بن أبي بكر وعليها خمار رقيق يشف عن جيبها، فشقته عائشة عليها، وقالت: أما تعلمين ما أنزل الله في سورة النور؟ ثم دعت بخمار فكستها به[3].

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد حـ ٨ ص ٤٨.
(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد حـ ٨ ص ٤٩.
(٣) «الطبقات الكبرى» ٨/ ٥٠.

حديث الأفك

قال تعالى: {والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون} [النور: ٤]. .

إنَّ ترك الألسنة تلقي التهم على المحصنات ـ وهن العفيفات الحرائر ثيبات أو أبكاراً ـ بدون دليل قاطع، يترك المجال فسيحاً لكل من شاء أن يقذف بريئة أو بريئاً بتلك التهمة النكراء، ثم يمضي آمناً! فتصبح الجماعة وتمسي، وإذا أعراضها مجرحة، وسمعتها ملوثة، وإذا كل فرد فيها متهم أو مهدد بالاتهام، وإذا كل زوج فيها شاك في زوجه، وكل رجل فيها شاك في أصله، وكل بيت فيها مهدد بالانهيار، وهي حالة من الشك والقلق والريبة لا تطاق.

ذلك إلى أن أطراد سماع التهم يوحي إلى النفوس المتحرجة من ارتكاب الفعلة أن جو الجماعة كله ملوث، وأن الفعلة فيها شائعة، فيقدم عليها من كان يتحرج منها، وتهون في حسه بشاعتها بكثرة تردادها، وشعوره بأن كثيرين غيره يأتونها!

ومن ثم لا تجدي عقوبة الزنا في منع وقوعه، والجماعة تمسي وتصبح وهي تتنفس في ذلك الجو الملوث الموحي بارتكاب الفحشاء.

لهذا، وصيانة للأعراض من التهجم، وحماية لأصحابها من الآلام الفظيعة التي تصب عليهم، شدد القرآن الكريم في عقوبة القذف، فجعلها قريبة من عقوبة الزنا، ثمانين جلدة، مع إسقاط الشهادة، والوصم بالفسق والعقوبة الأولى جسدية، والثانية أدبية في وسط الجماعة، ويكفي أن يهدر قول القاذف فلا يؤخذ له بشهادة، وأن يسقط اعتباره بين الناس ويمشي بيهم متهماً لا يوثق له بكلام! والثالثة دينية فهو منحرف عن الإيمان خارج عن طريقه المستقيم، ذلك إلاّ أن يأتي القاذف بأربعة يشهدون برؤية الفعل، أو بثلاثة معه إن كان قد رآه، فيكون قوله إذن صحيحاً، ويوقع حد الزنا على صاحب الفعلة.

والجماعة المسلمة لا تخسر بالسكوت عن تهمة غير محققة كما تخسر بشيوع الاتهام والترخص فيه، وعدم التحرج من الإذاعة به، وتحريض الكثيرين من المتحرجين على ارتكاب الفعلة التي كانوا يستقذرونها، ويظنونها ممنوعة في الجماعة أو نادرة، وذلك فوق الآلام الفظيعة التي تصيب الحرائر الشريفات والأحرار الشرفاء، وفوق الآثار التي تترتب عليها في حياة الناس وطمأنينة البيوت.

وتظل العقوبات التي توقع على القاذف، بعد الحد، مسلطة فوق رأسه إلاّ أن يتوب، وقد اختلف الفقهاء في هذا الاستثناء: هل يعود إلى العقوبة الأخيرة وحدها، فيرفع عنه وصف الفسق، ويظل مردود الشهادة؟ أم إن شهادته تقبل كذلك بالتوبة..

ذهب مالك وأحمد والشافعي إلى أنه إذا تاب قبلت شهادته وارتفع عنه حكم الفسق.

وقال أبو حنيفة: إنما يعود الاستثناء إلى الجملة الأخيرة فيرتفع الفسق بالتوبة، ويبقى مردود الشهادة..

وقال الشعبي والضحاك: لا تقبل شهادته، وإن تاب، إلاّ أن يعترف على نفسه أنه قال فيما قذف، فحينئذ تقبل شهادته.

وهذا الأخير هو ما تميل إليه النفس، لأنه يزيد على التوبة إعلان براءة المقذوف باعتراف مباشر من القاذف، وبذلك يمحي آخر أثر للقذف، ولا يقال: إنه إنما وقع الحد على القاذف لعدم كفاية الأدلة! ولا يحيك في أي نفس ممن سمعوا الاتهام أنه ربما كان صحيحاً ولكن القاذف لم يجد بقية الشهود، بذلك يبرأ العرض المقذوف تماماً، ويرد له اعتباره من الوجهة الشعورية بعد ردّه من الوجهة التشريعية، فلا يبقى هنالك داع لإهدار اعتبار القاذف المحدود التائب المعترف بما كان من بهتان.

ذلك حكم القذف العام، ولكن استثنى منه أن يقذف الرجل امرأته، فإن مطالبته بأن يأتي بأربعة شهداء فيه إرهاق له وإعنات، والمفروض ألاّ يقذف الرجل امرأته إلاّ صادقاً لما في ذلك من التشهير بعرضه وشرفه وكرامة أبنائه، لذلك جعل لهذا النوع من القذف حكم خاص.

وبعد الأنتهاء من بيان حكم القذف يورد نموذجاً من القذف، يكشف عن شناعة الجرم وبشاعته، وهو يتناول بيت النبوة الطاهر الكريم، وعرض رسول الله ﷺ أكرم إنسان على الله، وعرض صديقه الصديق أبي بكر رضي الله عنه أكرم إنسان على رسول الله ﷺ وعرض رجل من الصحابة ـ صفوان بن المعطل رضي الله عنه ـ يشهد رسول الله ﷺ أنه لم يعرف عليه إلاّ خيراً.. وهو يشغل المسلمين في المدينة شهراً من الزمان.

ذلك هو حديث الإفك الذي تطاول إلى ذلك المرتقي السامي الرفيع: {إنّ الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم. لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا هذا إفك مبين. لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند ا هم الكاذبون. ولو فضل ا عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم فيه عذاب عظيم. إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند ا

عظيم. ولولا إذ سمعتموه قلتم ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم. يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين. ويبين الله لكم الآيات والله عليم حكيم. إنّ الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله رؤوف رحيم﴾ [النور: ١١ ـ ٢٠]..

هذا الحادث، حادث الأفك، قد كلف أطهر النفوس في تاريخ البشرية كلها آلاماً لا تطاق، وكلف الأمة المسلمة كلها تجربة من أشق التجارب في تاريخها الطويل، وعلق قلب رسول الله ﷺ وقلب زوجه عائشة التي يحبها، وقلب أبي بكر الصديق وزوجه، وقلب صفوان بن المعطل.. شهراً كاملاً.. علقها بحبال الشك والقلق والألم الذي لا يطاق.

فلندع عائشة رضي الله عنها تروى قصة هذا الألم وتكشف عن سر هذه الأيات:

عن الزهري، عن عروة وغيره عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، وإنه أقرع بيننا في غزاة ـ وهي غزوة بني المصطلق في السنة الخامسة الهجرية على الأرجح ـ فخرج سهمي، فخرجت معه بعد ما أنزل الحجاب، وأنا أحمل في هودج، وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل، ودنونا من المدينة آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت من شأني أقبلت إلى الرحل، فلمست صدري، فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت فالتمسته فحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني، فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، وإنما نأكل العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم حين رفعوه خفة الهودج، فحملوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا

فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منزلهم، وليس فيه أحد منهم فتيممت منزلي الذي كنت فيه، وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي، فبينما أنا جالسة غلبتني عيناي فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي، ثم الذكواني، قد عرس وراء الجيش، فأدلج، فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما يكلمني بكلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، وهوى حتى أناخ راحلته، فوطىء على يديها، فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش، بعد ما نزلوا معرسين. قالت: فهلك في شأني من هلك، وكان الذي تولى كبر الإثم عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكيت بها شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر، وهو يريبني في وجعي أني لا أرى من النبي ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي، إنما يدخل فيسلم ثم يقول: «كيف تيكم؟» ثم ينصرف. فذلك الذي يريبني منه، ولا أشعر بالشر حتي نقهت، فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصح وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلاّ ليلاً إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فأقبلت أنا وأم مسطح ـ وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وابنها مسطح بن عباد بن المطلب ـ حين فرغنا من شأننا نمشي، فعثرت أم مسطح في مرضها فقالت: تعس مسطح! فقلت لها: بئسما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدراً؟ فقالت: يا هنتاه ألم تسمعي ما قال؟ فقلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً إلى مرضي، فلما رجعت إلى بيتي دخل رسول الله ﷺ فقال: «كيف تيكم؟» فقلت: ائذن لي أن آتي أبوي، وأنا حينئذٍ أريد أن استيقن الخبر من قبلهما، فأذن لي، فأتيت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه ماذا يتحدث الناس به؟ فقالت: يا بنية هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها

ضرائر إلاّ أكثرن عليها. فقلت: سبحان الله! ولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، ثم أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد رضي الله عنهما حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله. قالت: فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم في نفسه من الود لهم فقال أسامة: هم أهلك يا رسول الله ولا نعلم والله إلاّ خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضق الله عليك، والنساء سواها كثير، وسل الجارية تخبرك. قالت: فدعا رسول الله ﷺ الجارية فقال لها: «أي. . . ـ في اختلاف في اسم الجارية ـ هل رأيت فيها شيئاً يريبك؟» فقالت: لا والذي بعثك بالحق نبياً إن رأيت منها أمراً أغمصه ـ أي أعيبه ـ عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله قالت: فقام رسول الله ﷺ من يومه، واستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول، فقال وهو على المنبر: «من يعذرني من رجل بلغني أذاه في أهلي؟ فوالله ما علمت على أهلي إلاّ خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاّ خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي» قالت: فقام سعد بن معاذ[1] رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أنا والله أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربنا عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرك. فقام سعد ابن عبادة رضي الله عنه وهو سيد الخزرج، وكان رجلاً صالحاً ولكن أخذته الحمية فقال لسعد بن معاذ: كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك، فقام أسيد ابن حضير رضي الله وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة: كذبت ـ لعمر الله ـ لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن

(١) في رواية ابن اسحاق أنّ الذي قال هذا وذلك هو أسيد بن حضير وحقق الإمام ابن قيم الجوزية في «زاد المعاد» أن سعد بن معاذ كان قد توفي بعد غزوة بني قريظة قبل حديث الإفك وأن الذي قال ما قيل هو أسيد بن خضير وكذلك قال الإمام ابن حزم مستشهداً برواية عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن عائشة وليس فيها ذكر سعد بن معاذ.

المنافقين، فثار الحيّان ـ الأوس والخزرج ـ حتى همّوا أن يقتتلوا، ورسول الله ﷺ على المنبر، فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا ونزل. . . وبكيت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم، ثم بكيت ليلتي المقبلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، فأصبح أبواي عندي، وقد بكيت ليلتين ويوماً، حتى أظن أن البكاء فالق كبدي، فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي إذا استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها، فجلست تبكي معي، فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا رسول الله ﷺ، ثم جلس، ولم يجلس عندي من يوم قيل فيّ ما قيل قبلها، وقد مكث شهراًلا يوحي إليه في شأني بشيء، فتشهد حين جلس، ثم قال: «أما بعد فإنه بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله تعالى عليه». فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي حتى ما أحس منه بقطرة، فقلت لأبي: أجب عني رسول الله ﷺ فيما قال. قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ، فقلت لأمي: أجيبي عني رسول الله ﷺ فيما قال. قالت: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ. قالت: وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن. فقلت: إني والله أعلم أنكم سمعتم حديثاً تحدث الناس به، واستقر في نفوسكم، وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لتصدقنني، فوالله ما أجد لي ولكم مثلاً إلاّ أبا يوسف إذ قال: {فصبر جميل وا المستعان على ما تصفون} ثم تحولت فاضطجعت على فراشي، وأنا والله حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله تعالى مبرئي ببراءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن ينزل الله تعالى في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله تعالى فيّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله تعالى بها، فوالله ما رام مجلسه، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل الله تعالى على نبيه ﷺ فأخذه ما كان يأخذه من البُرَحاء، فسرى عنه، وهو يضحك، فكان أول كلمة تكلم

بها أن قال لي: «يا عائشة احمدي الله تعالى فإنه قد برأك» فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقلت: والله لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله تعالى، هو الذي أنزل براءتي فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ...}الآيات. فلما أنزل الله تعالى هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً بعد ما قال لعائشة رضي الله عنها فأنزل الله تعالى: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ... ـ إلى قوله تعالى ـ وا غَفُورٌ رَحِيمٌ} فقال أبو بكر رضي الله عنه بلى والله إني لأحب أن يغفر الله لي، فرجع إلى مسطح النفقة التي كان يجري عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبداً، قالت عائشة رضي الله عنها: وكان رسول الله ﷺ سأل زينب ما علمت وما رأيت؟» فقالت: يا رسول الله أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلاّ خيراً، وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ فعصمها الله تعالى بالورع، قالت: فطفقت أختها حمنة تحارب لها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.[1]

وهكذا عاش رسول الله ﷺ وأهل بيته. وعاش أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وأهل بيته. وعاش صفوان بن المعطل. وعاش المسلمون جميعاً هذا الشهر كله في مثل هذا الجو الخانق، وفي ظل تلك الآلام الهائلة، بسبب حديث الإفك الذي نزلت فيه تلك الآيات.

وإن الإنسان ليقف متململاً أمام هذه الصورة الفظيعة لتلك الفترة الأليمة في حياة الرسول ﷺ وأمام تلك الآلام العميقة اللاذعة لعائشة زوجه المقربة. وهي فتاة صغيرة في نحو السادسة عشرة. تلك السن المليئة بالحساسية المرهفة والرفرفة الشفيفة.

---

(١) أخرجه البخاري ٣/٢١٩ و ٢٢٩ و ٥/١٥١ و ٦/ ١٣٠ برقم (٢٦٣٧) و (٢٦٦١) و (٤١٤١)، ومسلم (التوبة) ٥٦، وأحمد ٦/ ١٩٦ والبيهقي في «السنن» ١٠/ ٤١، وفي «الأسماء والصفات» (١١٤)، والطبري ١٨/ ٧٢، وابن كثير ٦/ ٢٠، وابن عساكر ١/ ٤٢٥، والسيوطي في «الدر المنثور» ٥/ ٢٥ و ٢٩.
قال ابن شهاب: فهذا ما انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط.

فها هي ذي عائشة الطيبة الطاهرة. ها هي ذي في براءتها ووضاءة ضميرها، ونظافة تصوراتها، ها هي ذي ترمى في أعز ما تعتز به، ترمى في شرفها. وهي ابنة الصديق الناشئة في العش الطاهر الرفيع. وترمى في أمانتها. وهي زوج محمد بن عبد الله من ذروة بني هاشم. وترمي في وفائها. وهي الحبيبة المدللة القريبة من ذلك القلب الكبير.. ثم ترمى في إيمانها. وهي المسلمة الناشئة في حجر الإسلام، من أول يوم تفتحت عيناها فيه على الحياة. وهي زوج رسول الله ﷺ.

ها هي ذي ترمى، وهي بريئة غارة غافلة، لا تحتاط لشيء، ولا تتوقع شيئاً، فلا تجد ما يبرئها إلا أن ترجو في جناب الله، وتترقب أن يرى رسول الله رؤيا، تبرئها مما رميت به. ولكن الوحي يتلبث، لحكمة يريدها الله، شهراً كاملاً؛ وهي في مثل هذا العذاب.

ويا لله لها وهي تفاجأ بالنبأ من أم مسطح. وهي مهدودة من المرض، فتعاودها الحمى؛ وهي تقول لأمها في أسى: سبحان الله! وقد تحدث الناس بهذا؟ وفي رواية أخرى تسأل: وقد علم به أبي؟ فتجيب أمها: نعم! فتقول: ورسول الله ﷺ؟ ـ فتجيبها أمها كذلك: نعم!

ويا لله لها ورسول الله ﷺ نبيها الذي تؤمن به ورجلها الذي تحبه، يقول لها: "أما بعد فإنه بلغني عنك كذا وكذا؛ فإن كنت بريئة فسيبرئك الله تعالى، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله تعالى وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه".. فتعلم أنه شاك فيها، لا يستيقن من طهارتها، ولا يقضي في تهمها. وربه لم يخبره بعد، ولم يكشف له عن براءتها التي تعلمها ولكن لا تملك إثباتها؛ فتمسي وتصبح وهي متهمة في ذلك القلب الكبير الذي أحبها، وأحلها في سويدائه!

وها هو ذا أبو بكر الصديق ـ في وقاره وحساسيته وطيب نفسه ـ يلذعه الألم، وهو يرمى في عرضه. في ابنته زوج محمد ـ صاحبه الذي يحبه ويطمئن

إليه، ونبيه الذي يؤمن به ويصدقه تصديق القلب المتصل، لا يطلب دليلاً من خارجه.. وإذا الألم يفيض على لسانه، وهو الصابر القوي على الألم، فيقول: والله ما رمينا بهذا في جاهلية. أفنرضى به في الإسلام؟ وهي كلمة تحمل من المرارة ما تحمل. حتى إذا قالت له ابنته المريضة المعذبة: أجب عني رسول الله ـ قال في مرارة هامدة: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ـ!

وأم رومان ـ زوج الصديق رضي الله عنه ـ وهي تتماسك أمام ابنتها المفجوعة في كل شيء. المريضة التي تبكي حتى تظن أن البكاء فالق كبدها. فتقول لها: يا بنية هوني على نفسك الشأن، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها.. ولكن هذا التماسك يتزايل وعائشة تقول لها: أجيبي عني رسول الله ﷺ فتقول كما قال زوجها من قبل: والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ!

والرجل المسلم الطيب الطاهر المجاهد في سبيل الله صفوان بن المعطل. وهو يرمي بخيانة نبيه في زوجه. فيرمي بذلك في إسلامه، وفي أمانته، وفي شرفه، وفي حميته. وفي كل ما يعتز به صحابي، وهو من ذلك كله بريء. وهو يفاجأ بالاتهام الظالم وقلبه بريء من تصوره، فيقول: سبحان الله! والله ما كشفت كنف أنثى قط. ويعلم أن حسان بن ثابت يروج لهذا الإفك عنه، فلا يملك نفسه أن يضربه بالسيف على رأسه ضربة تكاد تودي به. ودافعه إلى رفع سيفه امرىء مسلم، وهو مهني عنه، أن الألم قد تجاوز طاقته، فلم يملك زمام نفسه الجريح!

ثم ها هو ذا رسول الله ﷺ وهو رسول الله، وهو في الذروة من بني هاشم.. ها هو ذا يرمى في بيته. وفي من؟ في عائشة التي حلت من قلبه في مكان الابنة والزوجة والحبيبة. وها هو ذا يرمى في طهارة فراشه،وهو الطاهر الذي تفيض منه الطهارة. وها هو ذا يرمى في صيانة حرمته، وهو القائم على الحرمات في أمته. وها هو ذا يرمى في حياطة ربه له، وهو الرسول المعصوم من كل سوء.

ها هو ذا ﷺ يرمى في كل شيء حين يرمى في عائشة ـ رضي الله عنها ـ يرمى في فراشه وعرضه، وقلبه ورسالته. يرمى في كل ما يعتز به عربي، وكل ما يعتز به نبي. . ها هو ذا يرمى في هذا كله؛ ويتحدث الناس به في المدينة شهراً كاملاً، فلا يملك أن يضع لهذا كله حداً. والله يريد لحكمة يراها أن يدع هذا الأمر شهراً كاملاً لا يبين فيه بياناً. ومحمد الإنسان يعاني ما يعانيه الإنسان في هذا الموقف الأليم. يعاني من العار، ويعاني فجيعة القلب؛ ويعاني فوق ذلك الوحشة المؤرقة. الوحشة من نور الله الذي اعتاد أن ينير له الطريق. . والشك يعمل في قلبه ـ مع وجود القرائن الكثيرة على براءة أهله، ولكنه لا يطمئن نهائياً إلى هذه القرائن ـ والفرية تفوح في المدينة، وقلبه الإنساني المحب لزوجه الصغيرة يتعذب بالشك؛ فلا يملك أن يطردالشك. لأنه في النهاية بشر، ينفعل في هذا انفعالات البشر. وزوج لا يطيق أن يمس فراشه. ورجل تتضخم بذرة الشك في قلبه متى استقرت، ويصعب عليه اقتلاعها دون دليل حاسم.

وها هو ذا يثقل ابن عمه وسنده. يستشيرهما في خاصة أمره. فأما علي فهو من عصب محمد، وهو شديد الحساسية بالموقف لهذا السبب. ثم هو شديد الحساسية بالألم والقلق اللذين يعتصران قلب محمد، ابن عمه وكافله. فهو يشير بأن الله لم يضيق عليه. ويشير مع هذا بالتثبت من الجارية ليطمئن قلب رسول الله ﷺ ويستقر على قرار. وأما أسامة فيدرك ما بقلب رسول الله ﷺ من الود لأهله، والتعب لخاطر الفراق، فيشير بما يعلمه من طهارة أم المؤمنين، وكذب المفترين الأفاكين.

ورسول الله ﷺ في لهفة الإنسان، وفي قلق الإنسان، يستمد من حديث أسامة، ومن شهادة الجارية مدداً وقوة يواجه بهما القوم في المسجد، فيستعذر ممن نالوا عرضه، ورموا أهله، ورموا رجلاً من فضلاء المسلمين لا يعلم أحد عليه من سوء. . فيقع بين الأوس والخزرج ما يقع من تناور ـ وهم في مسجد

رسول الله ﷺ وفي حضرة رسول الله ﷺ ويدل هذا على الجو الذي كان يظلل الجماعة المسلمة في هذه الفترة الغريبة، وقد خدشت قداسة القيادة، ويحز هذا في نفس الرسول ﷺ والنور الذي اعتاد أن يسعفه لا ينير له الطريق! فإذا هو يذهب إلى عائشة نفسها يصارحها بما يقول الناس؛ ويطلب منها هي البيان الشافي المريح!

وعندما تصل الآلام إلى ذروتها على هذا النحو يتعطف عليه ربه، فيتنزل القرآن ببراءة عائشة الصديقة الطاهرة؛ وبراءة بيت النبوة الطيب الرفيع؛ ويكشف المنافقين الذين حاكوا هذا الإفك، ويرسم الطريق المستقيم للجماعة المسلمة في مواجهة مثل هذا الشأن العظيم.

ولقد قالت عائشة عن هذا القرآن الذي تنزل: «وأنا والله أعلم حينئذٍ أني بريئة، وأن الله تعالى مبرئي ببراءتي. ولكني والله ما كنت أظن أن ينزل الله تعالى في شأني وحياً يتلى. ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيّ بأمر يتلى. ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله تعالى بها».

ولكن الأمر ـ كما يبدو من ذلك الاستعراض ـ لم يكن أمر عائشة ـ رضي الله عنها ـ ولا قاصراً على شخصها. فلقد تجاوزها إلى شخص الرسول ﷺ ووظيفته في الجماعة يومها. بل تجاوزه إلى صلته بربه ورسالته كلها. وما كان حديث الإفك رمية لعائشة وحدها، إنما كان رمية للعقيدة في شخص نبيها وبانيها.. من أجل ذلك أنزل الله القرآن ليفصل في القضية المبتدعة، ويرد المكيدة المدبرة، ويتولى المعركة الدائرة ضد الإسلام ورسول الإسلام؛ ويكشف عن الحكمة العلياوراء ذلك كله؛ وما يعلمها إلا الله: ﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾.

فهم ليسوا فرداًولا أفراداً؛ إنما هم «عصبة» متجمعة ذات هدف واحد. ولم

يكن عبد الله بن أبي بن سلول وحده هو الذي أطلق ذلك الإفك. إنما هو الذي تولى معظمه. وهو يمثل عصبة اليهود أو المنافقين، الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهرة؛ فتواروا وراء ستار الإسلام ليكيدوا للإسلام خفية. وكان حديث الإفك إحدى مكائدهم القاتلة. ثم خدع فيها المسلمون فخاض من خاض في حديث الإفك كمحنة بنت جحش؛ وحسان بن ثابت، ومسطح بن أثاثة. أما أصل التدبير فكان عند تلك العصبة، وعلى رأسها ابن سلول، الحذر الماكر، الذي لم يظهر بشخصه في المعركة. ولم يقل ما يؤخذ به، فيقاد إلى الحد. إنما كان يهمس به بين ملئه الذين يطمئن إليهم، ولا يشهدون عليه. وكان التدبير من المهارة والخبث بحيث أمكن أن ترجف به المدينة شهراً كاملاً، وأن تتداوله الألسنة في أطهر بيئة وأتقاها!

وقد بدأ السياق ببيان تلك الحقيقة ليكشف عن ضخامة الحادث، وعمق جذوره، وما وراءه من عصبة تكيد للإسلام والمسلمين هذا الكيد الدقيق العميق اللئيم.

ثم سارع بتطيمن المسلمين من عاقبة هذا الكيد:

«لا تحسبوه شراً لكم؛ بل هو خير لكم». .

خير. فهو يكشف عن الكائدين للإسلام في شخص رسول الله ﷺ وأهل بيته. وهو يكشف للجماعة المسلمة عن ضرورة تحريم القذف وأخذ القاذفين بالحد الذي فرضه الله؛ ويبين مدى الأخطار التي تحيق بالجماعة لو أطلقت فيها الألسنة تقذف المحصنات الغافلات المؤمنات. فهي عندئذ لا تقف عند حد. إنما تمضي صعداً إلى أشرف المقامات، وتتطاول إلى أعلى الهامات، وتعدم الجماعة كل وقاية ولك تحرج وكل حياء.

وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة ـ بهذه المناسبة ـ عن المنهج القويم في مواجهة مثل هذا الأمر العظيم.

أما الآلام التي عاناها رسول الله ﷺ وأهل بيته، والجماعة المسلمة كلها،

فهي ثمن التجربة، وضريبة الابتلاء، الواجبة الأداء!

أما الذين خاضوا في الإفك، فلكل منهم بقدر نصيبه من تلك الخطيئة: "لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم".. ولكل منهم نصيبه من سوء العاقبة عند الله. وبئس ما اكتسبوه، فهو إثم يعاقبون عليه في حياتهم الدنيا وحياتهم الأخرى: "والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم" يناسب نصيبه من ذلك الجرم العظيم.

والذي تولى كبره، وقاد حملته، واضطلع منه بالنصيب الأوفى، كان هو عبد الله بن أبي سلول. رأس النفاق، وحامل لواء الكيد. ولقد عرف كيف يختار مقتلاً، لولا أن الله كان من ورائه محيطاً، وكان لدينه حافظاً، ولرسوله المسلمة راعياً.. ولقد روي أنه لما مر صفوان بن المعطل بهودج أم المؤمنين وابن سلول في ملأ من قومه قال: من هذه؟ فقالوا: عائشة رضي الله عنها.. فقال: والله ما نجت منه ولا نجا منها. وقال: امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت؛ ثم جاء يقودها!

وهي قولة خبيثة راح يذيعها ـ عن طريق عصبة النفاق ـ بوسائل ملتوية. بلغ من خبثها أن تموج المدينة بالفرية التي لا تصدق، والتي تكذبها القرائن كلها. وأن تلوكها ألسنة المسلمين غير متحرجين. وأن تصبح موضوع أحاديثهم شهراً كاملاً. وهي الفرية الجديرة بأن تنفى وتستبعد للوهلة الأولى.

وإن الإنسان ليدهش ـ حتى اليوم ـ كيف أمكن أن تروج فرية ساقطة كهذه في جو الجماعة المسلمة حينذاك. وأن تحدث هذه الآثار الضخمة في جسم الجماعة، وتسبب هذه الآلام القاسية لأطهر النفوس وأكبرها على الإطلاق.

لقد كانت معركة خضاها رسول الله ﷺ وخاضتها الجماعة المسلمة يومذاك. وخاضها الإسلام. معركة ضخمة لعلها أضخم المعارك التي خاضها رسول الله ﷺ وخرج منها منتصراً كاظماً لآلامه الكبار، محتفظاً بوقار نفسه وعظمة قلبه وجميل صبره. فلم تؤثر عنه كلمة واحدة تدل على نفاد صبره

وضعف احتماله. والآلام التي تناوشه لعلها أعظم الآلام التي مرت به في حياته. والخطر على الإسلام من تلك الفرية من أشد الأخطار التي تعرض لها في تاريخه.

ولو استشار كل مسلم قلبه يومها لأفتاه؛ ولو عاد إلى منطق الفطرة لهداه. والقرآن الكريم يوجه المسلمين إلى هذا المنهج في مواجهة الأمور، بوصفه أول خطوة في الحكم عليها:

"لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً وقالوا: هذا إفك مبين"..

نعم كان هذا هو الأولى.. أن يظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً. وأن يستبعدوا سقوط أنفسهم في مثل هذه الحمأة.. وامرأة نبيهم الطاهرة وأخوهم الصحابي المجاهد هما من أنفسهم. فظن الخير بهما أولى. فإن ما لا يليق بهم لا يليق بزوج رسول الله ﷺ ولا يليق بصاحبه الذي لم يعلم عنه إلا خيراً.. كذلك فعل أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري وامرأته ـ رضي الله عنهما ـ كما روى الإمام محمد ابن إسحاق: أن أبا أيوب قالت له امرأته أم أيوب: يا أبا أيوب أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ـ رضي الله عنها ؟ ـ قال: نعم. وذلك الكذب. أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب؟ قالت: لا والله ما كنت لأفعله. قال: فعائشة والله خير منك.. ونقل الإمام محمود بن عمر الزمخشري في تفسيره: «الكشاف» أن أبا أيوب الأنصاري قال لأم أيوب: ألا ترين ما يقال؟ فقالت: لو كنت بدل صفوان أكنت تظن بحرمة رسول الله ﷺ سوءاً؟ قال: لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ـ رضي الله عنها ـ ما خنت رسول الله ﷺ فعائشة خير مني، وصفوان خير منك..

وكلتا الروايتين تدلان على أن بعض المسلمين رجع إلى نفسه واستفتى قلبه، فاستبعد أن يقع ما نسب إلى عائشة، وما نسب إلى رجل من المسلمين: من معصية لله وخيانة لرسوله، وارتكاس في حمأة الفاحشة، لمجرد شبهة لا تقف للمناقشة!

هذه هي الخطوة الأولى في المنهج الذي يفرضه القرآن لمواجهة الأمور. خطوة الدليل الباطني الوجداني. فأما الخطوة الثانية فهي طلب الدليل الخارجي والبرهان الواقعي:

"لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء فإذ لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند ا هم الكاذبون"..

وهذه الفرية الضخمة التي تتناول أعلى المقامات، وأطهر الأعرضا، ما كان ينبغي أن تمر هكذا سهلة هينة؛ وأن تشيع هكذا دون تثبت ولا بينة؛ وأن تتقاذفها الألسنة وتلوكها الأفواه دون شاهد ولا دليل: «لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء!» وهم لم يفعلوا فهم كاذبون إذن. كاذبون عند الله الذي لا يبدل القول لديه، والذي لا يتغير حكمه، ولا يتبدل قراره. فهي الوصمة الثابتة الصادقة الدائمة التي لا براءة لهم منها، ولا نجاة لهم من عقباها.

هاتان الخطوتان: خطوة عرض الأمر على القلب واستفتاء الضمير. وخطوة التثبت بالبينة والدليل.. غفل عنهما المؤمنون في حادث الإفك؛ وتركوا الخائضين يخوضون في عرض رسول الله ﷺ وهو أمر عظيم لولا لطف الله لمس الجماعة كلها البلاء العظيم. فالله يحذرهم أن يعودوا لمثله أبداً بعد هذا الدرس الأليم:

"ولولا فضل ا عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم"..

لقد احتسبها الله للجماعة المسلمة الناشئة درساً قاسياً. فأدركهم بفضله ورحمته ولم يمسهم بعقابه وعذابه. فهي فعلة تستحق العذاب العظيم. العذاب الذي يتناسب مع العذاب الذي سببوه للرسول الله ﷺ وزوجه وصديقه وصاحبه الذي لا يعلم عليه إلا خيراً. والعذاب الذي يتناسب مع الشر الذي ذاع في الجماعة المسلمة وشاع؛ ومس كل المقدسات التي تقوم عليها حياة الجماعة. والعذاب الذي يناسب خبث الكيد الذي كادته عصبة المنافقين للعقيدة لتقتلعها من جذورها حين تزلزل ثقة المؤمنين بربهم ونبيهم وأنفسهم طوال شهر كامل، حافل بالقلق والحيرة بلا يقين! ولكن فضل الله تدارك الجماعة الناشئة، ورحمته شملت المخطئين، بعد الدرس الأليم.

والقرآن يرسم صورة لتلك الفترة التي أفلت فيها الزمام؛ واختلت فيها المقاييس، واضطربت فيها القيم، وضاعت فيها الأصول:

"إذ تلقونه بألسنتكم، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم، وتحسبونه هيناً، وهو عند ا عظيم".. وهي صورة فيها الخفة والاستهتار وقلة التحرج، وتناول أعظم الأمور وأخطرها بلا مبالاة ولا اهتمام: "إذ تلقونه بألسنتكم".. لسان يتلقى عن لسان، بلا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إنعام نظر. حتى لكأن القول لا يمر على الآذان، ولا تتملاه الرؤوس، ولا تتدبره القلوب! «وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم».. بأفواهكم لا بوعيكم ولا بعقلكم ولا بقلبكم. إنما هي كلمات تقذف بها الأفواه، قبل أن تستقر في المدرك، وقبل أن تتلقاها العقول.. "وتحسبونه هيناً" أن تقذفوا عرض رسول الله، وأن تدعوا الألم يعصر قلبه وقلب زوجه وأهله؛ وأن تلوثوا بيت الصديق الذي لم يرم في الجاهلية؛ وأن تتهموا صحابياً مجاهداً في سبيل الله. وأن تمسوا عصمة رسول الله ﷺ وصلته بربه، ورعاية الله له.. "وتحسبونه هيناً".. "وهو عند ا عظيم".. وما يعظم عند الله إلا الجليل الضخم الذي تزلزل له الرواسي، وتضج منه الأرض والسماء.

ولقد كان ينبغي أن تجفل القلوب من مجرد سماعه، وأن تتحرج من مجرد النطق به، وأن تنكر أن يكون هذا موضوعاً للحديث؛ وأن تتوجه إلى الله تنزهه عن أن يدع نبيه لمثل هذا؛ وأن تقذف بهذا الإفك بعيداً عن ذلك الجو الطاهر الكريم:

«ولولا إذ سمعتموه قلتم: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا. سبحانك! هذا بهتان عظيم»..

وعندما تصل هذه اللمسة إلى أعماق القلوب فتهزها هزاً؛ وهي تطلعها على ضخامة ما جنت وبشاعة ما عملت.. عندئذ يجيء التحذير من العودة إلى مثل هذا الأمر العظيم:

يعظكم ا أن تعودوا لمثله أبداً إن كنتم مؤمنين"..

«يعظكم».. في أسلوب التربية المؤثر. في أنسب الظروف للسمع والطاعة والاعتبار. مع تضمين اللفظ معنى التحذير من العودة إلى مثل ما كان: "يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبداً".. ومع تعليق إيمانهم على الانتفاع بتلك العظة: "إن كنتم مؤمنين".. فالمؤمنون لا يمكن أن يكشف لهم عن بشاعة عمل كهذا الكشف، وأن يحذروا منه مثل هذا التحذير، ثم يعودوا إليه وهم مؤمنون:

"ويبين الله لكم الآيات".. على مثال ما بين في حديث الإفك، وكشف عما وراءه من كيد؛ وما وقع فيه من خطايا وأخطاء: "والله عليم حكيم" يعلم البواعث والنوايا والغايات والأهداف؛ ويعلم مداخل القلوب، ومسارب النفوس. وهو حكيم في علاجها، وتدبير أمرها، ووضع النظم والحدود التي تصلح بها..[1]

ولكن هل تكرر مثل هذا الافتراء في بيت النبوة؟

يذكر ابن سعد في «الطبقات»[2]: أن مثل هذا الحدث واجه مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ حيث قال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا محمد بن عبد الله عن الزهري عن أنس بن مالك قال: كانت أمّ إبراهيم سريّة للنبي ﷺ، في مشربتها وكان قبطي يأوي إليها ويأتيها بالماء والحطب فقال الناس في ذلك: علج يدخل على علجة. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فأرسل عليّ بن أبي طالب فوجده عليّ على نخلة فلمّا رأى السيف وقع في نفسه فألقى الكساء الذي كان عليه وتكشّف فإذا هو مجبوب ـ أي ليس له ذكر ـ فرجع عليّ إلى النبي ﷺ فأخبره فقال: يا رسول الله أرأيت إذا أمرت أحدنا بالأمر ثمّ رأى في غير ذلك أيراجعك؟ قال: «نعم» فأخبره بما رأى من القبطي. قال: وولدت مارية إبراهيم فجاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ فقال: "السلام عليك يا أبا

(١) «في ظلال القرآن» ٤/ ٢٤٩٠ ـ ٢٥٠٣. طبعة دار الشروق.
(٢) «الطبقات الكبرى» ٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣. طبعة دار الكتب العلمية.

إبراهيم" فاطمأن رسول الله ﷺ إلى ذلك.

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني عبد الله بن محمد بن عمر عن أبيه عن عليّ مثل ذلك غير أنه قال: خرج عليّ فلقيه على رأسه قدرة مستعذباً لها من الماء، فلما رآه عليّ شهر السيف وعمد له فلمّا رآه القبطي طرح القربة ورقي في نخلة وتعرّى فإذا هو مجبوب، فأغمد عليّ سيفه ثم رجع إلى النبي ﷺ فأخبره الخبر فقال رسول الله ﷺ: "إنَّ الشاهد يرى ما لا يرى الغائب"(1)

(1) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٨/ ١٧٢ ـ ١٧٣، والسيوطي في «جمع الجوامع» (٥٥٩٣).

واقعة الجمل

بعد مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه في يوم الجمعة ١٨ من ذي الحجة سنة ٣٥ هـ. كانت أم المؤمنين عائشة بمكة تؤدي فريضة الحج، وعند رحيلها إلى المدينة علمت بمقتل عثمان رضي الله عنه وسيطرة الثوار على المدينة، وذلك بعد خروجها بضعة أميال عن مكة، فعادت إلى مكة وأعلنت أن عثمان قتل مظلوماً وطالبت بدمه ـ وكان هذا النفر من قتلة عثمان قد انضموا إلى جيش علي وقد سار بهم إلى العراق ـ فاجتمع إلى عائشة طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ومروان بن الحكم وسائر بني أمية، واتفق الجميع على الرحيل إلى البصرة.

وفي الطريق إلى البصرة... لما أقبلت عائشة، فلما بلغت مياه بني عامر ليلاً نبحت الكلاب، فقالت: أي ماء هذا؟ قالوا: ماء الحوأب. فقالت: ما أظنني إلا راجعة. قال بعض من كان معها: بل تقدمين فيراك المسلمون، فيصلح الله ذات بينهم. قالت: إن رسول الله ﷺ قال ذات يوم: "كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب"(١) وقيل: أنه جاء يومها رجل فأقسم أن هذا ليس بماء الحوأب.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٦/ ٥٢ و ٩٧: والحافظ في «الفتح» ١٣/ ٥٥، وابن أبي شيبة ١٥/ ٢٦٠، وابن كثير في «البداية» ٦/ ٢٤٠، والهيثمي في «موارد الظمآن» (١٨٣١)، وفي «مجمع الزوائد» ٣/ ٢٣٤ و ٨/ ٢٨٩، والحاكم في «المستدرك» ٣/ ١٢٠، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٤١٠، والهندي في «كنز العمال» (٣١٢٠٨) و (٣١٦٦٨) والشيخ في «الصحيحة» (٤٧٤) و (٤٧٥)، والبزار ٤/ ٩٤، وابن الجوزي في «العلل المتناهية» ٢/ ٣٦٦.

ولما علم عثمان بن حنيف الأنصاري والي البصرة، بقدوم السيدة عائشة أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ ومن معها أرسل إليهم أبا الأسود الدؤلي وعمران بن الحصين يستوضحهم السبب في خروجهم، قالت: السيدة عائشة رضي الله عنها: أنها قادمة لتعرف أهل البصرة ما فعله الثوار في أهل المدينة، وتبصرهم بما ينبغي عمله لإصلاح الأمر، وقال طلحة والزبير: إنهما يطالبان بدم عثمان، فقيل لهما: ألم تبايعا علياً؟ قالا: ـ حديث دار بينهم ـ والسيف على رقابنا؟ وتقدموا نحو البصرة، فلاقاهم عثمان بن حنيف بقواته، ودار قتال قتل فيه حول ستمائة رجل ممن ساهم بالقول أو بالفعل في قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه.

هذا ما كان من والي البصرة، أما ما كان من الإمام علي، فإنه لما علم بأمر خروجهم أرسل وراءهم القعقاع بن عمر ليعرف سبب خروجهم. ومن باب الحيطة أرسل ابنه الحسن وعمار بن ياسر رضي الله عنهما.. ليستنفرا أهل الكوفة، فقد يكون هناك قتال: وكان مما قاله عمار بن ياسر لأهل الكوفة: إنا لنعلم أنها لزوجة النبي ﷺ في الدنيا والآخرة ولكن الله ابتلاكم بها ـ ليختبركم ـ لتتبعوه أو إياها.(1)

ولما التقى القعقاع بهم اتفق معهم على إقامة الحد على القتلة بعد استتباب الأمر للخلافة، وذلك ليأمن الطرفان شر أولئك القتلة وحددوا يوماً يعلن فيه هذا الاتفاق على الناس.

سر الإمام عليّ بهذا الاتفاق وكان قد قدم إلى البصرة، ولكن هذا الاتفاق ساء القتلة فدبّروا أمراً بليلٍ لما غشيتهم الليلة المتفق على إعلان الاتفاق في صبيحتها، نفذوا مكيدتهم بالقيام بغارة على من كان مع عائشة من المسلمين، فيظن من كان معها من الرجال أن علياً قد غدر بهم فيها فيهاجموا معسكره فيظن أنهم غدروا به فينشب القتال بين الطرفين بدلاً من السلام المتفق عليه، وتم للقتلة ما أرادوا واستعر القتال فيما يعرف بموقعة الجمل.

(1) أخرجه الترمذي (٣٨٨٩) وقال: هذا حديث حسن.

ولما رأى الإمام كثرة القتلى حَوْلَ الجمل الذي تركبه السيدة عائشة، أمر بعقره، ثم نقل الهودج وفيه السيدة عائشة خارج ميدان المعركة تأميناً لسلامتها. وانتهت المعركة بالنصر لجند الخليفة. وقد أنزل الإمام عليّ عائشة في دار بالبصرة أياماً إلى أن أرادت الرحيل فجهزها ومن أراد أن يخرج معها، كما اختار لها أربعين من نساء البصرة المعروفات كمرافقات تكريماً لها. واجتمع الناس لوداعها، فقالت: إنه ما كان بيني وبين عليّ في القديم إلاّ ما يكون بين المرأة وأحمائها ـ أي أقرباء زوجها ـ وإنه عندي على معتبتي من الأخيار. وقال عليّ: يا أيها الناس، صدقت والله وبرت، ما كان بيني وبينها إلاّ ذلك، وإنها لزوجة نبيكم ﷺ في الدنيا والآخرة.(١)

وتحرك موكب أم المؤمنين السيدة عائشة من البصرة يوم السبت لغرة رجب سنة ست وثلاثين، وشيعها علي أميالاً وسرح بينه معها يوماً..

وكان خروج السيدة عائشة إلى البصرة متأولة قاصدة الخير، وكذلك اجتهد طلحة والزبير وغيرهم من كبار الصحابة رضوان الله عليهم، وما كانت رضوان الله عليها تظن أن الأمر يبلغ ما بلغ، وكانت تذكر هذا الأمر وتندم كثيراً. فلقد روى عنها أنها ما كانت تقرأ الآية التي في الأحزاب {وقرن في بيوتكن..} إلاّ بكت حتى تبل خمارها.(٢)

(١) انظر: «تاريخ الطبري» أحداث ٣٦ هـ ٤/ ٥٤٤ والحديث أخرجه الترمذي بنفس رقم الحديث السابق حيث أشار عقبه وفي الباب عن عليّ.

(٢) «الطبقات الكبرى» ٨/ ٦٤ طبعة دار الكتب العلمية.

وفاة أم المؤمنين عائشة

(رضي الله عنها)

وحين حانت وفاتها جاء ابن عباس رضي الله عنهما فقال لها: أبشري.

فقالت: بماذا؟

فقال: ما بين وبين أن تلقي محمداً والأحبة إلى أن تخرج الروح من الجسد، وكنت أحب نساء رسول الله ﷺ إليه، ولم يكن رسول الله ﷺ إلا طيباً، وسقطت قلادتك ليلة فأصبح رسول الله ﷺ وأصبح الناس وليس معهم ماء، فأنزل الله آية التيمم، وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات، جاء بها الروح الأمين، فأصبح ليس مسجد من مساجد الله إلا يتلى فيه أناء الليل وأناء النهار.

فقالت ـ رضي الله عنها ـ دعني منك يا ابن عباس، والذي نفسي بيده لوددت أني كنت نسياً منسياً.(١)

لقد عزفت عن تلك الشهرة التي يجري وراءها كافة البشر يدفعون ثمناً لذيوعها الكثير والكثير.

وأحست عائشة بدنو ساعة لقائها بربها فأملت وصيتها الشفوية قائلة: «لا

(١) «البداية والنهاية» لابن كثير ٨/ ٦٤.

تتبعوا سريري بنار، ولا تجعلوا تحتي قطيفة حمراء، وادفنوني مع أزواج النبي ﷺ وادفنوني من ليلتي.

وفي ليلة السابع عشر من رضمان سنة ثمان وخمسون فاضت روحها الطاهرة بعد صلاة العشاء.

فاجتمع الناس من كل صوب، وبعد صلاة الوتر حملت جنازتها إلى البقيع، وصلّ عليها أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ وكان أمير المدينة بالنيابة عن مروان الذي كان في عمرة.

ونزل في قبرها أولاد أختها وأولاد أخيها.

لقد أشعل الناس السعف للإضاءة وهم يلتمسون الطريق إلى البقيع خلف جنازتها حتى قال ابن أبي عتيق عن أبيه؛ أرأيت ليلة ماتت عائشة النساء في البقيع كأنه عيد... يعني ذلك أنه لم يتخلف أحد من الرجال أو النساء عن تشيع جنازتها حتى لقد نزل الناس من العوالي..[1]

فقول ابن أبي عتيق «كأنه عيد» يشير إلى ازدحام البقيع بالنساء..

فمن العادة أن القبور تشهد في الأعياد ازدحاماً شديداً وبخاصة النساء..

وكان عمرها حين توفيت سبعاً وستين سنة[2]، فقد كان عمرها عند الهجرة تسع سنين وفي هذه السنة زفت الى رسول الله ﷺ وتوفيت عام ثمانية وخمسين رضي الله عنها وأرضاها.[3]

وقال الواقدي توفيت ليلة الثلاثاء لسبع عشرة من رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنة ست وستين سنة وقال غيره سنة سبع وخمسين ولم يذكر أبو عمر غيره وأوصت أن تدفن بالبقيع مع صواحبها وصلّ عليها أبو هريرة رضي الله عنه وكان خليفة مروان بالمدينة في أيام معاوية ونزل قبرها أربعة عبد الله

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٨/ ٥٣.
(٢) «البداية والنهاية» ٨/ ٨٤.
(٣) «آل بيت النبي» ١/ ١٣٨.

وعروة أبناء الزبير والقاسم بن محمد بن أبي بكر رضي الله عنه وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر وأوصت إلى عبد الله ابن الزبير، وعن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ «أيتكن صاحبة الجمل الأذنب يقتل حولها قتلى كثيرة وتنجو بعد ما كادت».

حفصة بنت عمر - رض -

هي حفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّي بن رياح بن عبد الله بن قُرط بن رزاح بن عديّ بن كعب بن لؤيّ[1].

يلتقي نسبها مع رسول الله ﷺ في كعب بن لؤيّ.

وأبوها هو الفاروق الذي أعز الله الإسلام له، ولقب بالفاروق لذلك.

وأمها هي زينب بنت مظعون بن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جُمح - أخت عثمان بن مظعون؟

وعثمان بن مظعون أحدى السابقين إلى الإسلام، الذين أوذوا فيه وجاهدوا في الله حق جهاده، وكان من أشد الناس اجتهاداً في العبادة، يصوم النهار ويقوم الليل ويجتنب الشهوات، وكان ممن حرم الخمر على نفسه في الجاهلية، وقال: لا أشرب شراباً يذهب عقلي ويُضحك مني من هو أدنى مني[2]، وهو

---

(١) «الإصابة» (٤/ ٢٧٣)، و «وصفة الصفوة» (٢/ ١٩)، و «حلية الأولياء» (٢/ ٥٠) و «ذيل المذيل» (٧١)، و «السمط الثمين» (٨٣)، و «الأعلام» (٢/ ٢٦٥) و «الطبقات الكبرى» لابن سعد [٤١٢٩].

(٢) «آل بيت النبي» ١/ ١٣٩.

أول رجل مات في المدينة من المهاجرين، وأول من دفن في البقيع، وحين توفى إبراهيم بن رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ: "الحق بالسلف الصالح ــ عثمان ابن مظعون"[(١)].

ويُروى أنه قال ذلك أيضاً يوم ماتت ابنته عمر ممن أسلمن بمكة، وفي هجرتها اختلاف ـ فقال بعضهم إنها هاجرت إلى المدينة، وقال بعضهم: إنها ماتت مسلمة بمكة قبل الهجرة[(٢)].

ولادتها:

ولدت حفصة قبل البعثة بخمس سنين، كانت قريش حين ولادتها تبني البيت. [(٣)]

تزوجها من خنيس بن حذافة.

وحين أدركت تزوجها خنيس بن حذافة بن قيس السهمي، وكان من السابقين إلى الإسلام فقد هاجر إلى الحبشة... وعاد إلى المدينة فشهد بدراً وأحداً، وأصيب في أحد بجراحة مات منها[(٤)].

وقال ابن سعد: مات بعد مقدم النبي ﷺ من بدر.[(٥)]

ولم يذكر الرواة متى تزوج خنيس من حفصة، وربما كان ذلك بعد عودته من الحبشة.

فقد كان سنها عند الهجرة إلى الحبشة في حدود الثامنة تقريباً، ولم يكن عمر قد أسلم بعدها، وكان من شدته أن منع الإسلام عن أهله، وقد كاد يبطش

(١) لم أر كلمة «الحق» بل هناك حديث بلفظ «الحقي بسلفنا الخير عثمان بن مظعون» أخرجه الإمام أحمد ١/ ٣٧ و ٣٣٥، والساعاتي في «منحة المعبود» (٧٥٨)، وابن سعد في «الطبقات» ٣/ ٢٩٠ و ٨/ ٢٤، والطبراني في «الكبير» ٩/ ٢٥، والهيثمي في «المجمع» ٣/ ١٧.

(٢) «الاستيعاب» (٤/ ١٨٥٧) ـ و «أسد الغابة» (٧/ ١٣٤).

(٣) «آل بيت النبي» (١/ ١٤٠).

(٤) «أسد الغابة» (٢/ ١٤٧).

(٥) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٥٦).

بأخته فاطمة حين علم أنها أسلمت هي وزوجها سعيد بن زيد.. فمن غير المعقول أن يزوج ابنته الصغيرة من مسلم ويتركه يهاجر بها.

أما بعد العودة من الحبشة فقد كان عمر قد أسلم وحسن إسلامه، وأصبح من أشد المسلمين على قريش، فهم يهابونه ويعملون حسابه فالراجح أن خنيساً قد تزوج بعد عودته من الحبشة وقضى معها في مكة المدة التي كانت بين العودة من الحبشة والهجرة إلى المدينة، ثم هاجرا معاً إلى المدينة.(١)

عمر يعرض على صاحبيه الزواج من ابنته :

ولما مات خنيس اهتم عمر لتأيّم ابنته حفصة بعد وفاة زوجها وهي في مقتبل العمر، فهي الآن بعد فقد زوجها في حدود العشرين أو دونها أو فوقها بقليل.

وبعد أن انقضت عدتها انطلق إلى أبي بكر - رضي الله - فعرض عليه أن يتزوج من ابنته. ولكن أبا بكر يسكت ولا يجيب.

وانطلق إلى عثمان - وكانت زوجته رقية بنت الرسول ﷺ قد ماتت حديثاً من إثر صحي أصابتها، فهو في حاجة إلى زوجة - فعرض عليه ما عرضه عل أبي بكر.

ولكن عثمان - رضي الله عنه - يقول له: قد بدا لي ألا أتزوج الآن فذهب إلى رسول الله ﷺ يبثه همه ويشكو إليه صديقيه... ويقول: يا رسول الله أترى إلى أبي بكر وعثمان أعرض عليهما ابنتي فيعرضان عني؟

وينظر إليه النبي ﷺ في إبتسام يبدد ضيقه وهمه:

«يا عم يتزوج حفصة من هو خير لها من عثمان، ويتزوج عثمان من هي خير له من حفصة..».

---

(١) «آل بيت النبي» ١/ ١٤٠.

وهكذا تزوج النبي ﷺ، حفصة، وزوج ابنته أم كلثوم من عثمان بن عفان، وبذلك لقب بذي النورين، لإنه تزوج من ابنتين لرسول الله ﷺ رقية، ثم أم كلثوم[1]

ويعود عمر سعيداً بهذه المصاهرة المباركة. . . ويلقاه أبو بكر في الطريق فيقول له :

يا عمر لعلك وجدت عليَّ في نفسك لأني لم أجبك إلى ما طلبت. ولكن كنت سمعت النبي ﷺ يذكرها، فلم أشأ أن أفشي سرّ رسول الله ﷺ ولو تركها لتزوجتها.

حفصة في بيت الرسول:

وزفت حفصة إلى النبي ﷺ وانضمت إلى سودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر. . وكان ذلك في شعبان من السنة الثالثة للهجرة.

كانت حفصة قارئة متعلمة. تلقت تعليمها على يد الشفاء بنت عبد الله، وهي أول معلمة في الإسلام.

قال الرواة عن الشفاء: إنها كانت من عقلاء النساء وفضلائهن وكانت من أعلام الإسلام وتربة خصبة للعلم والإيمان.

وكانت زوجة لأبي حثمة بن حذيفة بن عدى. . وزوجها الله منه يولدها سليمان بن أبي حثمة.

تعلمت الشفاء القراءة والكتابة في مكة قبل الإسلام ولما أسلمت قامت بتعليم نساء المسلمين مبتغية بذلك الأجر والثواب، فكانت بذلك أول معلمة في الإسلام.

وقد شجع النبي ﷺ الشفاء على تعليم حفصة كما شجع حفصة على

(١) «آل بيت النبي» ١/ ١٤١.

التعلم، وكانت هذه ميزة حفصة.

ورد في الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ طلب من الشفاء أن تعلم حفصة ـ رضي الله عنها ـ الكتابة وبعض الرقى، تقول الشفاء ـ رضي الله عنها ـ دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي: «ألا تعلّمين هذه الرقية كما علّمتها الكتابة»؟[1]

وكانت الشفاء ترقى في الجاهلية، فلما أسلمت وهاجرت قالت للنبي ﷺ: كنت أرقى في الجاهلية وقد أردت أن أعرض عليك رقيتي.

فقال ﷺ: اعرضيها.

قالت: فعرضتها عليه..

فقال ﷺ: إرقي بها وعلميها حفصة[2]»

ووردت هذه الرقية بروايات مختلفة منها «اللهم رب الناس، فذهب الباس، اشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر الباس، أشف أنت الشافي، لا شافي إلا أنت شفاء لا يغادر سقماً»[3]

ومنها ما جاء في أسد الغابة «باسم الله اللهم اكشف الباس رب الناس»[4]

ورواها الدميري «في حياة الحيوان» هكذا: «العروس تحتفل وتختصب وتكتحل ولا يجب أبداً أن تعصي زوجها أو تخالف أمره».

ثم قال: إن هذا الكلام يعلم كل من سمعه أنه لا يضر ولا ينفع.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٦/ ٣٧٢، وأبو داود (٣٨٨٧)، والبيهقي في «السنن» ٩/ ٣٤٩، وعبد الرزاق (١٩٧٦٨)، والكحال في «الأحكام النبوية» (١٥٢)، والشيخ في «الصحيحة» (١٧٨) و (١٩٣١).

(٢) «الصحيحة» ١ ـ ٢ ـ ١٣٢.

(٣) أخرجه أبو داود (٣٨٩٠)، وأحمد ٣/ ١٥١، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (١٠٢٢)، والخطيب ٤/ ٢٥٧، والهندي في «الكنز» (٢٨٣٦٧)، والسيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٤١٧، وفي «جمع الجوامع» (٩٦٨٣).

(٤) «طبقات ابن سعد»، و «السمط الثمين» للطبري.

. . . وربما أراد النبي ﷺ به تنبيه حفصة، لأنه ألقى إليها سراً فأفشته فكان هذا من مزاح الكلام كقوله ﷺ للعجوز «لا تدخل الجنة عجوز»[1].

ولكن الشفاء على أي حال كانت تقوم على تعليم حفصة، كما كانت النبي ﷺ يكرم الشفاء لإخلاصها ورغبتها في نفع المسلمين وحبها للمؤمنين والمؤمنات ودعوتها إلى الإسلام وإقبالها على حديث رسول الله تحفظه وتذيعه.[2]

وقد خصص النبي ﷺ لها داراً بالمدينة فنزلت فيها مع ابنها سليمان، وكان النبي ﷺ يزورها ويكرمها.

وكان عمر بن الخطاب يقدمها في الرأي، ويرعاها ويفضلها وربما ولاها شيئاً من أمر السوق.

ومما يروى في نصحها للمسلمين أنها رأت فتياناً يقصدون في المشي ويتكلمون رويداً فقالت: ما هؤلاء؟فقالوا لها: نسّاك.

فقالت: كان والله عمر إذا تكلم أسمع، وإذا مشى أسرع وإذا ضرب أوجع[3]

ووتوفيت الشفاء سنة عشرين من الهجرة[4]

قصة المظاهرة:

تفعل الغيرة فعلها في النفس ولم تنج منها امرأة حتى ولو كانت زوجة نبي، والغيرة علامة صحة لا تضير صاحبتها ما دامت بدافع الحب لزوجها، بشرط ألا تخرج الغيرة على حد الاعتدال أو تجمح إلى الشطط وتحول الحياة إلى جحيم.

---

(١) «حياة الحيوان» ٢/ ٦٤٥.
(٢) «آل بيت النبي» (١/ ١٤٤).
(٣) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٢٠٨).
(٤) «نساء حول الرسول» ص ٢٢٧.

وقد رأينا في حديثنا عن السيدة عائشة ـ رضي الله ـ كيف كانت تغار على النبي ﷺ.

وربما اشتطت الغيرة أحياناً إلى حد غير مرغوب فيه كما نرى ذلك في قصة التظاهر التي أشار إليها القرآن الكريم في قوله ـ تعالى:

قد فرض ا *{يا أيها النبي لم تحرم ما أحل ا لك تبتغي مرضات أزواجك وا غفور رحيم
وإذ أسرّ النبيّ إلى بعض أزواجه *لكم تحلة أيمانكم وا مولاكم وهو العليم الحكيم
حديثاً فلما نبأت به وأظهره ا عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من
إن تتوبا إلى ا فقد صغت قلوبكما وإن تظاهرا عليه *أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير
عسى ربّه إن *فإن ا هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين والملائكة بعد ذلك ظهير
طلقكنّ أن يبدله أزواجاً خيراً منكنّ مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات
ثيبات وأبكارا} [التحريم: ١ ـ ٥].

وفي هذه القصة وردت روايات نذكر منها هذه الرواية:

فقد روى أن النبي ﷺ شرب عند زينب بنت جحش عسلاً. فتواطأت عائشة وحفصة ـ بفعل الغيرة ـ على أن تقول كل منهما له: ما رائحة المغافير هذه؟فدخل على حفصة فقالت له:

هل أكلت مغافير(١) إني أجد ريح مغافير.

وكان النبي ﷺ يكره الرائحة غير الطيبة لأنه يناجي الملك.

فأنكر ذلك. وقال: لا، ولكني كنت أشرب عسلاً عند زينب فلن أعود له. وقد حلفت فلا تخبري بذلك أحداً.

ولكن حفصة لم تصبر على الكتمان، فقد أخبرت عائشة بما حدث، فنزلت هذه الآية. فكفر النبي عن يمينه، وشرب العسل عند زينب مرة أخرى.

فالتظاهر على النبي ﷺ قد حدث من عائشة وحفصة، لما كان بينهما من صداقة.

والذي يدل على أن النبي تظاهرتا عليه هما عائشة وحفصة ما رواه الإمام في مسنده ـ قال:

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: لم أزل حريصاً على أن أسأل عمر

---

(١) المغافير: بقلة متغيرة الرائحة فيها حلاوة.

عن المرأتين من أزواج النبي ﷺ اللتين قال الله تعالى فيهما {إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما..}.

حتى حج عمر وحججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر وعدلت معه... ثم أتاني، فسكبت على يديه فتوضأ.

فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النبي ﷺ اللتان قال الله تعالى في شأنها {إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما}.

فقال عمر: واعجبا لك يا ابن عباس ـ قال الزهري: كره والله ما سأله ولم يكتمه ـ قال: هي حفصة وعائشة. ثم أخذ يسوق الحديث.

قال: كنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم، فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم.

قال: وكان منزلي في دار بني أمية بن زيد ـ بالعوالي ـ فغضبت يوماً على امرأتي فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني.

فقالت: ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه، وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل.

قال: فانطلقت فدخلت على حفصة فقلت: أتراجعين ـ رسول الله ﷺ؟

قالت: نعم

قلت: وتهجره إحداكن إلى الليل؟

قالت: نعم.

قلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعي رسول الله ﷺ لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت؟ لا تراجعي رسول الله ﷺ ولا تسأليه شيئاً، وسليني من مالي ما بدا لك.

قال: وكان لي جار من الأنصار وكنا نتناوب النزول إلى رسول الله ﷺ ينزل

يوماً وأنزل يوماً فيأتني بخبر الوحي وغيره، وآتيه بمثل ذلك.

قال: وكنا نتحدث عن غسان تنعل الخيل لتغزونا فنزل صاحبي يوماً، ثم أتى عشاء، فضرب بابي، ثم ناداني فخرجت إليه، فقال: حدث أمر عظيم.

فقلت: وما ذاك؟ أجاءت غسان؟ قال : بل أعظم من ذلك وأطول. . طلق رسول الله ﷺ نساءه.

فقلت: قد خابت حفصة وخسرت، قد كنت أظن هذا كائناً حتى إذا صليت الصبح شددت عليّ ثيابي، ثم نزلت، فدخلت على حفصة وهي تبكي.

فقلت: أطلّقكن رسول الله ـ؟

قالت: لا أدري، هو هذا معتزل في هذه المشربة ـ الغرفة فأتيت خادمه، فقالت له: استأذن لعمر.

فدخل الغلام ثم خرج إليّ، فقال: ذكرتك له فصمت ـ أي سكت ـ فانطلقت حتى أتيت المنبر، فإذا عنده رهط جلوس يبكي بعضهم، فجلست قليلاً، ثم غلبني ما أجد. فأتين الغلام فقلت: استأذن لعمر. فدخل ثم خرج، فقال: قد ذكرتك له فصمت.

فخرجت فجلست إلى المنبر، ثم غلبني ما أجد، فأتيت الغلام، فقلت: استأذن لعمر، فدخل ثم خرج إليّ، فقال: قد ذكرتك له فصمت، قال عمر: فوليت مديراً، فإذا الغلام يدعوني، فقال أدخلت قد أذن لك.

فَدَخلت، فسلمت على رسول الله ﷺ فإذا هو متكيء على حصير، قد أثّر في جنبه.

فقلت: أطلّقت يا رسول الله نساءك؟فرفع رأسه وقال: لا

فقلت: الله أكبر، لو رأيتنا يا رسول الله. . . وكنا معشر قريش قوماً نغلب النساء، فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم فطفق نساؤنا يتعلمن من نسائهم، فغضبت على امرأتي فإذا هي تراجعني، فأنكرت أن تراجعني. فقالت:

ما تنكر أن أراجعك؟ فوالله إن أزواج النبي ﷺ ليراجعنه وتهجره إحداهن اليوم إلى الليل.

فقلت: قد خاب من فعل ذلك منكن وخسر، أفتأمن إحداكن أن يغضب الله عليها لغضب رسوله فإذا هي قد هلكت.

فتبسم رسول الله ﷺ.

فقلت: يا رسول الله ـ قد دخلت عليّ حفصة فقلت لها لا يغرنك أن كانت جارتك هي أوسم أو أحب إلى رسول الله ﷺ منك.

فتبسم رسول الله مرة أخرى.

فقلت : إستأنس يا رسول الله .

قال: نعم.

فجلست، فرفعت رأس في البيت، فوالله ما رأيت في البيت شيئاً يرد البصر إلا أهبّة ثلاثاً.

فقلت: ادع الله يا رسول الله أن يوسع على أمتك، فقد وسع على فارس والروم وهم لا يعبدون الله.

فاستوى جالساً وقال: "أفي شك أنت يا ابن الخطاب؟ أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في الحياة الدنيا"

فقلت: استغفر لي يا رسول الله.

وكان أقسم أن لا يدخل على زوجاته شهراً من شدة موجدته عليهن ـ حتى عاتبه الله ـ عز وجل.

وفي الآيات تحذير للمرأة من إفشاء سر زوجها، ودعوة لها أن تكون طوع أمر زوجها معينة له على الحياة.

ويرى بعض الرواة أن هذا التظاهر كان بسبب التحكم على النبي ﷺ في النفقة وطلب المزيد من متع الدنيا وزينتها. ولذلك اعتزلهن شهراً.

جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله قال: دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوساً ببابه لم يؤذن لأحد منهم. قال: فأذن لأبي بكر فدخل.

ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له، فوجد النبي ﷺ جالساً حوله نساؤه واجماً ساكناً.

قال ـ عمر ـ: لأقولن شيئاً أضحك النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، لو رأيت بنت خارجة ـ سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها، فضحك رسول الله ﷺ وقال: "هن حولي كما ترى يسألنني النفقة".

فقال أبو بكر إلى عائشة يريد أن يجأ عنقها، وقام عمر إلى حفصة يريد أن يجأ عنقها ـ كلاهما يقول: تسألن رسول الله ﷺ ما ليس عنده؟

فقلن: والله لا نسأل رسول الله ﷺ شيئاً أبداً ليست عنده، ثم اعتزلهن شهراً أو تسعاً وعشرين، ثم نزلت عليه الآية:

{يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحيوة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنت منكن أجرا عظيما}(1) [الأحزاب: ٢٨ ـ ٢٩].

وقيل إن النبي ﷺ قد طلق حفصة عقب هذا التظاهر تطليقة، فأمره الله ـ سبحانه وتعالى ـ عن طريق جبريل أن يراجعها.

وإرجاع حفصة إلى عصمة النبي ﷺ يشير إلى منزلتها. فقد روى قتادة قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة فجاء جبريل فقال: يا محمد ـ أما أنه قال راجع حفصة، وإما أنه قال: لا تطلق حفصة، فإنها صوّام قوّام وإنها من نسائك في الجنة(2).

وهذا ما يجعلنا نرجح أن رسول الله لم يطلق حفصة وربما يكون قد همّ بذلك فقط.

---

(١) «آل بيت النبي» ١/١٥١.

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/٥٨).

حافظة المصحف :

كانت حفصة لإيجادها الكتابة تحفظ عندها رقاع المصحف مكتوباً فيها القرآن، ولهذا لما بدا لأبي بكر أن يجمع المصحف بعد تردد طويل، وبعد أن استشهد كثير من حفظته في حروب الردة وبخاصة في معارك اليمامة، وبعد أن جمع، حفظت هذه الرقاع التي دُوّن فيها لدى حفصة، ويعدّ جمع أبي بكر للقرآن الجمع الثاني بعد جمع رسول الله ﷺ الأول له الذي عارضه به جبريل - عليه السلام - مرتين.

وكان في ذلك دلالة على أنها كانت ذات فضل في حفظ القرآن الكريم(١).

- حفصة بعد النبي..

ظلت حفصة في بيت النبي ﷺ محفوظة برعايته مع زوجاته، حتى توفي ﷺ.

وكان المسلمون يعرفون لها فضلها ومنزلتها، وقد حافظت هي على ما اكتسبته من هذا الفضل، وأنها من أمهات المؤمنين اللاتي جعلهن الله في مقام الأسرة والقدوة.

وفي عام الجمل كانت مع عائشة في مكة، وأرادت عائشة أن تخرجها معهاإلى البصرة لإطفاء الفتنة التي تحدَّثنا عنها... وهمت حفصة أن تذهب معها، لولا أن أخاها عبد الله بن عمر منعها من ذلك وطلب إليها أن تعود إلى المدينة وتقر في بيتها كما أمرها الله - تعالى - فأطاعته وعادت.

ولزمت بيتها حتى حانت وفاتها في شعبان سنة خمس وأربعين في خلافة معاوية وهي يومئذ ابنة ستين سنة(٢).

وربما كانت فوق ذلك بثلاث سنين، فقد علمنا أنها ولدت قبل البعثة

---

(١) «آل بيت النبي» (١/ ١٥٤).

(٢) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٦٠).

بخمس سنوات، فإذا أضفنا إليها ثلاث عشرة سنة قضاها النبي في مكة بعد بعثته - إلى خمس وأربعين سنة كان مجموع ذلك ثلاثاً وستين سنة.

إلا إذا كانت قد توفيت قبل ذلك بثلاث سنين أو أربع، فقد ورد قول في أسد الغابة أنها توفيت حين صالح الحسن ابن علي - رضي الله عنهما - معاوية ابن أبي سفيان. وكان ذلك في جمادي الأولى سنة إحدى وأربعين(١).

وصلّى عليها أمير المدينة يومئذ وهو مروان بن الحكم، وتبعها إلى البقيع وجلس حتى فرغ من دفنها، ورووا أنه حمل عمودي سريرها من عنددار بني مخزوم إلى دار المغيرة بن شعبة، وحمله أبو هريرة بعده إلى قبرها.. رضي الله عنها وأرضاها(٢).

---

(١) «أسد الغابة» ٧/ ٦٧.

(٢) «آل بيت النبي» ١/ ١٥٥.

أم حبيبة - رض -

وهي رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس، وأمها صفية بنت أبي العاص بن أميّة بن عبد شمس عمّة عثمان بن عفّان، تزوّجها عبد الله بن جحش بن رياب ابن يعمر بن صبرة بن مرّة بن كبير بن غنم بن زودان بن أسد ابن خزيمة حليف حرب بن أميّة[1].

كانت في الحبشة مهاجرة حين أرسل النبي ﷺ في خطبتها لأنها مرت بظروف قاسية كانت في أشد الحاجة إلى من يأخذ بيدها فيها، فامتدت إليها اليد الحانية الرحيمة، يد المصطفى ﷺ الذي أرسله الله رحمة للعالمين.

وفي ليلة استيقظت رملة من نومها منزعجة، لقد رأت رؤيا أفزعتها، رأت زوجها عبيد الله بن جحش في صورة قبيحة أنكرتها. . واستعاذت بالله من الشيطان الرحيم، وأخذت تتساءل في نفسها عن عن تأويل هذه الرؤيا، ثم سكتت في انتظار ما يأتي به القدر، وإن كانت قد أيقنت بأن زوجها لا بد وأن تكون قد تغيرت حاله.

ولم يلبث أن جاء إليها زوجها يقول لها: يا أم حبيبة وإني كنت قد دنت

(١) «ذيل المذيل» (٧٢)، و «الجمع بين رجال الصحيحين» (٦٠٥)، و «صفة الصفوة» (٢/ ٢٢)، و «الإصابة» (٨/ ٨٤). و«الطبقات الكبرى» (٤١٣١).

بالنصرانية، ثم دخلت في دين محمد، والآن قد رجعت إليها.

فبادرته أم حبيبة قائلة: والله ما هو خير لك، ثم أخبرته بالرؤيا التي رأت، ولكنه لم يعبأ بما قالت.

كان الشيطان قد ركب رأسه وأضله عن سواء السبيل، وانساق في الغواية، وأكب على شرب الخمر حتى أوردته موارد التهلكة ـ ومات عبيد الله بن جحش بالحبشة ودفن هناك.

وأصبحت بنت زعيم قريش غريبة، وإن كانت في أنس من دينها وربها وإخوتها المسلمين.

وشعر النبي ﷺ بحاجة هذه المرأة إلى الرعاية، فقد هاجرت مختارة إلى الحبشة، مؤثرة دين الله على ما عداه، رافضة ما كان عليه أبوها وقومه من عبادة الأوثان، وكانت تجد في صحبة زوجها المسلم أنساً واطمئناناً وسعادة، والآن قد مات زوجها نصرانياً غريباً، وقد إباء شديداً أن تتابعه على دينه الذي أراد حملها عليه.

زواج النبي بها:

حين بلغ النبي ﷺ وهو بالمدينة عقب خيبر ـ ما أصاب أم حبيبة ـ أرسل عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي يخطب أم حبيبة، فأسرع النجاشي في تنفيذ ما أمر به النبي ﷺ وأرسل جارية لتخبر أم حبيبة بذلك.

أما عن حياتها في صحبة الرسول ﷺ:

عاشت أم حبيبة في صحبة الرسول ﷺ زهاء أربع سنوات، وشهدت معه فتح مكة وإسلام أبيها الذي أراد النبي ﷺ إن يخصه بشيء من الفخر، فقال: "من دخل المسجد فهو آمن، ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن.."[1].

(١) أخرجه مسلم (الجهاد) ب ٣١ و ٨٤ و ٨٦، وأبو داود (الخراج) ب ٢٥ وأحمد ٢/ ٢٩٢، و ٥٣٨، والبيهقي في «السنن» ٦/ ٣٤ و ٩/ ١١٧ و ١١٨ و ١٧١، والطبراني في «الكبير» ٨/ ٩، والهيثمي في «المجمع» ٦/ ١٦٩ و ١٧٠ و ١٧١ و ١٧٥، وابن أبي شيبة ١٤/ ٤٧٥، والبغوي في «شرح السنة» ١١/ ١٥٢ وعبد الرزاق (٩٧٣٩).

وروت عن النبي ﷺ:

وربما شاركت أم حبيبة بعد وفاة الرسول ﷺ في بعض الأحداث.

فقد ذكر الرواة أنه في حصار أمير المؤمنين عثمان ابن عفان ـ رضي الله عنه ـ جاءت أم حبيبة راكبة بغلة، وحولها خدمها.

فقالوا: ما جاء بك؟

فقالت: إن عنده وصايا لأيتام وأرامل من المسلمين، فأحببت أن أذكُره بها، فكذبوها في ذلك، ونالها منهم شدة عظيمة[1].

(١) «آل بيت النبي» ١/٢١٨.

أم سلمة - رضي الله عنها

هي هند بنت أبي أمية واسمه سهيل زاد الرك بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم[1].

وأمها هي عاتكة بنت عامر بن ربيعة بن مالك بن خزيمية ابن علقمة الكنانية من بني فراس الأمجاد.

فهي عريقة النسب أباوأماً.

وكانت من السابقات إلى الإسلام هي وزوجها أبو سلمة، وتأيّمت منه بعد هجرتها معه إلى المدينة، وأصبحت في حاجة إلى الرعاية والعناية وهي ذات أولاد.

فضمها النبي ﷺ إلى أهله رحمة بها وإشفاقاً على أولادها.

- أما عن زوجها - قبل النبي ﷺ:

(١) «نهاية الأرب» (١٨/ ١٧٩)، و «السمط الثمين» (٨٦)، و «ذيل المذيل» (٧١)، و «الجمع بين رجال الصحيحين» (٦١٣)، و «صفة الصفوة» (٢/ ٧٠) و «الإصابة» ترجمة (١٣٠٩)، و «مرآة الجنان» (١/ ١٣٧)، و «الأعلام» (٨/ ٩٨)، «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤١٣٠).

فهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله ابن عمر بن مخزوم. . . وهو ابن عمها.

وكان أبو سلمة من السابقين إلى الإسلام كما ذكرنا، فهو أسلم بعد عشرة أنفس. . . فترتيبه بين السابقين إلى الإسلام الحادي عشر، قال ابن إسحاق: انطلق أبو عبيدة بن الحارث، وأبو سلمة بن عبد الأسد، والأرقم بن أبي الأرقم، وعثمان ابن مظعون حتى أتوا رسول الله ﷺ فعرض عليهم الإسلام، وقرأ عليهم القرآن، فأسلموا وشهدوا أنه على هدى ونور، ثم أسلم ناس من العرب بعد ذلك[1].

وأسلمت زوجته أم سلمة معه، وهاجرا معاً إلى الحبشة في الهجرة الأولى.

وعادا معاً إلى مكة قبل الهجرة إلى المدينة.

وكان أبو سلمة أحد المعذبين في الإسلام. وقد استنقذ أبو طالب من براثن المشركين.

فقد روى الرواة أن قريشاً عَدَت على من أسلم منها، فأخذوهم وأوثقوهم وأشتد البلاء على المسلمين، وعظمت الفتنة فيهم وزلزلوا زلزالاً شديداً، وفر أبو سلمة إلى أبي طالب ليحيمه ـ وكان خاله ـ فحماه. . .

فجاءت بنو مخزوم ليأخذوه، فمنعه فقالوا: يا أبا طالب، منعت منا ابن أخيك، أتمنع منا ابن أخينا؟فقال أبو طالب! نعم أمنع ابن أختي مما أمنع منه ابن أخي.

فقال أبو لهب ـ ولم يسمع منه كلام خير قط إلا يومئذ ـ صدق أبو طالب لا يسلمه إليكم. وفي رواية قال: يا معشر قريش، والله لقد أكثرتم على هذا الشيخ ـ يقصد أبا طالب ـ ما تزالون تعدون عليه في جواره من بني قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه، حتى يبلغ ما أراد.

(١) «ابن هشام» ١/ ٣٧١ ـ «أسد الغابة» ٣/ ٢٩٥.

فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة![1]

ثم هاجر إلى المدينة، وشهد مع النبي ﷺ بدراً، وأحداً، وأصيب في أحدٍ بجرح ثم اندمل.

وأمره النبي ﷺ على سرية إلى «قطن» وهو جبل بجوار ماء لبني أسد ـ وكان معه مائة وخمسون رجلاً فيهم أبو عبيدة بن الجراح وسعد بن أبي وقاص.

وكان الهدف في هذه السرية الرد على أراجيف قريش بأن المسلمين لن تقوم لهم قائمة بعد أحد.

فنجح أبو سلمة في تحقيق هدفه، وأخذ العدو على غرة في عماية الصبح، وأحاط به وغنم منهم، وعاد سالماً غانماً وقد أعاد الهيبة إلى المسلمين.

ولم يلبث بعد عودته أن انتقض عليه جرحه القديم في أحد، فكان سبب استشهاده.

شهد الرسول ﷺ وهو يجود بنفسه، فلما شخص أغمض رسول الله ﷺ عينيه، وصلى عليه، وكبر عليه.. تسعاً.

فقيل له: يا رسول الله، أسهوت أم نسيت؟ يقصدون بذلك أنه تجاوز التكبيرات الأربع التي تُكبّر على الميت.

فقال النبي ﷺ: "لم أسه، ولم أنس، ولو كبرت عليه ألفاً كان أهلاً لذلك".

زواج النبي من أم سلمة!

جاء في الطبقات أن النبي ﷺ دخل على أم سلمة يعزيها.

فقال: اللهم عزّ حزنها وأجبر مصيبتها وأبدلها خيراً منه..

فكانت أم سلمة تقول: ومن خير من أبي سلمة؟

إنه ابن عمها وأحب الناس إليها، وكان يحنو عليها ويحبها حباً شديداً...

(1) «ابن هشام» ١/ ٣٧١ ـ «أسد الغابة» ٣/ ٢٩٥.

لقد ذاقت معه حلو الحياة ومرها. .

ولقد حدث حوار بين أم سلمة وزوجها وهو في الأيام الأخيرة من حياته، وكأنها قد أرادت أن تعاهده على أن تظل وفيه لذكراه ولا تتزوج بعده.

فقالت له: بلغني أنه ليس امرأة يموت زوجها وهو من أهل الجنة، وهي من أهل الجنة ثم لم تتزوج بعده إلا جمع الله بينهما في الجنة، وكذلك إذا ماتت المرأة وبقي الرجل بعدها. فتعال أعاهدك ألا تتزوج بعدي، ولا أتزوج بعدك.

قال لها أبو سلمة: أتطيعينني؟

قالت: ما استأمرتك إلا وأنا أريد أن أطيعك.

قال: فإذا مت فتزوجي. ثم قال: اللهم ارزق أم سلمة بعدي رجلاً خيراً مني لا يحزنها ولا يؤذيها.

قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: من هذا الرجل الذي هو خير من أبي سلمة؟

فلبثت ما لبثت ثم جاء رسول الله ﷺ فقام على الباب فذكر الخطبة إلى ابن أخيها أو إلى وليها[1]

وقد أدركت أم سلمة أن هذا شرف تتمنى أي امرأة أن تناله. . وأي شرف أعظم من أن تكون المرأة حليلة الرجل الذي يأتيه الوحي من السماء، وعليه ينزل جبريل صباح مساء؟ وبزواجه تضمن السعادة في الدنيا والآخرة؟[2].

ولكنها نظرت إلى نفسها فتوجست خيفة من أنها قد لا تستطيع أن توفي هذا الزوج العظيم حقه المفروض، فهي ذات عيال ما زالت أخراهم طفلة، وهي ذات غيرة لأنها لم تجرب الضرائر قبل، فكيف تنجح مع ذلك في زواجها من النبي ﷺ ؟ وكيف تضمن ألا تغضبه؟

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٨/ ٦١.

(٢) «آل بيت النبي» ١/ ١٦٥.

ولم تجد أم سلمة بداً من أن تصارح النبي ﷺ بما في نفسها..

قالت: يا رسول الله، فيَّ خصال ثلاث، أما أنا فكبيرة، وأنا مُطفل، وأنا غيور.

فقال النبي ﷺ: "أما ما ذكرت من غيرة فندعوا ا حتى يذهبه عنك"

وأما ما ذكرت من الكبر فأنا أكبر منك.

والطفل إلى الله ورسوله...»[1].

لله أنت يا أم سلمة، وهل تزوجك الرسول ﷺ إلا من أجل رعاية هؤلاء الأطفال الذين تحملين همهم؟[2].

وانتقلت أم سلمة وأطفالها إلى بيت النبي ﷺ وأقامت بين أمهات المؤمنين راضية قريرة العين.

أم سلمة ـ رضي الله عنها ـ يوم الحديبية:

حين أوشك المسلمون أن يخالفوا أمر رسول الله ﷺ.

ففي العام السادس للهجرة كانت أم سلمة في صحبة رسول الله ﷺ حين عزم على أداء المرة، وخرج معه عدد غفير من المسلمين..

وفي العمرة... طلب النبي ﷺ من أصحابه أن يقوموا فينحروا هديهم ويحلقوا شعرهم، فلم يقم رجل واحد منهم.

طلب منهم ذلك ثلاث مرات فلم يجبه أحد..

فقام النبي ﷺ ودخل خيمته، ورأته أم سلمة ـ رضي الله عنهما ـ حزينا.. فقال لها: "لقد هلك المسلمون يا أم سلمة".

وشكا إليها ما حدث منهم من عدم إجابتهم له على ما طلبه منهم.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد ٤/٢٨، وابن كثير في «البداية والنهاية» ٤/ ٩٠ و ٩١ وابن سعد في «الطبقات» ٨/ ٦١.

(٢) «آل بيت النبي» ١/ ١٦٥.

فقالت أم سلمة وقد استنار في عقلها الذكي رأي: يا نبي الله أتحب أن أشير بشيء؟.

قال: "نعم".

قالت: اخرج عليهم، ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة، حتى تنحر بنتك، وتدعو حالقك فيحلقك.

فقام النبي ﷺ فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك كله الذي أشارت به أم سلمة.

فلما رأى المسلمون ما فعل النبي ﷺ، قاموا جميعاً إلى هديهم فنحروها، ثم جعلوا يحلقون رؤوسهم..

وأقبلوا يعتذرون إلى النبي ﷺ: (١)

أم سلمة بعد وفاة الرسول ﷺ في بيتها..

وحين حدثت الإضطرابات بعد مقتل عثمان ـ رضي الله عنه ـ طلبت منها السيدة عائشة أن تخرج معها.

ولكنها قالت لها: أي خروج هذا الذي تخرجين؟ الله من وراء هذه الأمة.. لقد مكثت في بيتها تؤدي فرضها، وتكثر من العبادة.. ورأت في ذلك استجابة لأمر الله ـ تعالى لأمهات المؤمنين {وقرن في بيوتكن}وقوله: {واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات ا والحكمة}.

وعاشت أم سلمة إلى سنة تسع وخمسين فيما يرويه بعضهم.

وماتت سنة إحدى وستين.. ويقول أبو هريرة إن الذي صلّ عليها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان.

وكانت قد مرضت قبل مرضتها الأخيرة فأوصت أن يصلي عليها سعيد بن زيد، وكان أمير المدينة يومئذ مروان بن الحكم، ولكنها عوفيت من هذ

(١) «الإصابة في تميز الصحابة» لابن حجر (٨/ ٢٢٤).

المرضة، ومات سعيد قبلها.

فلما توفيت بعد ذلك ـ صلّ عليها الوليد بن عتبة [١]

وكانت أم سلمة تحفظ كثيراً من أحاديث النبي ﷺ وقد روى عنها ثلثمائة وثمانية وعشرون حديثاً.

وروى عنها أيضاً ابن عباس وعائشة وأبو سعيد الخدري، وقبيصة بن ذؤيب، ونافع مولى ابن عمر، وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام، وآخرون..

وتعد ابنتها زينب من الصحابيات، وهي ربيبة رسول الله ﷺ وكان أسمها برّة فسماها النبي ـ زينب.

ورباها النبي ﷺ في حجره، وكانت تدخل عليه فينضح وجهها بالماء، وحصلت لها بركة ذلك فقد أخبر عطاف بن خالد المخزومي عن أمه قال: قالت أمي: رأيت زينب وهي عجوز كبير ما نقص من وجهها شيء. تقصد ما تجعد وجهها ولا أصابه ما يصيب العجائز من تجاعيد[٢].

(١) «الإصابة» ٨/ ١٥٢.

(٢) «آل بيت النبي» ١/ ١٧٧.

سودة بنت زمعة - رض

هي سودة بنت زمعة بن قس بن عبد شمس ابن عبد وذ بن نصر بن مالك لن حسل بن عامر بن لؤي[1].

وأمها الشموس بنت قيس بن زيد - من بني عامر بن غنم النجاري الأنصاري.

لقد جمعت بين شرف قريش وشرف الأنصار.

وكانت سودة من السابقات إلى الإسلام هي وزوجها السكران بن عمرو ابن عبد شمس أخو سهيل بن عمرو.

وكانا من المهاجرين إلى الحبشة في الهجرة الأولى وعادا إلى مكة.

قال بعض الرواة: إن السكران مات بالحبشة في هجرته، وعادت سودة وحدها بدونه إلى مكة.

وقال بعضهم: بل عادا معاً، ومات هو بمكة قبل الهجرة إلى المدينة.

ما دعا الرسول ﷺ للزواج من سودة رضي الله عنها؟

(١) «ذيل المذيل» للطبري (٦٩)، و«السمط الثمين» (١٠١)، و «الجمع بين رجال الصحيحين» (٦٠٧)، و«الإصابة» ترجمة (٦٠٣)، و «الأعلام» (٣/ ١٤٥)، و «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤١٢٧).

بعد وفاة خديجة ـ رضي الله عنها ـ شعر النبي ﷺ بوحشة غريبة في بيته، ولا عجب في ذلك فقد كانت ـ كما ذكرنا ـ ملء سمعه وبصره، وكانت ركناً ركيناً يلجأ إليه في شدته فيجد فيه الأمن والهدوء والاستقرار.

وفي البيت بنات كن في حاجة إلى أمهن التي تفهم عنهن ما هن في حاجة إليه.

وقد سبق القول بأن رقية وأم كلثوم كانتا مخطوبتين أو معقود عليهما إلى ابني أبي لهب، وقد أقسمت أمهما على ولديها أن يفارقاهما فاستجاب الولدان لأمهما.

وتزوجت رقية من عثمان بن عفان وهاجرت معه إلى الحبشة.

وبقيت أم كلثوم وفاطمة مع أبيهما في البيت أما زينب فكانت قد زفت إلى ابن خالتها أبي العاص بن الربيع.

ولم تغب حالة النبي ﷺ عن أصحابه فقد لمسوا ما هو فيه من حزن وأسى..

فأقبلت إليه خولة بنت حكيم السلمية ـ الملقبة بذات الهجرتين، لأنها هاجرت مع زوجها عثمان بن مظعون إلى الحبشة ثم إلى المدينة ـ وقالت له:

يا رسول الله كأني أراك قد دخلتك خلّة لفقد خديجة؟فأجاب النبي ﷺ: "أجل، كانت أم العيال وربة البيت".

أجل ـ ومن غير النبي ﷺ يدرك مكان المرأة في بيتها، ويعرف حقها بين أهله؟

فقالت خولة: يا رسول الله ألا تتزوج؟

قال النبي ﷺ: مَن؟

قالت خولة: إن شئت بكراً، وإن شئت ثيباً.

قال: فمن البكر؟

قالت: بنت أحب الخلق إليك عائشة بنت أبي بكر.

قال: ومن الثيب؟

قالت: سودة بنت زمعة ـ قد آمنت بك واتبعتك.

فأذن لها النبي ﷺ في أن تخطب عليه سودة..[1].

ولنرجىء الحديث عن عائشة قليلاً ريثما نفرغ من حديث سودة..

ومضت خولة بنت حكيم إلى سودة... لخطبتها على النبي ﷺ.

قالت لسودة: ماذا أدخل الله عليك من خير وبركة يا سودة؟.

فتعجبت سودة من كلامها وقالت لها: وما ذاك يا خولة؟

فقالت خولة: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه.

ولم يمكن وصف ما انتابها من فرح لهذا الخبر السعيد.

ولم يسعفها البيان إلا بكلمة فيها غناء كبير كما يحتمل في نفسها ـ لقد قالت خولة: وددت.. ادخلي على أبي فاذكري له ذلك..

وكان زمعة في ذلك الوقت شيخاً كبيراً قد خلفه كبيره عن شهود موسم الحج.

فدخلت إليه خولة، وقالت له: إن محمداً بن عبد الله أرسلني إليك لأخطب عليه ابنتك سودة.

فقال زمعة: إنه كفء كريم. فماذا تقول سودة؟

فأخبرته خولة بأنها تود ذلك.

فدعتها خولة، فقال لها أبوها: أي نبية، إن هذه تزعم أن محمداً بن عبد الله بن عبد المطلب قد أرسل يخطبك وهو كفء كريم، أتحبين أن أزوجك به؟

قالت سودة: نعم.

(١) «آل بيت النبي» ١/ ١٠٠.

فقال زمعة بن قيس لخولة ادعيه..

وعادت خولة إلى النبي ﷺ وأخبرته بموافقة زمعة وسودة، فانطلق النبي ﷺ إلى بيت زمعة حيث تم العقد والزواج.

وكان أخوه سودة واسمه عبد بن زمعة في الحج وعاد، فلما سمع بزواج اخته من النبي ﷺ حثى[1] التراب على رأسه حزناً وغضباً، فقد كان أحد المشركين الذين يضيقون بالإسلام ويكنون لنبيه العداء..

وأسلم عبد فيما بعد، وكان كلما تذكر ما حدث منه يوم غضب لزواج أخته من النبي ﷺ حزن وندم وقال: إني لسفيه يوم أحثو على رأسي التراب أن تزوج رسول الله ﷺ بسودة بنت زمعة[2].

ولعلنا ندرك من ذلك أن سودة كانت في أسرة مشركة، فأبوها شيخ مقيم على شركه، وأخوها ممن يؤذون المسلمين ويكيدون لهم، وقد كانت في عصمة زوج مسلم هلك عنها، فكيف يكون حالها والشرك محيط بها؟

ومن يدفع عنها أذى أبيها وأخيها وهي الوحيدة بينهم التي تنطق بكلمة الإسلام؟

فكان زواج النبي ﷺ رحمة بها وإنقاذاً لها من براثن الكفر، وتعزية لها عن زوجها المخلص الوفي للإسلام.

وانتقلت سودة إلى بيت النبي ﷺ ولم يخل تزوجها من النبي ﷺ من حديث الناس.

فقد قالوا: أين سودة من خديجة؟ وماذا تصنع هذه المرأة الأرملة وما تغنى؟

ولكنهم غفلوا عن حكمة النبي ﷺ وهل يتزوج النبي لمأرب دنيوي؟

وهل يشغله الشباب والثروة؟

لم يكن زواجه لشيء من ذلك، بل كان لهدف ديني قبل كل شيء..

---

(١) أي عدا ورمى بمعنى هال والقى.

(٢) «البداية والنهاية» لابن كثير ٣/ ١٣٢، «أسد الغابة» ٤/ ٥١٦.

إنه لم ينظر إلى سودة تلك النظرة التي يروضها، ولكنه نظر إليها نظرة ويجبر ولي المؤمنين، يأخذ بأيديهم ليقيلهم من عثراتهم ويجبر كسرهم ويعزيهم عن مصائبهم...

لقد رأى فيها المرأة المؤمنة الصابرة المجاهدة التي أثرت دينها على أهلها ووطنها، فخرجت مع زوجها مهاجرة في سبيل الله... فكيف تترك هذه لتكون في أيدي المشركين المستهزئين بالدين ورسوله؟

ولم تقصر سودة في واجبها في بيت الرسول ﷺ في مكة... فقد قامت على شؤون البيت ومن فيهترعاه بكل أوتيت من جهد، وتسهر على خدمته بنات النبي ﷺ وهذا حسبها.

ومرت الأيام، وهاجر النبي ﷺ إلى المدينة، وفي المدينة بنى النبي ﷺ بزوجته عائشة.

ووهبت سودة ليلتها لعائشة راضية بذلك، وكان ذلك إيثاراً جيلاً منها تحرت به رضا زوجها الكريم ﷺ.

أخلاقها:

كانت ـ رضي الله عنها ـ مثالاً في حسن الخلق وقوة الإيمان وطيب النفس والصداقة... صلت خلف النبي ﷺ ليلة. ولكنها لم تطق ما يطيقه النبي ﷺ من طول قيام وركوع وسجود.

فلما أصبحت قالت له: يا رسول الله صليت خلفك الليلة فركعت بي حتى أمسكت بأنفي مخافة أن يقطر الدم[1].

فتبسم النبي ﷺ من قولها:

ويروي الرواة في صراحتها أنها كانت ترد على عمر بن الخطاب رغم ما

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٨/ ٥٤.

عرف من شدته، فقد قالوا: إن زوجة عمر راجعته فأغلظ بها، فقالت له: ومالي لا أراجعك والنبي ﷺ تراجعه زوجاته؟

فانطلق عمر إلى بيت النبي ﷺ فلقي سودة فسألها: هل تراجعن رسول الله ﷺ؟

فقالت له: ويحك يا ابن الخطاب ـ دخلت في كل شيء حتى بين النبي وأزواجه، فاستحيا عمر وانصرف.

وكان عمر قد رأى سودة قبل نزول الحجاب وقد خرجت مع بعض النساء لقضاء حاجاتها ـ وكانت جسيمة لا تخفى على من يعرفها ـ فقال لها: يا سودة قد عرفناك وفي رواية: أما والله ما تخفين علينا، فانظري كيف تخرجين؟

فانكفأت راجعة... تقول عائشة ـ رضي الله عنها ورسول الله في بيت، وأنه ليتعشى وفي يده عرق فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي، فقال ليعمر كذا وكذا...

قالت: فأوحى الله إليه ونزلت آية الحجاب.

لقد كانت آية الحجاب التي نزلت مما وافق فيه القرآن قول عمر..

وقد استجابت سودة للنداء في قوله ـ تعالى: {وقرن في بيوتكن}، فما خرجت من بيتها حتى وافاها أجلها في آخر خلافة عمر ـ كما يقول البعض، أو في خلافة معاوية سنة أربع وخمسين كما يقول آخرون.

لقد قالت عنها عائشة ـ رضي الله عنها ـ «ما من امرأة أحب إليّ أن أكون في سلافها من سودة بنت زمعة..» وذكرت لها حسن صنيعها معها ـ رضي الله عنه وأرضاها[1].

ذكر هبة سودة يومها لعائشة ملتمسةً بذلك رضا رسول الله عنها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت لما كبرت سودة جعلت يومها رضي الله

(١) «موسوعة آل بيت النبي» ١/١٠٥.

عنها من رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله قالت: يا رسول الله جعلت يومي منك لعائشة فكان رسول الله ﷺ يقسم لعائشة رضي الله عنها يومين ويوم سودة.

ـ ذكر ما وصفت به بطول اليد كناية عن الصدقة رضي الله عنها..

عن عائشة رضي الله عنها قالت اجتمع أزواج النبي ﷺ عنده ذات يوم فقلن يا رسول الله أينا أسرع بك لحوقاً، فقال: "أطولكن يداً" فأخذنا قصبة وذرعناها فكانت بنت زمعة أطولنا قالت فتوفي رسول الله ﷺ وكانت سودة أسرعهن لحاقاً وكانت تحب الصدقة(١).

ـ ذكر شدة اتباعها رضي الله عنها لأمره ﷺ.

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال لنسائه عام حجة الوداع هذه ثم ظهور الحصر قال فكان كلهن يحججن إلا زينب بنت جحش وسودة بنت زمعة فكانتا تقولان في ذلك لا تحركنا دابة بعد أن سمعنا ذلك من رسول الله ﷺ(٢).

(١) أخرجه البخاري ٢/ ١٣٧، والنسائي ٥/ ٦٧ وأحمد ٦/ ١٢١ والبيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ٣٧١ و ٣٧٤، والخطيب ٢/ ١١٢، وابن سعد ٨/ ٧٧.

(٢) «موسوعة آل بيت النبي» ١/ ١٠٥ وما بعدها.

زينب بنت جحش - رض -

هي زينب بنت جحش بن دياب بن يعمر بن صبرة ابن مرّة بن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة وأمها أميّة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصيّ[1].

وزوج الله - تعالى - نبيه ﷺ زينب بنت جحش، لينسخ بزواجها تشريعاً سائداً في الجاهلية، ويضع به تشريعاً جديداً إنسانياً إسلامياً.

فقد كان العرب لا يتزوجون زوجات أولادهم بالتبني لأن المتبني في منزلة الابن الحقيقي تحرم زوجته على أبيه فجاء الإسلام وأعلمهم أن هذه النبوّة المدعاة إسمية لا حقيقة لا يترتب عليها حقوق شرعية كالميراث أو الزواج.

وكانت زينب من المهاجرات السابات إلى المدينة.

تزوجها من زيد:

كان زيد بن حارثة من أحب الناس إلى رسول الله ﷺ وكان يطلق عليه زيد بن محمد. ولهذه التسمية قصة..

---

(١) «ذيل المذيل» (٧٤)، و «الجمع بين رجال الصحيحين» (٦٠٦)، و «صفة الصفوة» (٢/ ٢٤)، و «حلية الأولياء» (٢/ ٥١)، و «السمط الثمين» (١٠٥)، و «الأعلاق النفسية» (١٩٣)، و «الأعلام» (٣/ ٦٦)، و «الطبقات الكبرى» لابن سعد [٤١٣٢].

أما تزويج زيد من زينب بنت جحش..

هذا الذي بلغ من النبي ﷺ هذه المنزلة الذي اختاره الرسول ليكون زوجاً لابنة عمته زينب بنت جحش بعد هجرتها إلى المدينة.

وكأن زينب قد كرهت هذا الزواج، فما زال زيد في نظرها عبداً مملوكاً، وإن كان الإسلام قد محا الفوارق بين الناس، ولم يصبح في عرفه سيد ومسود، بل الكل سواسية كأسنان المشط،وأكرم الناس عند الله أتقاهم.

إذا كيف تتزوج الشريفة القرشية من كان عبداً حتى ولو أعتق؟ لقد قالت زينب للنبي: يا رسول الله لا أرضاه لنفسي... فقال النبي: "ولكن أرضاه لك".

إن الإسلام يريد ألا تكون تعاليمه السماوية محل مناقشة أو موضع جدل أو تردد أو خيار في التطبيق.

ومن أولى بتطبيق ذلك من النبي وأهله وأقربائه؟

فأمر بتزويج زينب وهي ابنة عمته من زيد؟

فلما كرهت وأبت وامتنعت نزل القرآن الكريم زاجراً وموجهاً... قال تعالى:

{وما كان لمؤمن ولا لمؤمنة إذا قضى ا ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص ا ورسوله فقد ضل ضلالاً مبينا} [الأحزاب: ٣٦].

وحين نزلت هذه الآية أسرع أخوها عبد الله بن جحش للنبي ﷺ يقول له: يا رسول الله، مرني بما شئت، كما رضخت زينب لذلك.

وتزوج زيد من زينب..

إن الكفاءة المشروطة في الإسلام ليست بالأحساب والأنساب والأموال وإنما الكفاءة بالأديان والأخلاق.

لقد تزوج المقداد بن الأسود ضباعة بنت الزبير.

زواج زينب من النبي ﷺ

وأذن النبي ﷺ لزيد بن حارثة ـ بعد أن كثرت شكواه وعلم النبي منه أنه لا يمكنه الصبر على هذه الحال ـ أذن له في أن يطلق زوجته..

فطلقها زيد بن حارثة.

وبعد أن أتمت عدتها أمر النبي ﷺ زيداً نفسه أن ينطلق إلى زينب يخطبها عليه.

ولقد اختار النبي ﷺ زيداً بالذات امتحاناً له، واختباراً لإيمانه، حتى يظهر صبره وانقياده وطواعيته لله ورسوله.

ولقد نجح زيد في الامتحان أيما نجاح ـ فتلك المرأة التي كانت زوجة له منذ قريب، يكون هو رسولاً لخطبتها على النبي ﷺ ولو كانت نفس زيد مريضة لوجد ـ أي غضب ـ من هذا الأمر، وحقد على زينب أن زهدت فيه وأقبلت على غيره... ولكن زيداً كان كامل الإيمان.. فقد تلقى هذا الأمر من الرسول بمنتهى الرضا والغبطة، وأداه كما ينبغي أن يؤدي بمنتهى الصدق والإخلاص..

ولقد كرمه الله لذلك تكريماً ما بعده تكريم، ذكر اسمه في القرآن الكريم. يتلوه الناس أطراف الليل وأثناء النهار ويثابون على تلاوته، وكان اسمه هو الأسم الوحيد بين الصحابة الأجلاء على كثرتهم وتفانيهم في حب النبي ﷺ وخدمة الإسلام ـ الذي ذكر في القرآن الكريم {فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها}.

لقد كان ذكره هذا تعويضاً له عما لحقه من ألم أصابه في أثناء عشرتها له وهي تتعالى عليه أو تمنّ عليه بأنها قبلت الزواج منه لأن الرسول ﷺ أراد ذلك فقط.

ولكن زيداً كان عند الله عظيماً.. لأن قيمته في إيمانه ويقينه لا بحسبه وماله.

أما زينب.. فقد استقبلت هذا الزواج بسعادة غارمة، فقد سجدت لله شكراً حين بلغها هذا الخبر، ونذرت أن تصوم لله شهرين.

وفاتها:

ومرضت زينب، وحانت وفاتها، فأرسل لها عمر بن الخطاب بخمسة أثواب تخيرها ثوباً ثوباً، فكشفت فيها وتصدقت عنها أختها حمنة بكفنها الذي كانت قد أعدته لتكفف فيه.

ورثتها عائشة ـ رضي الله عنها ـ بقولها: ذهبت من كانت ترعى اليتامى والأرامل.

وصلّ عليها عمر بن الخطاب، وسار يتقدم مشيعيها إلى البقيع، وأمر منادياً ينادي أن أخرجوا على أمكم، ووقف على القبر في اليوم الحار حتى حفر ودفنت وكان قد صنع لها نعش غشي بثوب أعجب به عمر.. وكان اليوم حار فأمر عمر بن الخطاب بضرب فسطاط فوق القبر.. فكان أول فسطاط فوق قبرها[(١)].

وكان النبي قد تزوجها سنة خمسة من الهجرة لهلال ذي القعدة وكانت بنت خمس وثلاثين سنة[(٢)].

رضي الله عنها وأرضاها.

---

(١) «الطبقات الكبرى لابن سعد (٨/ ٧٧).

(٢) «آل بيت النبي» (١/ ١٩٩).

زينب بنت خزيمة - رض

-

هي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، وهي أم المساكين كانت تسمى بذلك في الجاهلية[1].

تزوج النبي ﷺ من زينب بنت خزيمة بعد زواجه من حفصة بوقت قصير.

وكان زواجه منها لهدف إنساني نبيل، راعى فيه مشاعر هذهِ المرأة المسكينة التي أصبحت لا عائل لها بعد فقدها زوجها عبدالله بن جحش شهيداً في غزوة أحد..

على أن هناك اختلافاً حول زوجها وحول مدة حياتها في بيت النبي ﷺ وإن لم يكن هناك خلاف حول وفاتها في حياة الرسول ﷺ

وكانت زينب بنت خزيمة تلقب بأم المساكين، لكثرة برها بهم وعطفها على الفقراء وكرمها.

(١) «تاريخ الخميس» (٤٦٣/١)، و «الأعلام» (٦٦/٣)، و «الطبقات الكبرى» لابن سعد [٤١٣٣].

زوجها السابق..

وقد ذكر معظم الرواة أن زوجها السابق هو عبد الله بن جحش، وهو الذي يقال له«المجدَّع» ذلك أنهُ التقي هو وسعد بن ابي وقاص عشية أحُد. فقال عبد الله لسعد: ألا تأتي ندعو الله؟

فخليا في ناحية، فدعا سعد فقال: اللهم إذا لقيت العدو غداً، فلقّني رجلاً شديداً بأسمه، شديداً غضبه ـ فأقتله فيك وآخذ سلبه. فأمّن عبد الله ابن جحش.

ثم قال عبد الله بن جحش: اللهم ارزقني غداً رجلاً شديداً بأسمه، شديداً بغضبه، أقاتله ويقاتلنى فإذا قتلنى يأخذ فيجدع أنفى وأذني، فإذا لقيتك قلت: يا عبد الله، فيم جُدِع أنفك وأذناك؟ فأقول: فيك وفي رسول الله. فيقول: صدقت.

قال سعد: كانت دعوة عبدالله خيراً من دعوتي، فلقدرأيته آخر النهار وان أنفهُ وأذنيه معلقان في خيط.

وكان عبدالله بن جحش من السابقين إلى الإسلام، أسلم قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم، وهاجر الهجرتين إلى أرضت الحبشة ثم عاد وهاجر إلى المدينة، وأمره رسول الله ﷺ على سريه وهو أول أمير امّره، وقد غنم اول غنيمة غنمها المسلمون، وخمّس النبي الغنيمة وقسم الباقي، فكان أول خُمس في الإسلام.

ثم شهد بدراً وقتل يوم أحد.

وفي معركة أحد قبل أن يقتل انكسر سيفه فأعطاه النبي ﷺ عرجون نخلة فانقلب في يده سيفاً، فكان يسمى العرجون، ولم يزل يتناول من رجل إلى رجل حتى بيع من بغا التركي بمائتي دينار.

وكان الذي قتله يوم أحد ابو الحكم بن الأخنس بن شريق وكان عمره حين قتل نيفا وأربعين سنة، ودفن هو وخاله حمزة في قبر واحد، صلى رسول الله

ﷺ عليهما[1].

وقد شعر النبي ﷺ بحاجة هذهِ المرأة إلى الرعاية بعد فقد زوجها ـ فتزوجها ﷺ رعاية لها، وحدياً عليها إشفاقاً على أبنائها وتعويضاً عن فقد زوجها في ميدان الجهاد، وكان زواجه بها في سنة ثلاث من الهجرة[2].

وذكر الدكتور ـ أحمد الحوفي ـ أنها كانت زوجة للطفيل بن الحارث الذي استشهد يوم بدر أو زوجته لعبد الله بن جحش الذي استشهد يومْ أحد. .

وقوله أنها كانت زوجة للطفيل الذي استشهد يوم بدر فيه شك كبير، لأن الطفيل لم يستشهد يوم بدر، ولكن الذي استشهد يوم بدر هو أخوه عبيدة بن الحارث، أما الطفيل فقد عاش إلى سنة احدى وثلاثين أو اثنتين وثلاثين كما يذكر ابن الأثير في ترجمة لهُ[3].

من الذي زوّجها؟

قال ابن سعد: خطب رسول الله ﷺ زينب بنت خزيمة الهلالية أم المساكين، فجعلت أمرها إليه، فتزوجها رسول الله ﷺ وأشهد، أصدقها اثنتي عشرة أوقية ونشًا.

وقد بنى لها حجرة إلى جانب الحجرات الثلاث: حجرة عائشة وحجرة سودة وحجرة صفصة.

وأصبحت زينب رابعة زوجات الرسول وأمهات المؤمنين.

وقيل: إن الذي زوجها من النبي ﷺ عمها قبيصة بن عمرو الهلالي، وأصدقها ﷺ أربعمائة درهم.

وأختلف في المدة التي بقيتها زينب في بيت النبي ﷺ فمن قائل إنها ثمانية

---

(١) «أسد الغابة» (٣/ ١٩٤).
(٢) «لماذا عدد النبي زوجاته» د. أحمد الحوفي (ص ٣٤).
(٣) «أسد الغابة» (٤/ ٧٦).

أشهر. تزوجت في رمضان وتوفيت في ربيع الآخر على رأس تسعة وثلاثين شهراً من الهجرة[1].

ومن قائل: لم تلبث عند رسول الله ﷺ إلا يسيراً ـ شهرين أو ثلاثة[2].

ومن قائل: إنها لبثت سنة أو سنتين[3].

على أي حال فإن النبي ﷺ قد ضمنها إلى نسائه رعاية لها وشفقة عليها، ولم تقض في بيت الرسول إلا فترة قصيرة لحقت بعدها بربها.

وشيعها النبي ﷺ إلى البقيع وصلى عليها ودفنتها.

وكان لها إخوة ثلاثة نزلوا في حفرتها.

وقد خلط بعض الرواة بين زينب بنت خزيمة وزينب بنت جحش، فذكروا في ترجمة زينب بنت خزيمة قول النبي ﷺ «أسرعكن لحوقاً بي أطولكن يداً».

فكانت نساء النبي يتذارعن أيتهن أطول يداً فلما توفيت زينب علمن أنها كانت أطولهن يداً في الخير.

ومعروف ان هذا مجانب للصواب، لإن زينب بنت خزيمة ماتت في حياة الرسول ﷺ والنبي ﷺ يقول في حديثه: اسرعكن لحوقاً بي... » يعني أن التي تسرع باللحاق به بعد موته هي أطولهن يداً...

فالمقصود إذن بالحديث غيرها[4]..

وفي ذكر وفاة زينب رضي الله عنها.

توفيت في ربيع الآخر سنة أربع ودفنت بالبقيع كذلك ذكر الفضائلي وانما يكون على ما حكله ابو عمر فلا يصح أن يكون وفاتها في ربيع الآخر[5].

---

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٨٢).
(٢) «أسد الغابة» (٧/ ١٢٩).
(٣) «حياة محمد» د. هيكل (ص ٢٨٨).
(٤) «آل بيت النبي» (١/ ١٥٩).
(٥) «السمط الثمين» ص ٩٣.

ميمونة بنت الحارث - رض -

هي ميمونة بنت الحارث بن حزت بن بجير بن الهزم ابن روبية بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة.

وأمها هند بنت عوف بن زهير بن الحارث بن صماطة بن جرش، ويقال ابن جريش[1].

وتعد ميمونة بنت الحارث آخر زوجة يتزوجها النبي ﷺ فقد تزوجها في عمر القضاء سنة سبعة من الهجرة.

أما عمرة القضاء خلها قصة تستوجب التسجيل والذكر: في السنة السادسة للهجرة أراد النبي ﷺ أن يعتمر وصحبة في هذه الرحلة عدد كثير من المسلمين وفي الحريبية وقف المشركين في طريقهم يصدونهم عن البيت الحرام.

---

(١) «ذيل المذيل» (٧٧)، و «السمط الثمين» (١١٣)، و «أسد الغابة» (٥/ ٥٥٠) و «الإصابة ترجمة» (١٠٢٦)، و «المحبر» (٩١)، و «مسالك الأبصار» (١/ ١٢١)، و «النويري (نهاية الأرب) (١٨/ ١٨٨ : ١٩٠)، و «الأعلام» (٧/ ٣٤٢)، و «الطبقات الكبرى» لابن سعد [٤١٣٧].

وتحفر المسلمون للقتال ـ على الرغم من ان رحلتهم لم تكن إلا بهدف العمرة فقط ـ وبايعوا النبي ﷺ بيعة الرضوان، التي قال القرآن في شأنها:
{لقد رضي ا عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحا قريبا} [الفتح: ١٨]..

اما قصة زواجه من ميمونة:

فهي ميمون بنت الحارث من بني عامر بن صعصة وهي أخت لبابة زوجة العباس بن عبد المطلب.

وأمها هند بنت عوف الكنانية... وهي أكرم الناس اصهاراً ـ ذلك لأن رسول الله ﷺ تزوج ابنتها ميمونة، والعباس بن عبد المطلب تزوج بنتها لبابه الكبرى، والوليد بن المغيرة تزوج بنتها ـ لبابة الصغرى وهي أم خالد بن الوليد.

وكانت ميمونة قد تزوجت مسعود بن عمر بن عمير الثقفي ثم فارقها.

ويذكر بعض الرواة ان ميمونة بنت الحارث هي التي وهبت نفسها للنبي.

وفي المدينة انضمت ميمونة إلى اخواتها أمهات المؤمنين، وكانت تشعر بالرضا والسعادة أن من الله عليها بهذه النعمة الوفيرة فجعلها زوجة لخير مبعوث.

وكانت ميمونة صالحة تقية ورعة.

وفاتها:

لم يؤثران ميمونة شاركت في الأحداث التى حدث في المجتمع الإسلامي، ولكنها لزمت بيتها، لا تخرج منهُ إلا لعمرة أو حج.

وذكر انها توفيت سنة إحدى وخمسين للهجرة..

ونذكر إلى جانب ما ذكرناه من تقوى ميمونة وإيمانها وورعها فهي شاركت في معركة تبوك تجاهد في سبيل الله وتواسي المرضى والجرحى(١).

(١) «زوجات النبي الطاهرات» ص ٧٢، «الطبقات الكبرى» لابن سعد ٨/ ١٠٠، «البداية والنهاية» ٦/ ٢٢٥.

جويرية بنت الحارث ـ رضي ـ

هي جويرية بنت الحارث بن ابي ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة بن المصطلق من خزاعة [1].

هي التي قالت عنها أم المؤمنين عائشة ـ: «ما اعلم امرأة أعظم بركة منها على قومها».

فقد اعتقتهم من الأسر، وحررتهم من الذل، وجعلتهم انصار وأحباباً بعد أن كانوا خصوماً وأعداء. . . . وكان ذلك بعض أهداف زواج النبي ﷺ منها.

كانت زوجة لمسافع بن صفوان ـ الملقب بذي الشفر ـ بن سرج بن مالك بن جذيمة فقتل عنها يوم المريسيع.

أما يوم المريسيع فهو يوم غزوة بنى المصطلق وقصته كما يقول برهان الدين

(1) «الإصابة» (١/ ٢٦٥)، «صفة الصفوة» (٢/ ٢٦)، و «الجمع بين رجال الصحيحين» (٦٠٣)، و «السمط الثمين» (١١٦)، و «الذيل المذيل» (٧٥)، و «الأعلام» (٢/ ١٤٨)، و «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٤١٣٤).

الحلبي في السيرة الحلبية كما يلي:

هذهِ الغزوة هي غزوة بني المصطلق» ويقال لها: غزوة محارب، ويقال لها: غزوة الأعاجيب.

وسببها أن النبي ﷺ بلغه ان الحارث بن ضرار سيد بني المصطلق جمع لحرب النبي ﷺ من قدر عليه من قومه ومن العرب.

فأرسل النبي ﷺ أحد أصحابه وهو بريدة بن الحصيب ـ ليعلم له خبر ذلك.

واستأذن بريدة النبي ﷺ ان يقول ما يتخلص به من شرهم، وإن كان خلاف الواقع... فأذن لهُ الرسول ﷺ..

ونهاية القصة...

وصول المسلمين إلى المريسيع وتهيأ المسلمين للقتال وكان راية المهاجرين مع ابي بكر والأنصار مع سعد بن عبادة. وانتهت بانتصار الإسلام على الكفر ومناصريه. حيث قتل في بداية المعركة أو الغزوة عشرة وأسرهم واستاق المسلمون إبلهم وشياههم، وكانت برّة بنت الحارث سيد بني المصطلق في السبى:

رؤيا جويرة:

وذكرت جويرة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قبل قدوم النبي ﷺ بثلاثة ايام رأيت كأن القمر يسير من يثرب حتى وقع حجرى

قالت: فكرهت أن أخبر بها أحد من الناس فلما أسرنا رجوت الرؤيا..

ولقد تحققت رؤياها فعلاً.

جويرية في بيت الزوجية:

وأصبحت جويرية في بيت الزوجية، وبنيت لها حجرة بجوار الحُجرات،

وسارت الحياة بها مع أخواتها أمهات المؤمنين.

وكانت جويرية بنت الحارث تجهد كثيراً في العبادة، ولعلها كانت تريد بذلك أن تعوض ما فات من عمرها وهي على غير الدين الذي أنزلهُ الله.

قبل ان تلحقها بركة الإسلام والتزوج برسول الله ﷺ.

ولعلها كانت تبتغي من ذلك أن ترضى رسول الله ﷺ باجتهادها في العبادة.

وكان النبي ﷺ - يرى منها ذلك فيعجبه، ولكن يوجهها إلى الأفضل.

روى عبد الله بن عمر وقال: دخل رسول الله ﷺ على جويرية بنت الحارث يوم جمعة وهي صائمة. فقال لها:

«أصمت أمس»؟

قالت: لا

قال: «أفتريدين الصوم غداً؟»

قالت: لا

قال: «فأفطري إذاً[1].»

لقد وجهها النبي ﷺ إلى أن أفراد يوم الجمعة بالصيام لا يجوز، لأنهُ يوم عيد المسلمين.

وكانت جويرية تستجيب لما يأمرها به رسول الله ﷺ.

وفاتها:

عاشت جويرية - رضي الله عنها - إلى أيام معاوية، ولم يعرف عنها أنها

(١) أخرجه البخاري ٣/ ٥٤، وأبو داود (٢٤٢٢)، وأحمد ٢/ ١٨٩ و ٦/ ٣٢٤ و ٤٣٠، وعبد الرزاق (٧٨٠٤) والمنذري في «الترغيب» ٦/ ٣٢٠، وابن أبي شيبة ٣/ ٤٤، وعبد بن حميد في «المنتخب» (١٥٥٧)، والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ٢/ ٧٨، والزبيدي في «الاتحاف» ٤/ ٢٥٩.

شاركت في الأحداث التي ظهرت أيام عثمان ـ رضي الله عنهُ ـ أو بعده. لقد التزمت بمضمون الآية الكريمة «وقرن في بيوتكن».

وتوفيت ـ كما يقول ابن سعد ـ عام ستة وخمسين من الهجرة في شهر ربيع الأول[١].

(١) «آل بيت النبي» (١/ ٢٠٧)، و «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٨٥).

صفية بنت حُيي - رض -

هي صفية بنت حُييّ بن أخطب بن سعية بن عامر بن عبيد بن كعب بن الخزرج بن أبي حبيب بن هارون بن النحّام بن ينحوم من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران، ﷺ وأمها برّة بنت سموأل أخت رفاعة بن سموأل من بني قريظة إخوة النضير، وكانت صفيّة تزوجها سلاّم بن مشكم القرظي ثم فارقها فتزوجها كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق النضري فقتل عنها يوم خيبر(1).

حياتها قبل الإسلام:

عرفنا أن أباها هو صبي بن أخطب ـ اما أمها فهي برة بنت سموأل، وهي من بني إسرائيل من سبط لاولى بن يعقوب.

وقد تزوجت كنانة بن ابي الحقيق. . وقتل كنانة في خيبر، وكان سبب قتله انهُ بعد ان فتحت حصون خيبر، أتى النبي ـ ﷺ بكنانة وأخيه الربيع فقال لهما: اين كنوزكما؟ فأنكرا معرفتهما بمكانها. وقالا: أذهبتها النفقات والحروب.

(1) «الإصابة ترجمة» (٦٤٧)، و «صفة الصفوة» (٢/ ٢٧)، و «حلية الأولياء» (٢/ ٥٤)، و «ذيل المذيل» (٧٦)، و «السمط الثمين» (١١٨)، و «الجمع بين رجال الصحيحين» (٦٠٨)، و «الدر المنثور» (٢٦٣)، و «الأعلام».

فقال ﷺ: العهد قريب والمال أكثر من ذلك.

ذلك أن حُييّ بن أخطب حين أجلى مع بني النضير من المدينة، حمل معه الذهب والحلي وجعله في مسك ـ أي جلد ـ وقال: هذا ما أعددته لرفع الأرض وخفضها.

فقال النبي ﷺ: إنكما إن أنكرتما شيئاً فاطلعت عليه حكمتم على أنفسكم بالقتل.

فقالاً: نعم.

فأخبره الله تعالى بموضع المال.

. . . إلى نهاية القصة. . .

إسلامها:

اسلمت صفية يوم خيبر. . . ذلك بعدما أن فتحت خيبر على يد المسلمين. . وكانت صفية ضمن الأسرى. وكانت عند أم سليم.

زواجها:

كان مهر صفية عتقها. . وعندما عاد النبي إلى المدينة أنزلها في بيت من بيوت حارثة بن النعمان، وتسامعت نساء الأنصار بها فأقبلت إليها مرحبات بها، وناظرات إليها، وزائرت لها.

بعد الرسول:

لزمت صفية بيتها بعد النبي ﷺ قانعة بما يفيئه الله عليها من العطاء ـ تعبد الله وتذكره. ولكنها في أيام حصار عثمان لم يرضها ان يحيط الثائرون ببيته يمنعون عنهُ الطعام والشراب، فخرجت في محاولة جريئة للدفاع عنهُ.

وفاتها:

توفيت سنة اثنتين وخمسين، في خلافة معاوية ودفنت بالبقيع. . وكان سنها عندها تسعاً وستين سنة. رضي الله عنها[1].

(١) «الطبقات الكبرى» لابن سعد (٨/ ٩٢).

غير المشهورات من نساء النبي ﷺ

وقد ذكر أنه ﷺ تزوج نسوة غير من تقدم ذكره وجملتهن اثنتا عشرة امرأة:

الأولى:

الواهبة نفسها للنبي ﷺ، واختلف من هي، فقيل: أم شريك القرشية العامرية غزية بنت داود بن عوف.. وقيل: بنت جابر بن عوف من بني عامر بن لؤى، وكان ذلك بمكة، وكانت قبلهُ تحت أبى العكر بن سمى بن الحرث الازدى. فولدت له شريكاً... وقيل: كانت تحت الطفيل بن الحارث فولدت له شريكاً.. والأول أصح. وطلقها النبي ﷺ واختلف في دخوله بها.. وقيل: هي أم شريك غزية الأنصارية من بني النجار قال أبو عمر: والصواب غزيلة، وقد عدها أحمد بن صالح البصرى في أزواج النبي ﷺ هذا ما ذكره أبو عمر ما خلا الطلاق فحكاه الفضائلى الرازي. وقال صاحب الصفوة: هي أم شريك غزية بنت جابر الدوسية. قال: والإكثرون على أنها هي التي وهبت نفسها للنبي ﷺ ورضي عنها فلم يقبلها فلم تتزوج حتى ماتت.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وقع في قلب أم شريك الاسلام فأسلمت وهي بمكة، وكانت تحت أبي العكر الدوسى. ثم جعلت تدخل على نساء قريش سراً وتدعوهن للاسلام حتى ظهر أمرها لأهل مكة فأخذوها وقالوا: لولا قومك لفعلنا بك ولفعلنا لكنا سنردك إليهم. قالت: فحملوني على بعير ليس تحتى شيء، ثم تركوني ثلاثاً لا يطعمونني ولا يسقونني وكانوا إذا أنزلوا منزلاً أو ثقوني بالشمس وضربوا هم أخبيتهم واستظلوا هم منها وحبسوا عني الطعام والشراب، فبينما هم قد نزلوا منزلاً وأوثقوني في الشمس، إذ أنا وجدت برد شيء على صدرى فتناولته فإذا هو دلو من ماء فشربت منه قليلاً ثم نزع مني فرفع ثم عاد فتناولته فشربت منه ثم رفع ثم عاد، فتناولته ثم رفع مراراً ثم ترك فشربت حتى رويت ثم أفضت سائره على جسدي وثيابي فلما استيقظوا إذا أثر الماء ورأوني حسنة الهيئة فقالوا: تحللت فأخذت سقانا فشربت منه، قلت: لا والله ولكنه من الأمر كذا وكذا. فقالوا: لئن كنت صادقة لدينك خير من ديننا فلما نظروا إلى إسقيتهم وجدوها كما تركوها فأسلموا عند ذلك فأقبلت إلى النبي ﷺ فوهبت نفسها بغير مهر فقبلها ودخل عليها خرجه من الصفوة.

وذكر ابن قتيبة من المعارف عن أبي اليقظان: أنَّ الواهبة نفسها خولة بنت حكيم السلمى، ويجوز أن يكون وهبتا أنفسهما من غير تضاد.

وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبيﷺ. فقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: «رسول الله ما أرى ربك إلاّ يسارع لك في هواك» أخرجاه.

وهذه خولة زوجة عثمان بن مظعون ويجوز أن يكون وقع ذلك منها قبل عثمان وكذلك حكاه الفضائلي الرازي، قالت: فلما أرجاها النبي ﷺ تزوجها عثمان، ويجوز أن يكون وقع ذلك منها بعد وفاته.

وعن عامر بن الفضل، عن حماد بن زيد، عن يحي بن سعيد قال: هاجرت

أم شريك الدوسية فصبحت يهودياً في الطريق فأمست صائمة فقال اليهودى لامرأته: لئن سقيتها لأفعلن، فباتت كذلك حتى إذا كان في آخر الليل اذا على صدرها دلو موضوع وصفن ـ والصفن مثل الجراب أو المزود ـ فشربت..

الثانية:

خولة بنت الهذيل بن هبيرة بن قبيصة بن الحارث، تزوجها رسول الله ﷺ فيما ذكر الجرجاني النسابة وهلكت في الطريق قبل وصولها اليه. ذكره أبو عمر وأو سعيد.

الثالثة:

عمرة بنت يزيد بن عبيدة بن الجون الكلابية، وقيل: عمرة بنت يزيد بن عبيدة بن أوس بن كلاب الكلابية قال أبو عمر: وهذا أصح، تزوجها رسول الله ﷺ فتعوذت منه حين أدخلت عليه فقال لها:

«لقد عذت بمعاذ، الحقى بأهلك»[1]..

فطلقها وأمر أسامة ابن زيد فمتعها بثلاثة أثواب، قال أبو عمر: وهكذا روى عن عائشة رضي الله عنها. وقال قتادة: كان ذلك في امرأة من السليم، وقال أبو عبيدة إنما كان ذلك لأسماء بنت النعمان بن الجون وهكذا ذكره ابن قتيبة، وقال في عمرة هذه: أن أباها وصفها للنبي ﷺ ثم قال: وأزيدك أنها لم تمرض قط، فقال رسول ﷺ:

(١) أخرجه البخاري قال: حدثنا الحميدي، حدثنا الوليد حدثنا الأوزاعي، قال: سألت الزهري: أي أزواج النبي ﷺ استعاذت منه؟ قال: أخبرني عروة، عن عائشة رضي الله عنها أن ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال لها: «لقد عذت بعظيم، الحقي بأهلك» (٥٢٥٤)، والنسائي ٦/ ١٥٠، والبيهقي في «السنن» ٧/ ٣٩ والحاكم ٤/ ٣٥، والبيهقي في «دلائل النبوة» ٧/ ٢٨٧، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٨/ ١٠١، والسيوطي في «الخصائص الكبرى» ٢/ ٢٣٧، وابن كثير في «البداية والنهاية» ٥/ ٢٩٦ و ٢٩٧، والحافظ في «الفتح» ٩/ ٤٤٦، والخطيب في «تاريخ بغداد» ٢/ ٨٢، والهندي في «الكنز» (٣٧٣٩١) و (٣٧٨٢٢)، والطبري في «السمط الثمين» ص ١٠٦.

«ما لهذه عند الله من خير» ثم طلقها[١]. . .

قال الحافظ في «الفتح»[٢]: والصحيح أن اسمها أميمة بنت النعمان ابن شراحيل كما في حديث أبى أسيد. وقال مرة: أميمة بنت شراحيل فنسبت لجدها، فقد أخرج البخارى عن أبى أُسيد رضي الله عنه قال: خرجنا مع النبي ﷺ حتى انطلقنا إلى حائط يقال له الشوط حتى انتهينا إلى حائطين جلسنا بينهما، فقال النبي ﷺ: «اجلسوا هاهنا» ودخل وقد أُتي بالجونية. فأنزلتْ في بيتٍ في نخلٍ في بيت أُميمة بنت النعمان بن شراحيل، ومعها دايتُها حاضنةٌ لها، فلما دخل عليها النبيﷺ قال: «هبى نفسك لي» قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسُّوقة؟ قال: فأهوى بيده يضع يده عليها لتسكن فقالت: أعوذ بالله منك. فقال: «قد عذت بمعاذ» ثم خرج علينا فقال: «يا أبا أُسيد، اكسُها رازقيينِ، وألحقها بأهلها»[٣].

وقال الحسين بن الوليد النيسابورى عن عبد الرحمن عن عباس بن سهل عن أبيه وأبى أُسيدٍ قالا: تزوج النبي ﷺ أميمة بنت شراحيل، فلما أُدخلت عليه بسط يده إليها، فكأنها كرهت ذلك، فأمر أبا أسيد أن يجهزها ويكسوها ثوبين رازقيين[٤].

قال الحافظ في «الفتح»: وروى ابن سعد عن الواقدي عن ابن أخي الزهري عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: «تزوج النبي ﷺ الكلابية» فذكر مثل حديث البخاري عنها أنَّ ابنة الجون لما أدخلت على رسول الله ﷺ ودنا منها قالت: أعوذ بالله منك، فقال لها: «لقد عذت بعظيم، الحقي

---

(١) أخرجه الربيع بن حبيب في «مسنده» ٢/ ٣٥، والطبري في «السمط الثمين» ص ١٠٧.

(٢) انظر «فتح الباري» ٩/ ٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٢٥٥) و (٥٢٥٧)، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/ ٢٦٤، وابن الجارود في «المنتقى» (٧٥٨)، وابن ماجه (٢٠٣٧)، والبيهقي في «السنن» ٧/ ٣٩، وأحمد ٣/ ٤٩٨، والطبراني في «الكبير» ١٩/ ٢٦٢، وابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٨/ ١٠٤، والهيثمي في «المجمع» ٤/ ٣٣٩ وابن كثير في «البداية والنهاية» ٥/ ٢٩٧.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٢٥٦) و (٥٦٣٧).

بأهلك» وقوله: الكلابية غلط وإنما هي الكندية فكأنما الكلمة تصفحت. نعم للكلابية قصة أخرى ذكرها ابن سعد أيضاً بهذا السند إلى الزهري وقال: اسمها فاطمة بنت الضحاك بن سفيان، فاستعاذت منه فطلقها، فكانت تلقط البعر وتقول: أنا الشقية. قال: وتوفيت سنة ستين.

ومن طريق عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنَّ الكندية لما وقع التخيير اختارت قومها ففارقها، فكانت تقول: أنا الشقية.

ومن طريق سعيد بن أبي هند أنها استعاذت منه فأعاذها.

ومن طريق الكلبي اسمها العالية بنت ظبيان بن عمرو...

وحكى ابن سعد أيضاً أن اسمها عُمرة بنت يزيد بن عبيد... وقيل: بنت يزيد بن الجون. وأشار ابن سعد إلى أنها واحدة اختلف في اسمها، والصحيح أن التي استعاذت منه هي الجونية. وروى ابن سعد من طريق سعيد بن عبد الرحمن بن أبزي قال: لم تستعذ منه امرأة غيرها.

قال الحافظ: وهو الذي يغلب على الظن، لأن ذلك إنما وقع للمستعيذة بالخديعة المذكورة فيبعد أن تخدع أخرى بعدها بمثل ما خدعت به بعد شيوع الخبر بذلك.

قال ابن عبد البر: أجمعوا على أن النبي ﷺ تزوج الجونية، واختلفوا في سبب فراقه فقال قتادة: لما دخل عليها دعاها فقالت: تعال أنت، فطلقها. وقيل: كان بها وضح كالعامرية. قال: وزعم بعضهم أنها قالت: أعوذ بالله منك فقال: «قد عذت بمعاذ، وقد أعاذك الله مني» فطلقها. قال: وهذا باطل إنما قال له هذا، امرأة من بني العنبر وكانت جميلة فخاف نساؤه أن تغلبهن عليه فقلن لها: إنه يعجبه أن يقال له: نعوذ بالله منك، ففعلت، فطلقها، كذا قال.

وفي رواية لابن سعد عن أبي أسيد قال: تزوج رسول الله ﷺ امرأة من بني الجون فأمرني أن آتيه بها فأتيته بها فأنزلتها بالشوط - من وراء ذباب في أطم - ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فخرج يمشي ونحن معه - وذباب جبل معروف

بالمدينة، والأطم الحصون ـ.

وفي رواية لابن سعد أن النعمان بن الجون الكندي أتى النبي ﷺ مسلماً فقال: ألا أزوجك أجمل أيم في الغرب؟ فتزوجها وبعث معه أبا أسيد الساعدي، قال أبو أسيد: فأنزلتها في بني ساعدة فدخل عليها نساء الحي فرحين بها وخرجن فذكرن من جمالها. فأنزلت في بيت في نخل في بيت أميمة بنت النعمان بن شراحيل..

وفي رواية للبخاري: تزوج رسول الله ﷺ أميمة بنت شراحيل.. ولعل التي نزلت في بيتها بنت أخيها..

وجزم هشام بن الكلبي بأنها أسماء بنت النعمان بن شراحيل بن الأسود بن الجون الكندية، وكذا جزم بتسميتها أسماء، محمد بن إسحاق ومحمد بن حبيب وغيرهما، فلعل اسمها أسماء ولقبها أميمة.

ووقع في «المغازي» رواية يونس بن بكير عن ابن إسحاق: أسماء بنت كعب الجونية. فلعل في نسبها من اسمه كعب نسبها إليه، وقيل: هي أسماء بنت الأسود بن الحارث بن النعمان.

قوله: «هبي نفسك لي» قالت: وهل تهب الملكة نفسها للسوقة؟ والسوقة يقال للواحد من الرعية والجمع، قيل لهم ذلك لأن الملك يسوقهم فيساقون إليه ويصرفهم على مراده. قال ابن المنير: هذا من بقية ما كان فيها من الجاهلية، والسوقة عندهم من ليس بملك كائناً من كان، فكأنها استبعدت أن يتزوج الملكة من ليس بملك، ولم يؤاخذها النبي ﷺ بكلامها معذرة لها لقرب عهدها بجاهليتها.

وقال غيره: يحتمل أنها لم تعرفه ﷺ فخاطبته بذلك..

ومن طريق أبي حازم عن سهل بن سعد قال: ذكر النبي ﷺ امرأة من العرب، فأمر أبا أسيد الساعدي أن يرسل إليها فقدمت، فنزلت في أجم بني ساعدة، فخرج النبي ﷺ حتى جاء بها فدخل عليها فإذا امرأة منكسة رأسها،

فلما كلمها قالت: أعوذ بالله منك، قال: «لقد أعذتك مني» فقالوا لها: أتدرين من هذا؟ هذا رسول الله ﷺ جاء ليخطبك، قالت: كنت أنا أشقى من ذلك.

قال الحافظ: إن كانت القصة واحدة فلا يكون قوله من حديث البخاري «ألحقها بأهلها» ولا قوله في حديث عائشة: «الحقي بأهلك» تطليقاً، ويتعين أنها لم تعرفه. وإن كانت القصة متعددة ولا مانع من ذلك فلعل هذه المرأة هي الكلابية التي وقع فيها الاضطراب.

وقد ذكر ابن سعد بسند فيه العزرمي الضعيف عن ابن عمر قال: «كان في نساء النبي ﷺ سنا بنت سفيان بن عوف بن كعب بن أبي بكر بن كلاب، قال: وكان النبي ﷺ بعث أبا أسيد الساعدي يخطب عليه امرأة من بني عامر يقال لها: عمرة بنت يزيد بن عبيد بن رؤاس ابن كلاب بن ربيعة بن عامر، قال ابن سعد: اختلف علينا اسم الكلابية فقيل: فاطمة بنت الضحاك بن سفيان... وقيل: عمرة بنت يزيد بن عبيد.. وقيل: سنا بنت سفيان بن عوف... وقيل: العالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف... فقال بعضهم: هي واحدة اختلف في اسمها.. وقال بعضهم: بل كن جمعاً ولكن لكل واحدة منهن قصة غير قصة صاحبها. ثم ترجم الجونية فقال: أسماء بنت النعمان. ثم أخرج من طريق عبد الواحد بن أبي عون قال: قدم النعمان بن أبي الجون الكندي على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ألا أزوجك أجمل أيم في العرب، وكانت تحت ابن عم لها فتوفى وقد رغبت فيك؟ قال: «نعم» قال: فابعث من يحملها إليك. فبعث معه أبا أسيد الساعدي. قال أبو أسيد: فأقمت ثلاثة أيام ثم تحملت معي في محفة فأقبلت بها حتى قدمت المدينة فأنزلتها في بني ساعدة، ووجهت إلى رسول الله ﷺ وهو في بني عمرو بن عوف فأخبرته.. الحديث. قال ابن أبي عون: وكان ذلك في ربيع الأول سنة تسع. ثم أخرج من طريق أخرى عن عمر بن الحكم عن أبي أسيد قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى الجونية

فحملتها حتى نزلت بها في أطم بني ساعدة، ثم جئت رسول الله ﷺ فأخبرته، فخرج يمشي على رجليه حتى جاءها.. الحديث. ومن طريق سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى قال: اسم الجونية أسماء بنت النعمان بن أبي الجون، قيل لها: استعيذي منه فإنه أحظى لك عنده. وخدعت لما رؤي من جمالها، وذكر لرسول الله ﷺ مَنْ حَمَلها على ما قالت فقال: «إنهن صواحب يوسف وكيدهن».. فهذه تتنزل قصتها على حديث أبي حازم عن سهل بن سعد.. وأما القصة التي في حديث البخاري والتي صدر بها الباب من رواية عائشة فيمكن أن تتنزل على هذه أيضاً فإنه ليس فيها إلاّ الاستعاذة، والقصة التي في حديث أبي أسيد فيها أشياء مغايرة لهذه القصة، فيقوى التعدد، ويقوى أن التي في حديث أبي أسيد إسمها أميمة، والتي في حديث سهل اسمها أسماء والله أعلم.

وأميمة كان قد عقد عليها ثم فارقها وهذه لم يعقد عليها بل جاء ليخطبها فقط.

قوله في الحديث: «فأهوى بيده» أي أمالها إليها.. ووقع في رواية ابن سعد: «فأهوى إليها ليقبلها، وكان إذا اختلى النساء أقعى» وفي رواية لابن سعد: «فدخل عليها داخل من النساء وكانت من أجمل النساء فقالت: إنك من الملوك، فإن كنت تريدين أن تحظى عند رسول الله ﷺ فإذا جاءك فاستعيذي منه. ووقع عنده عن هشام بن محمد عن عبد الرحمن ابن الغسيل بإسناد حديث البخاري الذي تصدر به الباب أن عائشة وحفصة دخلتا عليها أول ما قدمت فمشطتاها، وقالت لها إحداهما: إن النبي ﷺ يعجبه من المرأة إذا دخل عليها أن تقول: أعوذ بالله منك.

فقال: «قد عذت بمعاذ» وفي رواية ابن سعد «فقال بكمه على وجهه وقال: عذت معاذاً ـ ثلاث مرات» وفي أخرى له فقال: «أَمِنَ عائذ الله».

ثم خرج علينا فقال: «يا أبا أسيد اكسها رازقيين» والرازقية ثياب من كتان بيض طوال يكون في داخل بياضها زرقة، والرازقي الصفيق.

قال ابن التين: متعها بذلك إما وجوباً وإما تفضلاً.

وقوله: «وألحقها بأهلها» قال ابن بطال: ليس في هذه أنه واجهها بالطلاق، وتعقبه ابن المنير بأن ذلك ثبت في حديث عائشة أول أحاديث الباب، فيحمل على أنه قال لها: الحقي بأهلك، ثم لما خرج إلى أبي أسيد قال له: ألحقها بأهلها، فلا منافاة، فالأول قصد به الطلاق، والثاني أراد به حقيقة اللفظ وهو أن يعيدها إلى أهلها، لأن أبا أسيد هو الذي كان أحضرها كما في الحديث. ووقع في رواية لابن سعد عن أبي أسيد قال: فأمرني فرددتها إلى قومها. وفي أخرى له: فلما وصلتُ بها تصايحوا وقالوا: إنك لغير مباركة، فما دهاك؟ قالت: خُدِعْتُ. قال: فتوفيت في خلافة عثمان. قال: وحدثني هشام بن محمد عن أبي خيثمة زهير بن معاوية أنها ماتت كمداً.

ثم روى بسند للكلبي أن المهاجر بن أبي أمية تزوجها، فأراد عمر معاقبتها فقالت: ما ضرب عليَّ الحجاب، ولا سميت أم المؤمنين. فكف عنها.

وعن الواقدي: سمعت من يقول: إن عكرمة بن أبي جهل خلف عليها، قال: وليس ذلك بثبت. ولعل ابن بطال أراد أنه لم يواجهها بلفظ الطلاق. وقد أخرج ابن سعد من طريق هشام بن عروة عن أبيه أن الوليد بن عبد الملك كتب إليه يسأله، فكتب إليه: ما تزوج النبي ﷺ كندية إلاّ أخت بني الجون فملكها. فلما قدمت المدينة نظر إليها فطلقها ولم يبن بها. فقوله: فطلقها يحتمل أن يكون باللفظ المذكور قبل ويحتمل أن يكون واجهها بلفظ الطلاق، ولعل هذا هو السر في إيراد الترجمة بلفظ الاستفهام دون بث الحكم.

واعترض بعضهم بأنه لم يتزوجها إذ لم يجر ذكر صورة العقد، وامتنعت أن تهب له نفسها فكيف يطلقها؟ والجواب أنه ﷺ كان له أن يزوج من نفسه بغير إذن المرأة وبغير إذن وليها، فكان مجرد إرساله إليها وإحضارها ورغبته فيها كافياً في ذلك، ويكون قوله: «هبي لي نفسك» تطييباً لخاطرها واستمالة لقلبها، ويؤيده قوله في رواية لابن سعد: أنه اتفق مع أبيها على مقدار صداقها، وأن

أباها قال له: إنها رغبت فيك وخطبت إليك.

الرابعة:

أسماء بنت النعمان بن الجون بن شراحيل، وقيل: بنت النعمان بن الأسود بن الحارث بن شراحيل من كدة: أجمعوا أن رسول الله ﷺ تزوجها، واختلفوا في قصة فراقها، فقال قتادة وأبو عبيدة أنه لما دعاها قالت له: تعال أنت، وأبت أن تجيء. وقال بعضهم: قالت: أعوذ بالله منك. قال: قد عذت بمعاذ وقد أعاذك الله مني.

وقيل: المتعوذة امرأة غيرها، قال أبو عبيدة: ويجوز أن يكونا تعوذتا منه. وقال آخرون: كان بأسماء وضح فقال لها: الحقي بأهلك. قال ابن شهاب: فارق رسول الله ﷺ أخت بن الجون من أجل بياض كان بها، قال أبو عمر: والخلاف في الكندية كثيراً جداً، وقد قيل في اسمها أميمة ولم يذكر ابن قتيبة غيره، وقيل أمامة، والوجهان حكاهما أبو عمر.

الخامسة:

مليكة الليثية، قال أبو سعد: ولما دخل عليها قال لها: هبي نفسك ـ القصة المتقدمة آنفاً إلى آخرها عن ابن قتيبة ـ وحكاها أبو سعد في هذه، والأصح أنها تعوذت من النبي ﷺ ففارقها قبل أن يدخل بها. وقيل: دخل بها وماتت عنده، حكاه الفضائلي. ـ من طبقات ابن سعد ـ عن محمد بن عمر عن أبي معشر قال: تزوج النبي ﷺ مليكة بنت كعب وكانت تذكر بجمال بارع، فدخلت عليها عائشة رضي الله عنها فقالت: أما تستحي أن تنكحي قاتل أبيك؟ فاستعاذت من رسول الله ﷺ فطلقها، فجاء قومها إلى النبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنها صغيرة، وإنها لا رأي لها، وإنها خدعت فارتجعها فأبى رسول الله ﷺ فاستأذنونه أن يزوجوها قريباً لها من بني عذرة فأذن لهم فتزوجها العذري وكان أبوها قتل يوم فتح مكة قتله خالد بن الوليد بالخندمة.

السادسة:

فاطمة بنت الضحاك بن سفيان الكلابي تزوجها بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها ﷺ، فكانت بعد ذلك تلقط البعر وتقول هي الشقية اختارت الدنيا هكذا رواه ابن اسحاق. قال أبو عمرو: هذا عندنا غير صحيح، لأن ابن شهاب يروي عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ حين خير أزواجه بدأ بها فاختارت الله ورسوله، وتابع أزواج النبي ﷺ على ذلك رضى الله عنهن.

وقال قتادة وعكرمة رضي الله عنهما: كان عنده ﷺ عند التخيير تسع نسوة، وهن اللاتي توفي عنهن.

وقيل: أن الضحاك بن سفيان عرض على رسول الله ﷺ ابنته وقال: إنها لم تصدع قط. فقال رسول الله ﷺ: «لا حاجة لي بها».

وقيل: إنه تزوجها سنة ثمان والله أعلم. ذكر ذلك كله أبو عمر وأبو سعد وبعضه عن ابن قتيبة.

السابعة:

غالية بنت ظبيان بن عمرو بن عوف الكلابية، تزوجها رسول الله ﷺ، وكانت عنده ما شاء الله ثم طلقها، وقلَّ من ذكرها، ذكر ذلك أبو عمر وقال أبو سعيد: طلقها حين أدخلت عليه.

الثامنة:

قتُيلة بنت قيس، أخت الأشعث بن قيس بن معدي كرب بن معاوية بن جبلة بن عدي بن ربعية بن معاوية الأكرمين ابن الحارث بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتّع بن كندة. تزوجها رسول الله ﷺ في سنة عشر، وقبض رسول الله ﷺ في سنة إحدى عشرة قبل قدومها من بلدها حضرموت وقبل دخوله بها. وقيل: تزوجها قبل وفاته بشهرين، وقال قائلون: إن رسول

الله ﷺ أوصى أن تخير، فإن شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين، وإن شاءت الفراق فلتنكح ما تشاء فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت فبلغ ذلك أبا بكر رضي الله عنه فقال: هممت أن أحرق عليها بيتها، فقال له عمر رضي الله عنه: ما هن من أمهات المؤمنين ما دخل بها رسول الله ﷺ ولا ضرب عليها الحجاب.

وقال بعضهم: لم يوص فيها رسول الله ﷺ بشيء ولكنها ارتدت حين ارتد أخوها، روى ابن سعد عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: لما استعاذت أسماء بنت النعمان من النبي ﷺ، خرج والغضب يُعرف في وجهه، فقال له الأشعث بن قيس: لا يسؤك الله يا رسول الله، ألا أزوجك من ليس دونها من الجمال والحسب؟ قال: «من؟» قال: أختي قُتيلة. قال: «قد تزوجتها» قال: فانصرف الأشعث إلى حضرموت ثم حملها حتى فصل من اليمن بلغه وفاة النبي ﷺ، فردّها إلى بلاده وارتد وارتدت معه فيمن ارتد، فلذلك تزوجت لفساد النكاح بالارتداد، وكان تزوجها قيس بن مكشوح المرادي.

وقال ابن سعد: أخبرنا المعلى بن أسد عن وهيب عن داود بن أبي هند أن النبي ﷺ توفي وقد ملك امرأة من كندة يقال لها قُتيلة فارتدت مع قومها فتزوجها بعد ذلك عكرمة بن أبي جهل... اهـ.

قال الطبري: ولم تلد لعكرمة.

التاسعة:

سبا ويقال: سنا بنت الصلت بن حبيب بن الحارثة بن هلال ابن حرام بن سماك بن عوف السلمي، تزوجها رسول الله ﷺ ومات قبل أن يدخل بها، وقال ابن اسحاق: طلقها قبل أن يدخل بها، حكاهما أبو عمر، ولم يحك أبو سعيد غير الأول.

قال ابن سعد: أخبرنا هشام بن محمد، حدثنا عبيد الله بن الوليد الوصّافي عن عبد الله بن عبيد بن عمير الليثي قال: جاء رجل من بني سُليم إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إنَّ لي ابنة من جمالها وعقلها ما إني لأحسد الناس عليها غيرك. فهمّ النبي ﷺ أن يتزوجها ثم قال: وأُخرى يا رسول الله لا والله ما أصابها عندي مرض قط. فقال له النبي ﷺ: «لا حاجة لنا من ابنتك تجيئنا تحمل خطاياها، لا خير في مال لا يرزأ منه، وجسد لا ينال منه». اهـ.

العاشرة:

شرافة ويقال: شَراف بنت خليفة بن فروة أخت دحية بن خليفة الكلبي. قال ابن سعد: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب قال: حدثنا الشرقي بن القطامي قال: لما هلكت خولة بنت الهذيل تزوج رسول الله ﷺ شَراف بنت خليفة أخت دحية ولم يدخل بها.

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني الثوري، عن جابر، عن عبد الرحمن ابن سابط قال: خطب رسول الله ﷺ امرأة من كلب فبعث عائشة تنظر إليها، فذهبت ثم رجعت، فقال لها رسول الله ﷺ «ما رأيت»؟ فقالت: ما رأيت طائلاً. فقال لها رسول الله ﷺ: «لقد رأيت طائلاً، لقد رأيت خالاً بخدّها اقشعرت كل شعرة منك» فقالت: يا رسول الله ما دونك سر.

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني الثوري، عن جابر، عن مجاهد قال: كان رسول الله ﷺ، إذا خطب فَرُدَّ لم يعد، فخطب امرأة فقالت: استأمر أبي، فلقيت أباها فأذن لها، فلقيت رسول الله فقالت له! فقال رسول الله ﷺ: «لقد التحفنا لحافاً غيرك».

الحادية عشر:

ليلى بنت حكيم الأنصارية الأوسية.. ويقال: ليلى بنت الخطيم وهي أُخت قيس بن الخطيم بن عدي بن عمرو بن سواد بن ظفر بن الحارث بن

الخزرج بن عمرو، وهو النبيت بن مالك بن الأوس، التي وهبت نفسها إلى النبي ﷺ ذكرها أحمد بن صالح المصري في أزواج النبي ﷺ قال أبو عمر: ولم يذكر غيرها فيما علمت، وقال أبو سعيد والفضائلي: ليلى بنت خطيم الأنصارية أخت قيس تزوجها رسول الله ﷺ فكانت غيورة فاستقالته فأقالها فأكلها الذئب.

قال ابن سعد: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: أقبلت ليلى بنت الخطيم إلى النبي ﷺ، وهو مولّي ظهره الشمس فضربت على منكبه فقال: «من هذا أكله الأسد»؟ وكان كثيراً ما يقولها، فقالت: أنا ابنة مطعم الطير ومباري الريح، أنا ليلى بنت الخطيم جئتك لأعرض عليك نفسي تزوّجني. قال: «قد فعلت». فرجعت إلى قومها فقالت: قد تزوجني النبي ﷺ، فقالوا: بئس ما صنعت! أنت امرأة غَيْرى والنبي صاحب نساء تغارين عليه فيدعو الله عليك فاستقيله نفسك. فرجعت فقالت: يا رسول الله أقلني. قال: «قد أقلتك». قال: فتزوجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر فولدت له، فبينا هي في حائط من حيطان المدينة تغتسل إذ وثب عليها ذئب لقول النبي ﷺ فأكل بعضها فأُدركت فماتت.

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني محمد بن صالح بن دينار عن عاصم بن عمر بن قتادة قال: كانت ليلى بنت الخطيم وهبت نفسها للنبي ﷺ، فقبلها، وكانت تركب بعولتها ركوباً منكراً، وكانت سيئة الخلق فقالت: لا والله لأجعلنّ محمداً لا يتزوج في هذا الحي من الأنصار. والله لآتينه ولأهبن نفسي له. فأتت النبي ﷺ وهو قائم مع رجل من أصحابه، فما راعه إلاّ بها واضعة يدها عليه، فقال: «من هذا أكله الأسد» فقالت: أنا ليلى بنت سيد قومها قد وهبت نفسي لك. قال: «قد قبلتك ارجعي حتى يأتيك أمري» فأتت قومها فقالوا: أنت امرأة ليس لك صبر على الضرائر، وقد أحل الله لرسوله ﷺ أن ينكح ما يشاء. فرجعت فقالت: إنّ الله قد أحل لك النساء وأنا امرأة طويلة

اللسان ولا صبر لي على الضرائر، واستقالته، فقال رسول الله ﷺ: «قد أقلتك».

الثانية عشر:

امرأة من غفار، تزوجها رسول الله ﷺ فرأى بكشحها بياضاً فقال: «الحقي بأهلك» ولم يأخذ مما آتاها شيئاً[(١)].

وقد قال ابن سعد: هي أم هانيء بنت أبي طالب بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي، واسمها فاختة. وكان هشام بن الكلبي يقول: اسمها هند. وفاختة عندنا أكثر، وأمّها فاطمة بنت أسد بن هشام بن عبد مناف بن قصي[(٢)].

قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: خطب النبي ﷺ إلى أبي طالب ابنته أم هانيء في الجاهلية، وخطبها هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فتزوجها هبيرة فقال النبي ﷺ: «يا عم زوجت هبيرة وتركتني»؟ فقال: يا ابن أخي إنا قد صاهرنا إليهم والكريم يكافىء الكريم. ثم أسلمت ففرّق الإسلام بينها وبين هبيرة فخطبها رسول الله ﷺ، إلى نفسها فقالت: والله إن كنت لأحبك في الجاهلية فكيف في الإسلام؟ ولكني امرأة مصيبة وأكره أن يؤذوك. فقال رسول الله ﷺ: «خير نساء ركبن المطايا نساء قريش، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على زوج في ذات يده»[(٣)].

---

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٢٠، وابن كثير في «البداية» ٥/ ٣٠٠، والبيهقي في «السنن» ٧/ ٣٩ و ٣٤٢، والحاكم في «المستدرك» ٤/ ٣٤ و ٣٥، والدارقطني ٤/ ٢٩، والطحاوي في «مشكل الآثار» ١/ ٦٣ و ٢٦٧.

(٢) انظر ترجمتها في «الإصابة» (١١٠٢) و (١٥٣٢)، وفي «الاستيعاب» ٤/ ٤٧٩، وفي «أعلام النساء» ٣/ ١١٢٢، وفي «الأعلام» ٥/ ١٢٦.

(٣) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٢٠.

وقال ابن سعد: أخبرنا عبد الله بن نمير، حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن عامر قال: خطب رسول الله ﷺ أم هانيء فقالت: يا رسول الله لأنت أحبّ إليّ من سمعي وبصري، وحق الزوج عظيم فأخشى إن أقبلت على زوجي أن أضيّع بعض شأني وولدي، وإن أقبلت على ولدي أن أضيّع حق الزوج. فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ خير نساء ركبن الإبل نساء قريش، أحناه على ولد في صغره وأرعاه على بعلٍ في ذات يده»[1].

وقال ابن سعد: أخبرنا الفضل بن دُكين، حدثنا عبد السلام بن حرب الملائي، حدثنا إسماعيل بن عبد الرحمن قال: أخبرنا أبو صالح، أو قال سمعت أبا صالح مولى أم هانيء قال: خطب رسول الله ﷺ أم هانيء بنت أبي طالب فقالت: يا رسول الله إني موتمة وبنيّ صغار. قال: فلما أدرك بنوها عرضت نفسها عليه فقال: «أما الآن فلا» لأن الله أنزل عليه:
{يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن} إلى قوله: {اللاتي هاجرن معك} [الأحزاب: ٥٠].

ولم تكن من المهاجرات. وقال غيره: فولدت لهبيرة بن أبي وهب جعدة وعمراً ويوسف وهانئاً بني هبيرة[2].

فهؤلاء جملة من ذكر من أزواج النبي ﷺ وفارقهن في حياته بعضهن قبل الدخول وبعضهن بعده على ما قررنا فيكون جملة من عقد عليهن ثلاثاً وعشرين امرأة دخل ببعضهن دون بعض، مات عنده منهن بعد الدخول: خديجة بنت

---

(١) أخرجه مختصراً البخاري (٥٠٨٢) و (٥٣٦٥)، ومسلم (فضائل الصحابة) ب ٤٩ رقم ٢٠٠ و ٢٠٢، وأحمد ٢/ ٢٦٩ و ٢٧٥ و ٣١٩ و ٣٩٣ و ٤٤٩ و ٥٠٢، والحميدي (١٠٤٧)، والهيثمي في «المجمع» ٤/ ٢٧١ وابن سعد ٨/ ١٢٠ واللفظ له، وابن كثير في «البداية» ٢/ ٦٠ و ٥/ ٣٠١ والبيهقي في «السنن» ٧/ ٢٩٣، والطبراني في «الكبير» ١٩/ ٣٤٣، وعبد الرزاق (٢٠٦٠٣) و (٢٠٦٠٤)، والتبريزي في «مشكاة المصابيح» (٣٠٨٤)، وابن أبي عاصم ٢/ ٦٣٩ و ٦٤٠، والبغوي في «شرح السنة» ١٤/ ١٦٧، وابن كثير في «التفسير» ٢/ ٣٢، والطبري في «التفسير» ٣/ ١٨٠، وابن عساكر (١/ ٣١٣)، والسيوطي في «الدر المنثور» ٢/ ٢٣، والهندي في «الكنز» (٣٤٤١٩)، والشيخ في «الصحيحة» (١٠٥٢)، والبزار ٢/ ١٥٥.
(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٨/ ١١٢ ـ ١٢٧ والطبري في «السمط الثمين» ص ١٠٥ ـ ١١٤.

خويلد بنت خزيمة رضي الله عنها. ومات منهن قبل الدخول اثنتان: أخت دحية وبنت الهذيل باتفاق. واختلف في مليكة وسناهل ماتتا أو طلقهما مع الاتفاق على أنه لم يدخل بهما. وفارق بعد الدخول بالاتفاق: بنت الضحاك وبنت ظبيان وقتيلة باتفاق وعمرة وأسماء والغفارية. واختلف في أم شريك هل دخل بها مع الاتفاق على الفرقة. والمستقيلة جهل حالها فالمفارقات باتفاق سبع واثنتان على خلف والميتات باتفاق أربع ومات ﷺ عن عشرة واحدة لم يدخل بها، وقد روى أنه ﷺ خطب عدة نسوة منهن امرأة من بني مرة بن عوف بن سعد بن دينار وقال أبو اليقظان: خطبها رسول الله ﷺ إلى أبيها فقال: «إن بها برصاً وهو كاذب فرجع فوجد بها برصاً. ويقال: إن ابنها سلت بن البرصا بن الحارث بن عوف المري ذكره ابن قتيبة وأخرى قرشية يقال لها: سودة خطبها رسول الله ﷺ وهي مصبية فقالت: أخاف أن تضغو صبيتي عند رأسك فدعا لها وتركها[1].

(١) «السمط الثمين» للطبري ص ١١١ ـ ١١٢.

سراري النبي ﷺ إذ هن من حلائله

سراريه ﷺ إذ هن من حلائله، قال أبو عبيدة: كان له أربع سراري، مارية القبطية، وريحانة، وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش رضي الله عنها، وأخرى أصابها في السبي.

فأما مارية القبطية بنت شمعون فأهداها له المقوقس القبطي صاحب الاسكندرية ومصر.. قال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر قال: حدثني يعقوب بن محمد بن أبي صعصعة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة قال: بعث المقوقس صاحب الاسكندرية إلى رسول الله ﷺ في سنة سبع من الهجرة بمارية وبأختها سيرين وألف مثقال ذهباً وعشرين ثوباً ليناً وبغلته الدلدل وحماره عفير، ويقال يعفور، ومعهم خصيّ يقال له: مابور شيخ كبير كان أخا مارية، وبعث بذلك كله مع حاطب بن أبي بلتعة، فعرض حاطب بن أبي بلتعة على مارية الإسلام ورغّبها فيه فأسلمت وأسلمت أختها وأقام الخصيّ على دينه حتى أسلم بالمدينة بعدُ من عهد رسول الله، وكان رسول الله معجباً بأم إبراهيم، وكانت بيضاء جميلة، فأنزلها رسول الله ﷺ في العالية في المال الذي

يقال له اليوم: مشربة أم إبراهيم. وكان رسول الله ﷺ يختلف إليها هناك وضرب عليها الحجاب، وكان يطأها بملك اليمين. فلما حملت وضعت هناك وقبلتها سلمى مولاة رسول الله فجاء أبو رافع زوج سلمى فبشّر رسول الله ﷺ بإبراهيم فوهب له عبداً، وذلك في ذي الحجة سنة ثمانٍ. وتنافست الأنصار في إبراهيم وأحبّوا أن يفرّغوا مارية للنبي ﷺ لما يعلمون من هواه فيها.

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني موسى بن محمد بن عبد الرحمن ابن حارثة بن النعمان عن أبيه عن عمرة عن عائشة قالت: ما غرت على امرأة إلاّ دون ما غرت على مارية، وذلك أنها كانت جميلة من النساء جعدة، وأُعجب بها رسول الله ﷺ وكان أنزلها أول ما قُدم بها في بيت لحارثة بن النعمان فكانت جارتنا فكان رسول الله ﷺ عامة النهار والليل عندها حتى فرغنا لها فجزعت فحوّلها إلى العالية فكان يختلف إليها هناك، فكان ذلك أشدّ علينا. ثم رزق الله منها الولد وحرمنا منه.

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا محمد بن عبد الله بن مسلم عن الزهري عن أنس بن مالك قال: كانت أم إبراهيم سرّيّة النبي ﷺ في مشربتها.

وقال ابن سعد: أخبرنا محمد بن عمر قال: أخبرنا مالك بن أنس عن زيد بن أسلم أن النبي ﷺ حرّم أم إبراهيم فقال: «هي عليَّ حرام» وقال: «والله لا أقربها» قال: فنزلت: {قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم} [التحريم: ٢][(١)]..

وقال: قال محمد بن عمر، قال مالك بن أنس: فالحرام حلال في الإماء، إذا قال الرجل لجاريته أنت عليّ حرام فليس بشيء، وإذ قال: والله لا أقربك فعليه الكفارة.

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني أبو حاتم عن جويبر عن الضحاك أن

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٧١، والسيوطي في «الدر المنثور» ٦/ ٢٤٠.

رسول الله ﷺ حرّم جاريته فأبى الله ذلك عليه فردّها عليه وكفّر يمينه.

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا معمر عن قتادة قال: حرّمها تحريماً فكانت يميناً.

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا الثوري، عن داود بن أبي هند عن الشعبي عن مسروق قال: آلى رسول الله ﷺ من أمته وحرّمها فأنزل الله في الإيلاء: {قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم} [التحريم: ٢]. وأنزل الله: {يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك...} [التحريم: ١] الآية. فالحرام حلال، يعني في الإماء.

وقال: أخبرا محمد بن عمر، حدثني معمر ومحمد بن عبد الله عن الزهري عن ابن كعب عن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «استوصوا بالقبط خيراً فإنَّ لهم ذمّة ورحماً»(١).

قال: ورحمهم أن أم إسماعيل بن إبراهيم منهم، وأم إبراهيم ابن النبي ﷺ منهم.

وقال بسنده إلى ابن عباس أنه قال: لما ولدت أم إبراهيم قال رسول الله ﷺ: «أعتقها ولدها»(٢).

وقال بسنده إلى ابن عباس أيضاً عن النبي ﷺ: «أيما أمة ولدت من سيدها فإنها حرّة إذا مات إلاّ أن يعتقها قبل موته»(٣).

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا أسامة بن زيد عن المنذر بن عبيد عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أمه، وكانت أخت مارية يقال لها: سيرين فوهبها النبي ﷺ لحسان فولدت له عبد الرحمن، قالت: رأيت النبي

---

(١) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١٩/ ٦١، وابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٧٢، والهندي في «الكنز» (٣٤٠١٩) و (١٤٣٠٤).

(٢) أخرجه الزيلعي في «نصب الراية» ٣/ ٢٨٧، وابن عبد البر في «التمهيد» ٣/ ١٣٨ وابن كثير في «البداية» ٥/ ٣٠٤، وابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٧٣، وابن القيسراني في «تذكرة الموضوعات» ٦٣٠.

(٣) أخرجه الطبراني في «الكبير» ١١/ ٢٠٩، والدارقطني ٤/ ١٣٢، وابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٧٣، والهندي في «الكنز» (٢٩٦٥٤)، والسيوطي في «جمع الجوامع» (٩٥٠٨).

ﷺ لما حُضر إبراهيم وأنا أصيح وأُختي ما ينهانا، فلما مات نهانا عن الصياح وغسّله الفضل بن عباس ورسول الله ﷺ جالس، ثم رأيته على شفير القبر ومعه العباس إلى جنبه، ونزل في حفرته الفضل وأُسامة بن زيد وكسفت الشمس يومئذ فقال الناس: لموت إبراهيم. فقال رسول الله ﷺ: «إنها لا تكسف لموت أحد ولا لحياته».

ورأى رسول الله ﷺ فرجة في اللّبن فأمر بها تسدّ فقيل للنبي ﷺ فقال: «أما إنها لا تضرّ ولا تنفع ولكنها تقرّ عين الحي، وإنَّ العبد إذا عمل عملاً أحب الله أن يتقنه»(1).

وقال بسنده عن عطاء قال: أُمرت أم ولد النبي ﷺ مارية أن تعتدّ ثلاث حيض.

وقال بسنده عن محمد بن إبراهيم قال: كان أبو بكر ينفق على مارية حتى توفي، ثم كان عمر ينفق عليها حتى توفيت في خلافته.

وقال: قال محمد بن عمر: توفيت مارية أم إبراهيم ابن رسول الله ﷺ في

---

(١) أخرج الشطر الأول من الحديث وبلفظ: «إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته» البخاري ٢/ ٤٢ و ٤٤ و ٤٦ و ٤٨ و ٤٩ و ٤/ ١٣١ و ١٣٢ و ٧/ ٤٠ و ١٨٢، ومسلم (الكسوف) ١ و ٣ و ١٧ و ٢١ و ٢٩، والنسائي ٣/ ١٢٤ و ١٢٦ و ١٢٧ و ١٣٠ و ١٣١ و ١٣٢ و ١٣٨ و ١٤١ و ١٤٦ و ١٥٢ و ١٥٣، وأبو داود (الكسوف) ب ١ و ٢ و ١٥ وابن ماجه (١٢٦١) و (١٢٦٢)، وأحمد ١/ ٢٩٨ و ٣٥٨ و ٢/ ١١٨ و ١٥٩ و ١٨٨ و ٣/ ٣١٨ و ٣٤٩ و ٤/ ٢٤٥ و ٢٩٨ و ٥/ ٣٧ و ٦٠ و ٤٢٨ و ٦/ ٣٥٤ والبيهقي في «السنن» ٣/ ٣٢٠ و ٣٢١ و ٣٢٥ و ٣٢٦ و ٣٣٣ و ٣٣٤ و ٣٣٧ و ٣٣٨ و ٣٤٠ و ٣٤١، والحاكم ١/ ٣٣٤، والطبراني في «الكبير» ١/ ٣٤٣ و ١٧/ ٢١٠ و ٢١١ و ٢٩٢، ومالك في «الموطأ» ١/ ١٨٦ و ١٨٧، والهيثمي في «المجمع» ٢/ ٢٠٧ و ٢٠٨، وابن الجارود في «المنتقى» (٢٤٨) و (٢٥٠)، وابن خزيمة (١٣٧٢) و (١٣٧٤) و (١٣٧٧) و (١٣٨٧)، وعبد الرزاق (٤٩٢٥)، والساعاتي في «بدائع المنن» (٥٠٨) و (٥١١) و (٥١٢)، وابن كثير ٥/ ٨٩، والخطيب ٦/ ٢٦، والتبريزي في «المشكاة» (١٤٨٢) و (١٤٨٣)، والدارقطني ٢/ ٦٥، والهيثمي في «موارد الظمآن» (٥٩٤) و (٥٩٥)، والحافظ في «المطالب العالية» (٦٥٧)، والبغوي في «شرح السنة» ٤/ ٣٦٢، وابن أبي شيبة ٢/ ٤٦٧ و ٤٧١، وابن كثير في «البداية» ١/ ٣٦ و ٥/ ٣١١ والحميدي (٤٥٥)، و «مسند أبي حنيفة» (٦٥)، والترمذي في «الشمائل» (١٦٧) والطحاوي في «شرح معاني الآثار» ١/ ٣٣١ و ٣٢٨ و ٣٣٠ و ٣٣٢، والشافعي (٧٨) وأخرجه كاملاً ابن سعد في «الطبقات الكبرى» ٨/ ١٧٣.

المحرم سنة ست عشرة من الهجرة فرؤي عمر بن الخطاب يحشر الناس لشهودها وصلى عليها وقبرها بالبقيع(١).

وأما ريحانة: فهي ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة بن سمعون بن زيد من بني النضير. وكانت متزوجة رجلاً من بني قريظة يقال له الحكم فنسبها بعض الرواة إلى بني قريظة لذلك(٢).

قال ابن سعد(٣): أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عبد الله بن جعفر عن يزيد بن الهاد عن ثعلبة بن أبي مالك قال: كانت ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة من بني النضير متزوجة رجلاً منهم يقال له الحكم، فلما وقع السبي على بني قريظة سباها رسول الله ﷺ فأعتقها وتزوجها وماتت عنده.

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا عاصم بن عبد الله بن الحكم عن عمر بن الحكم قال: أعتق رسول الله ﷺ ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خنافة، وكانت عند زوج لها محب لها مكرم، فقالت: لا استخلف بعده أبداً، وكانت ذات جمال، فلما سُبيت بنو قريظة عُرض السبي على رسول الله فكنت فيمن عرض عليه فأمر بي فعزلت، وكان يكون له صفيّ من كل غنيمة، فلما عزلت خار الله لي فأرسل بي إلى منزل أم المنذر بنت قيس أياماً حتى قتل الأسرى وفرّق السبي، ثم دخل عليّ رسول الله فتحييت منه حياءً فدعاني فأجلسني بين يديه فقال: «إن اخترت الله ورسوله اختارك رسول الله لنفسه». فقلت: إني أختار الله ورسوله، فلما أسلمت أعتقني رسول الله وتزوجني وأصدقني اثنتي عشرة أوقية ونشاً كما كان يصدق نساءه، وأعرس بي في بيت أم المنذر، وكان يقسم لي كما كان يقسم لنسائه، وضرب عليّ الحجاب، وكان رسول الله معجباً بها،

---

(١) «السمط الثمين» للطبري ص ١١٥، و «المحبر» ٧٦، و «ذيل المذيل» (٩) و (٨٠)، و «أسد الغابة» ٥/ ٥٤٣، و «الإصابة» ترجمة (٩٨٤) و «الأعلام» ٥/ ٢٥٥، وابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٧٠ ـ ١٧٤.

(٢) وقد ذكرها الطبري في «السمط الثمين» قال: ريحانة ابنة شمعون بن زيد من بني قريظة وقيل: من بني النضير والأول أظهر وماتت قبل وفاة النبي ﷺ مرجعه من حجة الوداع سنة عشر ودفنت بالبقيع وكان ﷺ سباها ووطئها بملك اليمين وقبل عتقها وتزوجها.

(٣) «الطبقات الكبرى» ٨/ ١٠٢.

وكانت لا تسأله إلاّ أعطاها ذلك، ولقد قيل لها: لو كنت سألت رسول الله ﷺ بني قريظة لأعتقهم، وكانت تقول: لم يخلُ بي حتى فرّق السبي. ولقد كان يخلو بها ويستكثر منها، فلم تزل عنده حتى ماتت مرجعه من حجة الوداع فدفنها بالبقيع، وكان تزويجه إياها في المحرم سنة ست من الهجرة.

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني صالح بن جعفر عن محمد بن كعب قال: كانت ريحانة مما أفاء الله عليه فكانت امرأة جميلة وسيمة، فلما قتل زوجها وقعت في السبي فكانت صفيّ رسول الله ﷺ يوم بني قريظة، فخيرها رسول الله ﷺ بين الإسلام وبين دينها فاختارت الإسلام فأعتقها رسول الله وتزوجها وضرب عليها الحجاب، فغارت عليه غيرة شديدة فطلقها تطليقة وهي في موضعها لم تبرح فشق عليها وأكثرت البكاء فدخل عليها رسول الله ﷺ وهي على تلك الحال فراجعها، فكانت عنده حتى ماتت عنده قبل أن توفيّ ﷺ.

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثنا بكر بن عبد الله النصري عن حسين بن عبد الرحمن عن أبي سعيد بن وهب عن أبيه قال: كان ريحانة من بني النضير وكانت متزوجة من بني قريظة رجلاً يقال له حكيم فأعتقها رسول الله ﷺ وتزوجها، وكانت من نسائه يقسم لها كما يقسم لنسائه، وضرب رسول الله عليها الحجاب.

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني ابن أبي ذئب عن الزهري قال: كانت ريحانة بنت زيد بن عمرو بن خناقة قرظية، وكانت من ملك رسول الله ﷺ بيمينه فأعتقها وتزوّجها ثم طلقها، فكانت في أهلها تقول: لا يراني أحد بعد رسول الله.

قال: وقال محمد بن عمر: في هذا الحديث وهل من وجهين: هي نضرية وتوفيت عند رسول الله ﷺ، وهذا ما رُوي لنا في عتقها وتزويجها وهو أثبت الأقاويل عندنا وهو الأمر عند أهل العلم، وقد سمعت من يروي أنها كانت عند رسول الله لم يعتقها وكان يطأها بملك اليمين حتى ماتت.

وقال: أخبرنا عبد الملك بن سليمان، عن أيوب بن عبد الرحمن بن أبي صعصعة عن أيوب بن بشير المعاوي قال: لما سبيت قريظة أرسل رسول الله ﷺ بريحانة إلى بيت سلمى بنت قيس أم المنذر فكانت عندها حتى حاضت حيضة ثم طهرت من حيضتها، فجاءت أم المنذر فأخبرت رسول الله فجاءها رسول الله في بيت أم المنذر فقال لها رسول الله: «إن أحببت أن أعتقك وأتزوجك فعلت وإن أحببت أن تكوني في ملكي» فقالت: يا رسول الله أكون في ملكك أخفّ عليّ وعليك. فكانت في ملك رسول الله ﷺ يطأها حتى ماتت[1].

وقال: أخبرنا محمد بن عمر، حدثني عمر بن سلمة عن أبي بكر بن عبد الله ابن أبي جهم قال: لما سبى رسول الله ﷺ ريحانة عرض عليها الإسلام فأبت وقالت: أنا على دين قومي. فقال رسول الله ﷺ: «إن أسلمت اختارك رسول الله لنفسه» فأبت فشق ذلك على رسول الله ﷺ، فبينا رسول الله ﷺ جالس في أصحابه إذ سمع خفق نعلين فقال: «هذا ابن سعية يبشرني بإسلام ريحانة» فجاءه فأخبره أنها قد أسلمت. فكان رسول الله ﷺ يطأها بالملك حتى توفي عنها[2].

وأما المسبية والموهوبة فذكرهما صاحب الصفوة والفضائلي ولم يذكر من أخبارهما شيئاً والله أعلم[3].

(١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٠٤، وابن كثير في «البداية» ٥/ ٣٠٥، وابن عساكر ١/ ٣١٢.
(٢) «إمتاع الأسماع» ١/ ٢٤٩، و «الإصابة» ٨/ ٨٧، و «الأعلام» ٣/ ٣٨، وابن سعد في «الطبقات» ٨/ ١٠٢.
(٣) الطبري في «السمط الثمين»

الفهرس

الاهداء ٥

المقدمة ٦

تنبيه ٨

في العقيدة ١٠

في الاسلام ٢١

في الاحسان ٣٠

طهارة القلب ٣٣

الحيض و النفاس ٣٩

الصلاة ٤٣

كيفية الصلاة ٥١

الزكاة ٦١

الصيام ٦٦

الحج والعمرة ٧٣

المرأة المسلمة و واجباتها ٧٩

آداب المرأة المسلمة ٨٣

خلق المرأة المسلمة ٨٦
خصائص المرأة المسلمة ٩٠
بين المرأة و لرجل ٩٦
المرأة و حقوقها العامة ٩٩
حق المرأة على زوجها ١٠٣
مطالب الكمال المسلمة ١٠٦
الأسوة الحسنة للمؤمنة ١١٠
في الختام ١١٩
الحكمة من تعدد الزوجات ١٢١
فوائد تعدد الزوجات ١٣٦
متى يكون تعدد الزوجات ضاراً ١٤٣
لماذا عدد النبي ﷺ زوجاته ١٤٧
ما كان الرسول ﷺ الوحيد في تعدد الزوجات. ١٥٥
خصوصية النبي ﷺ بأكثر من أربع زوجات ١٥٩
عدله ﷺ بين نسائه ١٦١
مهور نسائه ﷺ ١٦٣
المشهورات من نساء النبي ﷺ ١٦٤
خديجة بنت خويلد ـ رضي الله عنها ١٦٦
عائشة بنت أبي بكر ١٨٤
حديث الأفك ١٩٨
واقعة الجمل ٢١٧
وفاة أم المؤمنين عائشة (رض) ٢٢٠
حفصة بنت عمر ـ رض ـ ٢٢٣

أم حبيبة ـ رض ـ ٢٣٦
أم سلمة ـ رضي الله عنها ٢٣٩
سودة بنت زمعة ـ رض ٢٤٦
زينب بنت جحش ـ رض ـ ٢٥٣
زينب بنت خزيمة ـ رض ـ ٢٥٧
ميمونة بنت الحارث ـ رض ـ ٢٦١
جويرية بنت الحارث ـ رض ـ ٢٦٣
صفية بنت حُييّ ـ رض ـ ٢٦٧
غير المشهورات من نساء النبي ﷺ ٢٧٠
سراري النبي ﷺ إذ هن من حلائله ٢٨٧
الفهرس ٢٩٤